الجنـــة حين أتمنى

محمد الصوياني

ح   **محمد حمد الصوياني ، ١٤٢٨ هـ**
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الصوياني ، محمد حمد
الجنة حين أتمنى. / محمد حمد الصوياني – ط ٢.. الرياض، ١٤٢٩هـ
..ص ؛ ..سم
ردمك: ١-١٢٤١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الجنة و النار   أ.العنوان
ديوي٢٣٤   ١٤٢٩/٥٢١٨

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٥٢١٨

ردمك: ١-١٢٤١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٢٩

إلى رفيقة حلمي.. إلى زوجتي

وإلى عشاق الجنة .. أهدي هذه الورقات

الجنـــة

الجنة بالنسبة لي ليست مجرد حقيقة قادمة فقط..

إ ا المواعيد التي تم تأجيلها رغما عني..

والأماكن التي لا تستطيع الأرض منحي إياها..

إ ا الحب الذي بخلت به الدنيا..

والفرح الذي لا تتسع له الأرض..

إ ا الوجوه التي أشتاقها.. والوجوه التي حرمت منها..

إ ا ايات الحدود وبدايات إشراق الوعود..

إ ا استقبال الفرح ووداع المعانات والحرمان..

الجنة زمن الحصول على الحريات.. فلا قمع ولا سياج ولا سجون، ولا خوف من القادم وا هول..

الجنة موت المحرمات.. وموت الممنوعات..

الجنة موت السلطات..

الجنة موت الملل.. موت التعب..

موت اليأس..

الجنة موت الموت..

خلالها سأبحر في قارب فاخر من الأماني.. أهدانيه محمد عليـه الـصلاة والسلام بكلمات كالنعيم.. كلمات تقول: "إذا تمنى أحدكم فليكثـر فإنما يسأل ربه عز وجل."

سأنشر شراعا أبيض نقش عليه صلى الله عليه وسلم كلمات تعـشقها الرياح: "إذا سأل أحدكم فليكثر فإنه يسأل ربه."

سأمارس الرحيل حيث لا نهايات للمتعـة، ولا سـقف للإبـداع ولا للجمال.

قال مبدع الجنان سبحانه.. قال الجميل الذي يحب الجمال، ويحثنا على الجمال: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر."

عندما أقرأ هذه الكلمات.. تأخذ نياط قلبي وأنا أرى قوافل الـصالحين تمر فلا تأخذني معها.. أرى مطاياهم تتهادى أمامي وأنا مكبل بخطاياي، وأرى اليأس جاء ليجهز على ما تبقى.

لكن شمس محمد عليه السلام تشرق من جديـد بكلمـات كـالمطر.. كلمات زادت حبي لأنس بن مالك.. ذلك الغلام الذي نعم بخدمة النبي صلى الله عليه وسلم وحنانه..

كلمات أشرقت على أنس عندما رأى رجلا غريبا أخرجه قلبه من بيته.. أخرجه قلبه المفعم بحبٍ راح يعلنه على النبي صلى الله عليه وسلم، ولما وقف أمامه سأله سؤال المشتاقين "فقال: متى الساعة ؟

قال عليه السلام: وماذا أعددت لها؟

قال: لا شيء... إلا أني أحب الله ورسوله.
فقال عليه السلام: أنت مع من أحببت.
قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم (أنت مع من أحببت)
قال أنس: فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم."
وأنا أقول: رب إني أحبك وأحب نبيك وأحب أبا بكر وعمر وأنس، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم..
رب حررني بحبك من تلك القيود.. رب اشملني بقولك: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.
إلهي.. عندما أقرأ هذه الكلمات تضيع الموانيء وتختفي السواحل.. وأظل في محيطات النعيم وسكرها دون وصول أو إفاقة..
رب إن جنتك لن تضيق بي.. ورحمتك وسعت كل شيء، وأنا ضعيف فارحمني... رب اجعلني أفقر الناس إليك وأغناهم بك.
رب رحمتك وكرمك.. فلا تكلني إلى عملي ولا إلى نفسي، ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ولا أقل من ذلك..
رب إني أسألك الجنة.. الفردوس.. فلا تحرمنيها
ما ألذ العيش مع تلك الكلمات التي قالها حبيبي عليه السلام.. تستفز مخيلتي حتى تستنفدها، ثم تأخذها من وهدتها نحو آفاق أرهقني عشقها وعشق التحليق فيها.

في هذه الصفحات لن يجد القارئ وعظـاً أو إرشـاداً أو نـصائح أو إحداثيات.. فلست أهلا لذاك..
في هذه الصفحات لن يجد القارئ إدعاءً لكشف الحجب أو التمـاهي بالغيب.. أو تألياً على الله..
هذه الصفحات ليست وصفاً لجنة الخلد على الإطلاق..
هذه الصفحات ليست حتى تصورا لها..
إ ا باختصار: مجرد أمنية.. حلم.. إ ا دعاءٌ مسافر دون ملل..
سيجد القارئ إبحاراً طويلا سـابحاً في الأمـاني والأحـلام، والـشعر والمشاعر، وحتى الفكر.. شراعي ومركبي فيه تلك الكلمـات الإلهيـة والنبوية.
أولم يطلقنا عليه السلام في آفاق ما زلنا ا ا حتى الآن.. عندما قال: إذا تمنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه عز وجل.
دعونا نتمنى..
دعونا نكثر ونكثر.. فالله أكثر.
دعونا نخرج عبر هذه النوافذ نحو عوالم ساحرة ومذهلة.. لم يرها بـشر ولم يسمع ا، ولم تخطر على باله يوما.
لن نصل إلى تلك الآفاق والمستويات، لكن حسبنا أننا قمنا بـالتحليق نحوها.
لقد حلقت حتى ظننت أنني في الجنة.. وسافرت حتى غـدت مـدائن الأرض مزرعة شاحبة بين مدائني.. وعشت في عوالم أرقى حتى أصـبح

أغنى الخلق بالنسبة لي مدفع الفقر.. وملكت فيها حتى رأيت أكثر الناس سطوة وملكا كالمساكين...

بعد فراغي من كتابة هذه الأماني شعرت بأنني خلقت من جديد.. لم تعد الدنيا كما كانت ولم يعد في حياتي مكان للملل..

بدأت أرى الدنيا رغم تفاهتها أجمل مما هي عليه.. شـعرت بـضرورة تحويلها إلى جنة مؤقتة..

تحولت أشياء الدنيا التي يتقاتل ويتعادى من أجلها البـشر إلى أشـياء سخيفة.. رغم أنني لست من العباد ولا من الزهاد.. رغم أن التقـصير يأكلني من كل أطرافي..

مكثت ولا زلت .. أجوب عالما جديدا.. اسمه الجنة.

لقد زاد شوقي إليها.. زاد عطشي إلى رحمة الله.. وزادتني طاقة للسير في الدنيا.. أصبحت كالعاشق الذي ون مطالب معشوقته.. وترخص من أجلها الأشياء و ون من أجلها المعانات.. حتى أنه يتلذذ ا..

أدركت أحد أسباب تضحية الأنبياء والصديقين والشهداء والمؤمنين.

الجنة التي ملأ ذكرها القرآن والسنة.. وأحرق الشوق إليهـا قلـوب عشاقها.. لم تعد في مخيلتي حنينا إلى تلك الأزهار والأ ار فقط.. ولا إلى تلك المباني الساحرة والقصور العائمة فقط..

لقد أخذني الحنين إلى وجوه تحرقت شوقا إليها.. وجوه كتبتني قصائدها، وتعطرت بعبق ذكراها محطات حياتي المتواضعة..

كم أنا بشوق إليهم..

كم أتوق إلى طبع قبلة على جبين محمد صلى الله عليه وسلم ..
كم أنا بشوق إلى تناول فنجان قهوة مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي..
كم أتوق إلى إقامة احتفال على شرف المهاجرين والأنصار..
كم أنا بشوق إلى من انتزعهم الموت مني.. أو حالت الدنيا بيني وبينهم..
كم أنا بشوق إلى إبداع أحلم بتحقيقه، لكن الأرض لا تطيقه.. كم أنا بشوق إلى عالم دون حروب ومآس وحسد وأحقاد..
عالم بلا ممنوعات أو قمع أو سلطات..
كم أنا بشوق إلى الجنة..
كم أنا بشوق إلى أن يجمعني الله في فردوسها ومن يقرأ هذه الحروف مع الأنبياء والصديقين والشهداء.

محمد الصوياني

دلفنا بوابة من بوابات الجنة لا أستطيع وصف روعتـها، ولا أسـتطيع تشبيهها.. تجو ا الملائكة ببهائها وأجنحتها وهيبتها، ووجوهها التي تشع جمالا ونضارة تحف بنا.. سلامهم يكاد يحملنا:

ادخلوها بسلام آمنين..

يلبسوننا ثيابا فاخرة ويرددون: ادخلوها بسلام آمنين..

بسلام في أجسادنا، فلا أمراض بعد اليوم.. لا حمى ولا زكام، ولا ربـو ولا سكري ولا ضغط ولا جلطات ولا سكتات، ولا غيبوبة، ولا ضعف في البصر أو عمى..

بسلام في أجسادنا فلا إعاقات ولا شلل ولا إصابات ولا كـسور ولا جروح ولا حروق ولا علل ولا عيوب..

بسلام في أجسادنا، فلن تنبعث منها بعد الآن روائح نكرهها وتضايقنا، ولن تفرز ما نستقذره ونكرهه من سوائل أو عرق أو إفرازات مقززة.

لن نرى في الجنة أعمى أو أبكم أو أخـرس أو مقعـدا أو مـشلولا أو شخصا يجد في جسده عيباً يحرجه أو يمنعه أو يعيقه..

لن تعرف أجسادنا بعد اليـوم الترهـل أوالـشحوم أو الـشيخوخة والتجاعيد والتهدل....

بسلام في طرقاتنا، فلن نرى بعد اليوم لصاً أو مجرما أو قاطع طريق، أو غازيا أو معتدياً، أو حتى رجل أمن أو مرور أو نقاط تفتيش..

بسلام في طرقاتنا فلن نرى فيها حفرا أو مجاري أو مزابـل متكومـة أو روائح عفنة أو مناظر كريهة..

بسلام في أرواحنا.. فلن تفارق أجسادنا الساحرة، ستظل ترفرف في سعادة بين جوانحنا، فلا قلق ولا كآبة ولا إحباط ولا ملل، ولا يأس ولا انكسار ولا حزن، ولا قتل فقد ذبح الموت.

بسلام في قصورنا وبيوتنا وأكواخنا ومزارعنا وشاليهاتنا ومنتجعاتنا، فلا لصوص ولا عصابات ولا مقتحمين ولا متجسسين على خصوصياتنا، ولا جيران مؤذين، ولن نبحث عن بيت في حي آمن فالأحياء مزينة بالحب والأمن والسلام..

بسلام في أموالنا فلن نخشى عليها من الاختلاس أو السلب والنهب والتلاعب والسطو والاغتصاب والمصادرة، ولن يمن علينا أحد بعد اليوم بإعطائنا بعض حقوقنا، ولن نقف طوابير للحصول عليها، ولن نرى في الجنة قضاة أو أقسام شرطة تنصفنا، فقد غمرنا الرحمن برحمته وحبه..

لا خوف على أراضينا ومزارعنا واستراحاتنا ومنتجعاتنا من سطو لصوص الأراضي والعقارات وشباكهم وتزويرهم وارتفاع أسعارهم..

بسلام في مستقبلنا، فالقادم أجمل من الحاضر، ولن نخشى بعد اليوم جفافا أو قحطاً أو زلازل أو براكين أو فياضانات أو حروبا تأكل الأخضر واليابس.. ولن نرى بعد اليوم عدوا لله ولمعتقداتنا، فهم هناك في قعر منتن يلعن بعضهم بعضاً..



بسلام في خصوصياتنا فلن يتجسس علينا أو يراقبنا أحد، أو يحسب علينا خطواتنا وأنفاسنا وكلماتنا والأماكن التي نرتادها، ولن نتعرض لمساءلة على يد محقق أو نقطة تفتيش أو نقطة عبور..

بسلام في تنقلاتنا.. سنجوب الجنة دون أن نحتاج إلى نقاط جوازات وتفتيش، ولن نضطر إلى استخراج تأشيرات، مع أننا لن ننتقل بين قرى وجزر ومدن فقط، بل بين عوالم وعوالم.. ولن يمنعنا أحد من السفر أو العبور، ولن يحدد مسؤول بعد اليوم مدة إقامتنا، أو فرض الإقامة الجبرية علينا..

بسلام في طعامنا وشرابنا فلن نعاني من الجوع والعطش أو الغصص أو المرارة والتعفن والتسمم، وليس في قوائم الطعام والشراب شيئا محرما أو ممنوعا، أو مقززا أو محترقا أو متعفنا، أو مسموحا به لأحد دون أحد، أو لطبقة دون طبقة، ليس في الجنة طعام لا نشتهيه أو لا نستسيغه أو لا نحبه، أو يضر بصحتنا.

بسلام في أجوائنا فلن نعرف الحر المزعج أو البرد القارس، أو الغبار المؤذي، أو الرطوبة الخانقة أو الريح أو العواصف والأعاصير المدمرة..

بسلام في تفكيرنا وعقولنا، فليس بيننا متخلف أو أبله أو مجنون، ولن يقلقنا بعد اليوم عدم التوصل إلى معلومة، كل ما علينا هو البحث.. والوصول، ثم البحث ومواصلة الإبداع والتمتع بالوصول..

لن يقلقنا البحث عن لقمة العيش ومحاولة تأمين المستقبل، ولن يذلنا أحد بصدقة أو معروف أو مكرمة أو منحة أو هبة..

سرت بين مصاريع البوابة مسحورا وأنا أزين صدري بتلك الجمل الفريدة من السلام.. سرت وعيناي ترفرفان في نعيم باذخ..

تقدم مني أحد الخدم الأنيقين، ومد يده بأدب للسلام فتركت يده وعانقته من شدة الفرح، وبعد عناق طويل.. جاء آخر فقدم لي مشروبا زاد من سعادتي وذهولي بتلك البوابة..

أخذتني تلك العوالم التي بين تلك البوابة.. صرت أدور.. أمشي.. أتأمل ما حولي.. أسجد شكراً وألهج حمداً.. أقفز فرحاً.. كان الحماس والجمال يتنافسان في كل ذرة من جسدي الفاتن الجديد..

بعد مدة طويلة من الدهشة والسعادة.. بدأ الفضول يسحبني نحو جديد المساحات.. ومفاجآت الأماكن..

سرت على طريق عريض جدا.. أما طوله فكأنه بلا نهايات.. طريق مرصوف بحجارة ليست من حجارة الأرض الباهتة، بل بأحجار كريمة ملونة.. هل هي من الياقوت أم من الألماس، لا أدري فأنا جديد وقلبي يبكي من الفرح..

إنها أحجار الجنة الكريمة.. لم تعد حكراً على الملوك والأثرياء.. لم تعد مقطعة بأحجام غاية في الصغر فقط.. إنها مزخرفة تحت أرجلنا، إنها أحواض زهورنا، ورصيف طرقاتنا..

سرت وكأن ماءً ملونا يجري من تحتي، نظرت فإذا أمامي أرضا منقوشة بالألوان والفتنة لا حدود لها، وعن يميني ويساري وأمامي بساط من

الزهور التي أعرف بعض ألوا ا وأجهل معظمه.. أما أنواعها وأشكالها فأكثر من ألوا ا أو ألوا ا أكثر.. هكذا تبدو لي.. كأن الأرض المحيطة بي سجادة لا أطراف لها.. وفتنة لا ايات لها.. بأي شيء أبدأ التأمل.. بالسماء الجديدة المدهشة بأنوارها الساحرة التي لا تجهر العين، بل تسافر ا..

أم بالأشجار والشجيرات التي لم تعد خضراء فقط، إ ا بكل الألوان.. وألوان الجنة كالأرقام بلا اية..

أم أهيم ببلاط الجنة وتربتها وطرقا ا وزهورها...

يا الله كم من السنين أحتاج لأشبع من أول مساحات الجنة.. لا أدري.. لكن الزمن كان يمر دون أن يسلم علي أو حتى ينبهني.. كنت مشغولا عنه وعن فواته.. لقد نسيت الزمن.. نسيت شكله ولونه وطعمه ووزنه.. ما عاد يهمني.. لقد أبدلني الله بالسعادة عوضا عنه..

الفضول.. العشق لما يأتي فقط هو ما يحركني ويستدعيني..

سرت ببطء شديد.. أمشي وأتوقف أكثر مما أمشي، فالمشهد أروع من أن تتجاوزه العيون والأقدام.. خلعت حذائي الجديد والأنيق.. مشيت حافياً.. أردت لأقدامي أن تلامس النعيم.. لا خوف من تشقق الأقدام وتيبس جلدها.. فالسير في الجنة يزيدها نظافة ونعومة وعطرا..

كنت أمشي من ذهولي على تلك الزهور فتزداد عبيرا وعبقاً.. وكأن أقدامي الناعمة تنشط المزيد من ذاكرة الرائحة والعطور فيها.. تأملت

قدمي فلم أعرفهما.. وتقت إلى مـرآة لأرى مـا فعـل الله بـوجهي وجسدي..
جسدي الذي أشعر معه بنشاط وشباب وجمال، وعنفوان لم يمر بي يوماً قط.. كنت أشعر بجسد لم يعد بحاجة إلى النوم.. لم يعد بحاجة إلى نظـام صحي أو غذائي أو رياضي مرهق للحفاظ على روعته وتناسقه وقوتـه وشبابه..
سرت لا أدري كم قطعت من مساحات الجمال.. حتى لاحـت لي في الأفق مبان فخمة للغاية.. فخمة وعديدة الأشكال والألوان.. هل هـي قصور الجنة أم أسواقها أم معارضها..
بدأ الطريق يتشعب إلى طرقات.. وكل طريق قد رصف وزين بأحجـار مختلفة، وألوان مختلفة، وتصاميم وهندسة مختلفة..
أوعية الزهور على كل طريق مختلفة.. تحولت الطرقات إلى عـشرات.. إلى مئات.. وأكثر، وكل طريق يؤدي إلى مبنى متباينة البناء والتـصميم واللون والجمال..
وقفت مندهشاً.. أريد أن أسلكها كلها، وأزورها كلها..
لم أكن في عجلة من أمري، فالأرض من تحتي تناشدني، والسماء تـف بعقلي وروحي.
سار بجانبي شاب لم أر أجمل منه وجها وجسدا.. عرفته لكنني لم أعـرف وجهه.. ونظر إلى ففتح فاه ونسي أن يغلقه، وازدادت عينـاه اتـساعا فازداد جمالا ودهشة.

كان ينظر إلي.. إلى جسد مفتول وعملاق، وإلى شاب أشقر أمرد دون لحية أو شارب، وإلى عينين مكتحلتين بالسحر.

عانقته بحرارة وشوق وكأنه بعض أهلي.. قلت له: كيف حالك؟

❍ بل أنت كيف حالك.. أتسأل عني وأنا داخل هذا النعيم؟

✍ لو رأيت وجهك لبكيت.

❍ ولو شاهدت جمالك لذهلت.. يا ألله.. هل أنت فلان صاحبي.

✍ أجل ولكن ليس بشحمه ولحمه.. بل بوسامة الجنة وقوامها وفتنتها وعطاء خالقها.. إنها أول خطوات النعيم والخلود.. إنها أجساد أهل الجنة الفاتنة الناعمة الشابة القوية، وما شئت من صفات.. لن نستطيع العيش في الجنة دونها، فلا أعصابنا ولا عقولنا ولا حواسنا ولا قوانا الدنيوية قادرة على تحمل مباهج ولذات وروعة الجنة، ولا أعمار أجسادنا الدنيوية الهزيلة تكفي مجاراة الخلود في رحلته التي لا تتوقف، ولا تتوقف مفاجآته المذهلة.

❍ إن كنا معشر الرجال بهذه الفتنة، فهل لقلبي أن يحتمل رؤية حبيبتي وهي تتهادى وسط أرض ساحرة كهذه، إن كانت هذه القصور التي أمامنا هي مساكننا، فكم سيبقى لأهلي وأحبابي وأصدقائي من قلبي!!

انطلقت معه وانطلق الشوق بنا إلى كل شبر من الجنة..

بدأ الحماس يحملني فلم أشعر بوزني وأنا أخطو خطواتي الأولى.. وداعا أيتها الدنيا.. وداعا أيها الحرمان والمعاناة والتعب والملل.. وداعا لكل ما نغص أعمارنا وخنق أنفاسنا.. وداعا حتى لأشيائك وذكرياتك الجميلة..

بدأ الناس يدخلون ويتوقفون عند بوابات الجنة.. يسيرون ببطء شـديد وفرح أشد مثلنا.. كان ما حولهم يدعوهم للمكوث، لكن ما أمـامهم يغريهم بأكثر.. كان الملائكة يمرون بنا.. يسلمون علينا ويبتـسمون في وجوهنا..

يا ألله ما أجمل تحاياهم وهم يبتسمون.. يـسلمون.. ينثـرون الزهـور والعطور على رؤوسنا.. يبدون خدما م بمنتهى الذوق والرقة.

أدهشني ما حولي من حفاوة.. بدأ الصخب والأنس البشري يـدب في الجنة.. بدأ الصراخ الجنوني المنـدهش يمـلأ أول مـساحا ا.. القفـز والذهول والتكبير، والدموع والعنـاق والبكـاء والـرقص والغنـاء والشكر..

يكاد هذا القلب أن يطير من الفرح..

سرنا وسرنا، وبعد أزمنة تقدم منا شخص أنيق الثياب.. جميـل الوجـه تشع من ثيابه أطياف النعيم والود والبشاشة، وقدم نفسه على أنه أحد خدمنا، وطلب بكل أدب وذوق أن نصحبه إلى أي مبنى نختاره من تلك المباني الباذخة..

احترنا فالمشي يتحفنا بالتفاصيل والتأمـل، والركـوب معـه يغمرنـا بالإثارة..

قدم لنا عربة مكشوفة بالغة الفخامة من الذهب، ومقابضها ومفودها من الألماس وحتى عجلا ا كانت من الذهب أيضا، أما مقاعدها الأرجوانية الدائرية الخلفية فحريرية ووثيرة، ومطرزة بالذهب بطريقة بالغة الدقـة

والروعة، كان أمامنا طاولة من الذهب المصقول والمصمم بدقة وإتقـان وذوق بالغ الفخامة والرقي، وفي أدراج الطاولة صفت كؤوس وقوارير المشروبات الألماسية، وقد لفت بأشرطة ومناديل تحتوي على عبـارات ترحيبية عذبة.. كانت تلك الكؤوس والقوارير من الرقة والدقة بحيـث ترغمك على التلذذ بتأملها قبل ارتشاف ما فيها.

وبين مقعدها الخلفي الدائري الوثير ومقعد السائق مسافة مريحة وكبيرة، وكانت أرضية السيارة مفروشة بسجاد حريـري منقـوش ومـؤطر بالذهب.

سبقنا الخدم ففتحا لنا أبوا ا، فركبنا فإذا بالمقاعد تحتضننا بكل شوق..

يا ألله.. أهذه سيارات الجنة!!

إ ا نعيم وحدها.. إ ا فتنة وأناقة وذوق وفخامة ودقة لا حدود لها..

إن ما فيها من ألماس وذهب، لو كان من ذهب الدنيا وألماسـه لكلـف ميزانية دولة غنية..

تحركت السيارة – هكذا نسميها في الدنيا – فكأ ا تسبح فوق الطريق ولا تلامس الأرض إلا عند وقوفها، بينما كنا نسبح فيما حولنا ونعـد بعضنا بالرجوع إلى هذه الأماكن يوماً.. سرنا وسرنا دون أن نـشعر.. كل شيء في الجنة مسكر.. لا ندري أنتأمل السيارة أم ما حولها أم مـا فوقنا..

ولما توقفت المركبة أمام أحد تلك المباني المذهلة التصميم نزل خادمنـا والسائق وقد تسمرنا من هول المفاجآت.. تقدما ليفتحا أبوا ا.. لم نتعود

على ذلك، وما كنا لنسمح لتلك الأناقة والوسامة أن تخدمنا، لكن مـا حولنا من فتن الجنة أشغلنا عن تلك المراسيم التي أكرمنا الله ا.. كـان المبنى فخما.. محاطاً بأكاليل الزهور الصغيرة والكبيرة.

نزلنا فالتفتنا إلى منظر الطريق الذي عبرناه.. كانت أحجارا كريمة يشق جمالها حقولا ساحرة من الزهور والعطور..

العطور.. أجواء الجنة عطور.. ثيا ا عطـور.. أشـجارها وشـجيرا ا وزهورها.. عطور.. أنفاس أهلها عطور.. كل شبر في أجسادنا عطور..

تركنا خادمنا الأنيق سارحين في تأملاتنا ثم تنحنح بلطف، فالتفتنـا إلى هذا المبنى الهندسي المذهل.. جدرانه من الخارج قد صبت من اليـاقوت الأحمر، وقد أطرت نوافذه الكبيرة وأبوابه بألماس أزرق، رحنـا نتأملـه طويلا، كان تحفة فنية رائعة، طلبنا من خادمنا أن يأخذنا بجولـة علـى الأقدام حوله، فاستجاب بحماس يفوق حماسنا.. فأخذت منـا الجولـة ساعات وساعات وربما أكثر، حتى عدنا لبوابته.

دلفنا بوابته الزرقاء الفخمة فإذا نحن في قاعة فواحة مترامية ذات قبـة ألماسية مرتفعة جدا.. تنساب منها أشعة أخاذة.

إ ا أشبه بسوق مهول لا نرى أطرافه، ولا تعد معارضـه ولا مقاهيـه وباراته "مشاربه" .. كانت أرضيته قطعة واحدة مصبوبة مـن اللؤلـؤ الناصع البياض.. ممراته وقاعاته مزينة بعد كل عدة أمتار بتحفة أو باقـة ورد أو نافورة ماء أو نافورة ألوان وأشياء لا نعرف ما هـي.. كانـت

الموسيقى الحالمة تنساب كالهمس في بعض ممراته، وكانت المقاعد الزاهية الألوان تتناثر على جوانبه بشكل هندسي رائع.

بدأ الرجال والنساء يتجولون.. رجال ونساء في منتهى الجمال والذوق والأناقة.

سألت مرافقنا عن هذا المكان فقال: سيدي.. هذا المكان واحد من ملايين الأسواق التي تستطيع أن تنتقي منها أحدث ما في الجنة من أزياء وأحذية وعطور وحلي.

قال صاحبي: حلي؟!

نظرت إلى صاحبي ونظر إلي ونحن لم نفق بعد مما مررنا به.. فكيف سنفيق مما نحن فيه؟

كانت المعارض أكثر مما نتصور وأجمل مما نحلم.. معارض لكل نوع من أنواع الملابس.. للأحذية وما يتعلق ا.. للعطور.. معارض للحلي.... معارض ومعارض تبقيك محتويا ا وتصاميمها وألوا ا وتنسيق بضاعتها ومداخلها ومخارجها ولطف من فيها وإضاءا ا وما حولها من استراحات وشرفات.. تبقيك أشهراً...

جلنا المعارض كلها دون أن نشعر بالأيام.. دون كلل أو ملل أو حتى قناعة.. أين ك القناعة.. لقد اختفى في أول أمتار الجنة، لكن دون طمع أو حسد، فالطموح لا حدود له والأناقة بلا سماء.. كان كل معرض ينسينا ما قبله.. كانت الملابس فوق ما نتخيل وأرقى مما نحلم ..

ألوانها.. أقمشتها.. تفصيلها.. أسماؤها.. أنواعها.. أما الجديد من الملابس الرجالية التي لم نخترعها في الدنيا فلا حصر له.

لم نأخذ كثيرا.. فقط من كل صنف ما استطعنا رؤيته.. ومن كل حذاء ما يناسب ما أخذنا، ومن كل حلي ما راق لنا.. كلها كانت تروق لنا.. وعندما يسألوننا عن عناويننا كي يوصلوها لنا.. كان مرافقنا الأنيق يتكفل بكل شيء..

يا الله كل هذه المقتنيات الجميلة والراقية والثمينة وغيرها.. كلها لنا.. لو لم نكن في الجنة لما صدقنا.. كنا نخشى أن ينسوا إيصالها، فنلتفت إلى مضيفنا ونطلب منه أن يكتب كل شيء.. ما زلنا نفكر بطريقة عصر الأقلام والأوراق في الدنيا.. الأمر في الجنة أرقى بملايين السنوات العلمية.. ومع ذلك فإن للأوراق عبقها القديم والشاعري.

انتقينا لباسا أنيقاً لننطلق به في رحلتنا.. دخل كل منا جناحا فخما به كل الخدمات الفندقية ولكن بمستوى نجوم الجنة.. كانت أجنحة فخمة لتغيير الملابس وإن شئت البقاء والإقامة..

خلعنا ملابسنا لنلبس الجديد.. تأملنا أجسادنا.. لم نجد ذلك الشعر المؤذي.. لم نجد رغم المدة التي مشيناها وقطعناها أثرا لرائحة عن اليمن ولا عن الشمال.. لا عرق.. لا بول ولا غيره..

يا الله إنها أجساد نقية ناصعة وناعمة وقوية وجديدة.. ومع ذلك انغمسنا في برك السباحة الكبيرة المصبوبة من الألماس.. فقط لنجرد

المتعة.. خلالها كانت تقدم لنا مشروبات سافرت بنا نحو أجواء أخرى.. بقينا مدة من النعيم ثم خرجنا..

إنها المرة الأولى التي يرى فيها كل منا وجهه.. علا الصراخ والتكبير والحمد والثناء والبكاء.. وارتدينا الملابس.. ما أروعه.. ما أجمله من لباس.. يا لروعته على أجسادنا الرائعة، والوجوه الفاتنة..ما أروع تلك الألوان التي تتناغم مع قاماتنا الفارهة، وبشرتنا البيضاء الناعمة، وشعورنا الطويلة والأكثر نعومة، ومع تلك الوسامة التي ننكسر أمامها امتناناً كلما نظرنا في المرآة.

قلت لمضيفنا لو بقينا في هذه الأجواء الساحرة لكفى. فقال له مضيفنا: هل أفهم من كلامك أنك تريد البقاء هنا؟

❍ دعني أملأ روحي وعيني من هذه الأجواء الفاتنة.. انظر إلى هذا المكان الذي نجلس فيه.. انظر إلى تلك الأشجار والشجيرات والأزهار في الخارج.. انظر إلى ألوان التي لم نرها من قبل.. لا في الأفلام ولا في الأحلام.. انظر إلى تلك المباني والممرات والطرقات المرصعة بالأحجار الكريمة.. من مِن البشر ملكها أو رآها.. انظر إليها.. إنها تعزف الجمال على مد البصر. ألا تستحق أن نتوقف عندها؟! انظر إلينا ونحن وسطها إن وجوهنا وأجسامنا وملابسنا تزيد من روعة المكان وسحره..

لم يكن صاحبي يتحدث فقط.. كان يغمرني بطوفان من المشاعر لا أستطيع مقاومته.

سافرت بي تلك الكلمات ونحن نتجول في مساحات ملونة.. وحـدائق بلا نهايات.. حدائق تتنافس، وكأنما تستعد لخوض مسابقة في التنـسيق والجمال، كانت مقاعدها المنحوتة من تلك الأحجار والأشجار، والمبطنة بالحرير والجلد الجديد في منتهى الجمال.. كان الجلوس عليها أجمل منها، والمشي ألذ منهما.. سافرت بي تلك الكلمات والمشاهد إلى أيام خوال، كنا فيها نغبط الثري إذا بنى قصره على مرتفع يطل على بحر أو بحـيرة، أو نهر أو مساحات خضراء..

في أولى أمتار الجنة شعرت أن ما رأيته في الـدنيا، أو حـتى في مخيلتي ـا بالنسبة لما أراه الآن، كخيمة مهلهلة مقارنة بأجمل وأفخم قصر في الدنيا.

صدق من قال: (ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء) كم كنا سـذج ونحن نتشبث بالأسماء.. نقتل ونظلم ونسطو ونكذب ونغـش، ونغـير جلودنا كل يوم من أجل ماذا.. من أجل أسماء.. وليتها تـدوم.. كنـا نطاردها ، فإذا أمسكنا بأطرافها ونحن نلهث.. وبدأ حفل تعارفنا ـا تركتنا، أو اختطفنا الموت منها رغما عنا..

لن يأخذنا الموت بعد اليوم، ولن يأخذ أحد منا حقاً أعطانـاه الله بعـد اليوم.. لن يكون لأحد فضل علينا غير خالقنا ورازقنا.. لـن نـرى في الجنة فقيرا أخذ حقه.. أو متسولا أو متذللا لغير الله..

لن نرى في الجنة من يفخر علينا بجاهه وماله ومركـزه.. فـالمتكبرون والمتغطرسون تركناهم خلفنا.. كان منظرهم لا يسر والأقدام الحافيـة تدوسهم.. حشرهم الجبار تدوسهم أقدام البر والفاجر.. حشرهم الجبار

كالنمل من الذلة والصغار.. لن نرى من ينغص علينا عيشنا، ويسخر من ربنا وديننا ونبينا ويصفهم بالظلامية والتخلف.. تركناهم خلفنا.. كانت أصواتهم مأساوية وهم يقذفون في الهاوية.. يناشدوننا يصرخون كالفجيعة: انظرونا نقتبس من نوركم..

إنهم الآن في قعرها يقدمون لزبانيتها اعتذارهم عن نظرياتهم التنويرية، فيلهبون ظهورهم بالسياط.. كم كنا نود لو أنهم تخلصوا من تلك الأقفال التي حاصرت عقولهم.. كم كنا نود لو أنهم معنا الآن، لكنهم في طريق اختاروه بأنفسهم.. لم يرغمهم أحد على سلوكه.. بل كانوا يسخرون من طريقنا.. ومن حقنا في اختيار طريق نبينا عليه السلام.

لن نرى الطواغيت الذين كمموا أفواهنا وصادروا حرياتنا ووصفوا شرعنا بالتخلف.. لن نرى أولئك المتسلطين الذين حاربوا ديننا باسم التقدم، فتقدم العالم كله إلا هم.. لن نرى أولئك الأشرار...

لكننا سنرى ملائكة كالنعيم... وأخوة وأصدقاء وأقارب كالفرح.. سنرى أخوة سبقونا بالإيمان تحرقنا لرؤيتهم وأبكتنا سيرهم وإنجازاتهم.. سنقيم الولائم والحفلات لمحمد وأخوته الأنبياء عليهم السلام..

لدى كل واحد منا متسع من الوقت لكي يلتقي بكل نبي ويراه ويكلمه ويسمع قصصه وأخباره..

لدينا متسع من الوقت لكي ننفرد بأبي بكر وأخوته الصديقين.. ونقيم الأمسيات والسهرات لحمزة وأخوته الشهداء.. ونحتفل بعمر وأخوته

المهاجرين، وسعد بن معاذ وأخوته الأنصار، لدينا أشعار ومشاعر نقولها بين يدي بلال وأخوته المعذبين والمناضلين في سبيل الله..
إ ا الجنة وقد قيل لنا عند بوابا ا: ادخلوها بسلام..
سلام لن نرى معه سوى الأحباب.. ولن يفصلنا عنهم سوى الـشوق والأشعار.. لدينا متسع من الوقت..
أليست مليارات السنوات بكافية؟ أليست مليـارات المليـارات مـن السنوات أطول من أعمارنا الستينية التي يضيع تسعة أعشارها بـالنوم والأمراض والصيانة والعمل والكد....
أخذتني كلمات صاحبي ولم أفق إلا وهو يقول لي: أفق.. قم بنا نـسلك هذا الطريق الذي يكاد يتكلم من حسنه.. انظـر إلى ذلـك الطريـق اللؤلؤي الذي يهتف جماله ووميضه الخافت بمشاعري وفضولي.
خرجنا مفضلين المشي على مركبتنا الفاتنة فهو أشد فتنة.
سرنا فوجدناه طريقا من اللؤلؤ.. وكلما سرنا بدأ يتحول ذلك الطريق إلى كرات صغيرة من اللؤلؤ يزداد عرضا وطولا كلما سرنا فيه.. وعلى جانبيه أحواض من اللؤلؤ الملون بألوان لم نعهدها فيه، وقـد امـتلأت بالزهور الفواحة..
أما جانبا الطريق فمساحات خضراء وملونة فسيحة، علـى أطرافهـا البعيدة شلالات ومصبات أ ار تحيط ا أكواخ ومبان جميلـة متفاوتـة الارتفاع، ومختلفة الأحجام والألوان والمواد، مصممة بأشكال أخـاذة، يقصدها الأصدقاء والأحباب، بسيارا م ومراكبـهم وطـائرا م ذات

التصاميم الجديدة والعديدة، والألوان الزاهية.. رأينا من بعيد مـشاهد البهجة والمرح والاحتفال، كانوا بعيدا عنا لا نرى سوى شبابا وشابات.

فقال صاحبي: خذ بنا بعيدا عن هذه العائلات.

فقلت له: عن أي عائلات تتحدث؟

فقال: هنا أنظر إلى تلك الحفلات الرائعة التي تقيمها تلك العائلات، لا أريد أن أنغص عليهم.

ضحكت كثيرا وأنا أسمع تلك الكلمات...

دهش صاحبي وهو يرى أولئك المحتفلين السعداء يلوحون لنا ويسلمون، وبعضهم يدعونا للانضمام لحفلهم.

فقال مرافقنا: دعني أقول لك شيئا.. تلك ليست عائلة.. إ م شـباب بدأوا يمارسون الترحال.. يتجولون في أرجاء الجنة، ولابد أ م توقفـوا ليتناولوا شيئا من المشروبات ويتمتعوا بالجلوس في هذه الأماكن الجميلة.

❍ أتقصد أ م غير متزوجين

🍸 ما مفهومك للزواج في الجنة.

❍ الزواج.. عقد وشهود وولي ووو..

🍸 ذاك يا صاحبي في الدنيا.. اليوم الزواج مختلف.. فـالمرأة فيـه لا تحتاج في الجنة إلى ولي أو وصي أو شهود.. تنتقي ما شاءت، وتتـزوج من شاءت.. لها عالمها الخاص.. ووليها (في الدنيا) في شغل عنها إلا إن دعته لمشاركتها احتفالا ا..

✍ مازحت زوجتي في الدنيا قائلا: لو قلت لك.. لا تخرجي من قصري في الجنة حتى آذن لك؟ فقالت وهي تضحك: (معليش) ابحث عن غير هذه الكلمات.

ولما قلت لها: أنت زوجتي؟!

قالت بكل ثقة: أوتظنني كنت أصلي وأصوم من أجلك.. أوتظن أني كنت أبتعد عن الكبائر وأتحاشى ما استطعت عن الصغائر من أجل أن أحظى بغرفة في قصرك.. أجل أنت زوجي ولك قلبي وأكثر، ولكني أعيش في جنة ربي لا جنتك.. أعيش في جنة ربي بكامل حريتي، وهي حرية لم تعرفها امرأة من قبل.. حرية لا أضطر للتوسل أو لبيع جسدي كي أحصل عليها.. في الجنة يا زوجي العزيز أختارك وتختارني، وأحبك وتحبني.. لكن لا أحد من الخلق على الإطلاق يفرضك علي، أو يفرضني عليك.. أو يملي علي أو يملي عليك.. بإمكاني رفضك متى ما شئت، وتوديعك متى ما شئت، وتطليقك متى ما شئت.. بإمكاني استبدالك متى ما شئت.. دون أن يطلقوا علي ألقابا قد تنقص من وهجي عند الرجال: كالثيب والمطلقة أو حتى الناشز..

في الجنة يا زوجي العزيز لست بحاجة إلى نفقتك، فأنا أنافسك ثراءً.. ولست بحاجة إلى أن توصلني أو تعالجني، أو تأمرني وتنهاني، أو حتى تخشى علي، أو تكون محرما يردع عيون الذئاب البشرية عني، فنحن حيث لا خوف، ولا رجال كالذئاب والوحوش يلاحقوننا، ولا رجال يلبسون لباس النصح من أجل استغلالنا.. نحن هنا حيث لا أمراض ولا

عيادات نساء وولادة، ولا متاعب صحية أو حمل أو ولادة أو نفـاس..
أما إن كنت لا تطيق حريتي، فلديك الحور العين الكريمات الفاتنـات..
يرقصن ويغنين ويطربن حياتك.. أما نحن فمثلكم ننال من رحمة الله مثلما تنالون، وننهل من كرمه مثلما تنهلون..

في الدنيا كنا نتكامل لأن قانون الحياة كان يقتضي أن نتكامل.. ونرتدي الحجاب امتثالا لأمر الله، لأننا نملك من إثارة غرائزكم مـا لا يطيقـه أكثركم، فأكثر الرجال لا يسيطرون على تلك الغرائز.. كم قتلوا وكم اغتصبوا وكم انتهكوا، رغم أ م يعرفون أن ما يفعلونه جرائم..

كنا الجزء الأضعف في الدنيا مهما قيل عن حقوقنا.. كنا النصف الذي تم استغلاله في البلاد التي تدعي إعطاءنا حقوقنا..

رضينا بما قسم الله وأراده: الحجاب كان امتثالا واقتناعا بأن الأمر أمـر الله.. هذا كل ما في الأمر، أما في الجنة فأنا حرة في انتقاء أزيائي، فـلا خوف علي من الوحوش.. الوحوش هناك في هاوية الجحيم، ولا خوف مني أن أفسد علاقة أسرية، فالكل يشعر بأنه يملك ما يفـوق حاجتـه ويتجاوز طموحه، ولم يبق سوى الأخوة والصداقة.. في الجنة لا طمع بما عند الآخر ولا جشع ولا سطو على ممتلكات الغير..

الكل يتمنى أن يعطي ويهب ويهدي..

الكل يشعر أنه أغنى البشر.. سأقصد أي مكان يـروق لي.. وأشـرب وآكل أي شيء تتناولونه معشر الرجال.. سأحاول التفوق علـيكم في كل شيء.. فقد منحني الله أكثر مما أحلم به، وأعظم مما أتطلع إليه، ولم

يبق سوى الانطلاق.. لقد امتنعت عن محرمات الدنيا لأرضي ربي وأنال رحمته.. وفي رحمته ولن أفوت لحظة من تلك الرحمة والنعيم.

❍ كلمات ز المشاعر والعقل.. وبم أجبتها؟

✍ لا أملك سوى الفرح بما قالت، فقد كنت من أكثر الناس إيمانا بأن الدنيا دار اختبار.. ألواننا وأشكالنا وأجناسنا وأرزاقنا هي الأسئلة، أمـا الإجابة فهي في القدرة على التعامل معها، وتحويـل الـدنيا إلى جمـال بتناغمها وتكاملها.. كنت أمازحها فقط.. وإلا فإني أدرك عمق رؤيتها للأمور وبعد أفقها.

❍ وكيف سنتقبل استقلالهن عنا في الجنة؟

✍ أنت كرجل تشعر بقوتك وسطوتك في الدنيا، وتـشعر أن تلـك القوة في جزء منها يجب أن يصرف لحماية المرأة.. التي تمثـل الجانـب الأضعف داخل عالم يتخلى فيه العدل غالبا عن كرسيه للأقوى، أما هنا في الجنة فلا أضعف ولا أقوى..

هنا عالم من المشاعر والعواطف الجياشة تسبح في عـالم مـن العدالـة المطلقة... الأب لا سلطة له اليوم على ابنته، ولا حاجة لابنته كي يوافق على زواجها، فهي مستقلة عن خلق الله في عالمها المـدهش العظـيم، وعلاقتها م في هذا النعيم علاقة أخوة وحب في الله..

الزوج لا قوامة له في الجنة.. الزوج والزوجة في الجنة لا يلتقيان كما في الدنيا على تقاسم المسئوليات، وأعباء المعيشة وتربية الأولاد والعناية م والقوامة (المسئولية) وتحمل أخطاء بعضهم مع بعض، الزوجان في الدنيا

يقدمان التنازلات من أجل أن تبحر السفينة بسلام. أمـا الزوجـان في الجنة فلا تنغص لقاءا ما حسابات النفقة والمعيشة، أو شـروط عقـد الزواج ومسئوليات الأبناء والمل والوالدين، ولا تفلت أحد الطـرفين من التزاماته، لم تعد المرأة تحمل هم زوج يتسلل إلى غرفتها قبيل الفجر.. لا تحمل هم تعلقه بأخرى أو أخريات، أو تقصيره في النفقة أو العطـف والرعاية والاهتمام، أو انطفاء مشاعره نحوها واختفاء عباراته الدافئة مع مرور الليالي والأيام.

والزوج لن يحمل هم انصراف زوجته عنه نحو أبنائه، ولا انصرافها عن الاهتمام بمظهرها وأناقتها مع تقدم سنها، ولن يحمل هم تجعدات وجهها ويديها وجسمها بعد اليوم..

❍ وما الزاوج هنا إذاً؟

✍ لقاء العشاق المتيمين في عالمها أو في عالمه، لن يتحكم ا بعد اليوم أو تتحكم به، يسافران معا، ويبحران معا ويحتفلان معا، ولكن بإراد ما وشغفهما وحبهما، لا بإرادة واحد منهما فقط، أو تحكمه أو تـسلطه.. لن ينظر الزوج بعد اليوم لزوجته على أ ا تلك التي تنتظره عند دخوله بقائمة من الطلبات، أو تستقبله وهي تحمل طفله الذي حـان موعـد تطعيمه أو طبيب أسنانه، أو موعدها مع طبيبة النساء والولادة، أو تلك التي تصيح بوجهه طالبة الطلاق لعدم اهتمامه بمسئولياته تجاهها وتجـاه أبنائها، ولن تنظر الزوجة في الجنة إلى الزوج على أنه ذلك الرجل الذي يأتي متسللا آخر الليل، بعد سهرة مجهولة مع أصحابه أو ربما صاحباته،

أو ذلك الرجل الذي يبحث عن زوجة أخرى بعد أن ترهل جسدها، وانشغلت عنه بأبنائه وأبنائها، ولن يكون ذلك الزوج الذي يدخل آمرا ويخرج ناهياً، أو ذلك الزوج الذي يملي عليها طريقة لبسها وخروجها، أو يفكر عنها ويتحدث عنها، أو يستغل مالها ودخلها، أو يهددها بالطلاق والفراق كلما بدر منها خطأ.. الزوجان في الجنة عاشقان متيمان.. عاشقان لا يفصلهما عما هما فيه من نعيم إلا نعيم آخر..

❍ أولسن مقصورات في الخيام اللؤلؤية والألماسية؟

🍸 أنت تتحدث عن (حور مقصورات في الخيام لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان)

الجنة عالم من البهجة تمثل العلاقة الزوجية فيه جزءاً صغيراً، لكنه ثري ومفعم وغامر تتطامن أمامه مشاعر العشق والهيام الدنيوي، وكل ما قيل عنها وفيها.. الجنة عوالم من النعيم يتقلب فيها المؤمن.. يشغله كل نعيم عن غيره فلا يشعر بحرمان أو خسارة، لكنه يشعر بالشغف من كل أعماقه.

❍ لقد كان ذلك الشاب الرائع عبد الله بن عباس أرحب أفقاً منا عندما قال: (ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء).. لكن ماذا عن الأطفال.. زينة الحياة وأجمل ما في الدنيا..؟

✍ الحمل والولادة لا تستغرقان سوى دقائق، ودون معاناة أو نفاس أو وحام أو نزيف دم أو آلام (إذا أراد المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي) أطفال كالنعيم، لا يتقيأون ولا

يمرضون ولا يحتاجون للحفائظ ولا تصيبهم الحمى أو الأمـراض الـتي تصيب أطفال الدنيا.. أطفال يشعون براءة وجمالا وعطرا، ويجعلون الجنة أكثر نعيما، تصور طفلك ذه الصفات، تصور طفلتك وعينيها البريئتين اللتين تقتلانك بسحرهما البريء.. وتصور تعلقك ا وامتلاكها لقلبك.. يا صاحبي إن عند الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطـر علـى خيال إنسان مهما كان مبدعاً.

صمت صاحبي.. بينما كنت أدور حول نفسي وما حولي من فتنة وأرنو نحو ذلك الأفق اللؤلؤي الناعم.. أغرانا ذلك الطريق بخلـع أحـذيتنا الجميلة من جديد، وسرنا على تلك الحصباء اللؤلؤية الملونة، كان يمتدا أمامنا كالبهجة.

سرنا وسرنا.. ينعش أقدامنا اللؤلؤ ويحلق بنا عـبير الزهـور، وتأخـذ بمشاعرنا أسراب الطيور الملونة فوقنا.. كنا نتوقف أحياناً لمشاهدة شباب يمارسون ألعابا رياضية كنا نمارسها، وألعابا جديدة علينا..

هالتنا كثرة الملاعب والمت هات كلما سرنا، فهي لم تقتصر على ملاعب أرضية.. السماء تحولت إلى مسرح فسيح يمارس فيه الشباب والشابات ألعابا هوائية بطائرات تصعد م، ومظلات بط م، ومناطيد تتـهادى وتأخذهم حول مكان يبدوا أنه يأخذ بعقولهم.. تابعنا مسيرنا وتوقفنـا ونحن نقول في أنفسنا: لولا هذه الأجساد المعجزة التي وهبنـا الله، لمـا قويت قلوبنا وعقولنا على تحمل هذا النعيم والفرح.. إ ا أجساد شـابة

وحماس لا حدود له، نسينا شيخوختنا في الدنيا وعجزنا، فليس في الجنة عجائز أو شيوخ.. ليس فيها سوى الشباب وما يشتهي الشباب ويثير الشباب.

لفت انتباهنا ونحن نسير أن هذا اللؤلؤ الملون الذي نسير عليه بدأ في الصغر كلما توغلنا، سرنا لنعرف النهاية، مع أن الجنة نعيم بلا نهايات.

بدأ اللؤلؤ يصغر ويصغر، ويتحول إلى حبيبات ملونة صغيرة، ليتحول إلى رمل لؤلؤي دقيق ولكن دون غبار.. بدأ ذلك الرمل الساحر ينغمس في بحر غاية في الصفاء والعذوبة، انغمسنا معه لنرى روعة قاعه وألوانه، انقطع اللؤلؤ فبدأت الأحجار الكريمة تزين قاعه.. لم يكن بينها طين أو طمي أو حتى تراب.. كان قاع البحر مزخرفاً وغاية في النظافة والعذوبة وسحر الأحجار الكريمة.. كنا نرى الأعماق البعيدة وكأنها مضاءة من الداخل، وكأن الماء زجاجة صافية، لدرجة نرى وميض القاع خلاله.. أما أمواجه الوديعة فتضفي على أجواء الشاطىء سحرا يرغمك على معانقتها..

لم ننتظر.. رمينا أجسادنا دون أن نخلع ملابسنا، وانطلقنا نحو هذا الجمال الذي سميناه بحرا لنعانق مياهه كالفرح، غصت فإذ بي تحت الماء أفتح عيني دون ألم وأنساب كدلفين، كنت أفتح عيني وأغمضهما باحثا عن تلك الحرقة المؤقتة التي يحدثها ماء البحر في الدنيا.. أين تلك الملوحة.. أين تلك الحرقة؟

لم أجدها.. اكتشفت عالما آخر تحت الماء الصافي النقي العذب.. شـيء آخر عثرت عليه يعادل متعة السباحة والمرح: لست بحاجة إلى هواء أو أوكسجين أو تعلم للسباحة.. لست بحاجة إلى قوانين الدنيا.. بـل إلى مزيد من المرح والانسياب، كان الماء يلامس كل جسدي وكأنه يدلكه وينعشه، توغلنا داخله فازداد قاعه نظارة وجمالا ونظافة.. كان القـاع لوحة ساحرة تبقيك طويلا للتأمل.. كان منقوشا بعناية فائقة..كان كثير الألوان.. سمعت أصواتا فوقي فصعدت فإذا أنا وسط أمـواج هائلـة الارتفاع.. وإذا بالشباب من الجنسين يمارسون ركوب تلك الأمواج.. أخذتني موجة وطارت بي، فإذا أنا أسبح في الهواء.. كان شعورا لم أذقه من قبل.. وعندما انتهت فترة الطيران بدأت فقرة الغوص في بحر عذب وعميق ومثير.

عدت لعمق الماء، لكن أصوات الأمواج كانت تستفزني للإثـارة مـن جديد.. أمضيت وقتا طويلا وساعات طويلة من المتعة نـسيت معهـا صاحبي حتى رأيت من يمسك بيد صاحبه ويتقلبان في الهواء والأمـواج والمرح الذي لا حدود له.

عندها تذكرته.. فرفعت رأسي فوق الماء وانسبت بين الأجساد الرائعـة والوجوه الفاتنة والشعور المبتلة بحثا عنه.. بحثت عنـه طـويلا وسـط الصراخ والسعادة التي يعج ا الجو والبحر والشاطيء، فرأيته.. رأيتـه يمارس جنونه اللا محدود مع المياه والمرح، فضحكت من هيئته، وملابسه

الأنيقة المبللة.. لكن ضحكي زاد عندما رأيت أني أيضا لم أخلع ملابسي..

صرخت به، فهتف بي ودعاني..

سبحت نحوه وقمنا بمنافسة غيرنا في المتعة والاحتفال، وبعد ساعات وساعات ركبنا فيها الأمواج، والمراكب البحرية السريعة، وحلقنا في المناطيد، وقفزنا منها، وتدلينا من حبال الطائرات، وتزلجنا على الماء خلف قوارب سريعة، ومارسنا ألعابا جديدة لم تعرفها الدنيا، ولم يقطعها سوى هتاف أحد المسئولين المكلفين بضمان راحة وضمان سعادة المرتادين للشاطئ، وهو يدعونا ويلوح لنا بملابس جميلة خاصة بالسباحة والعوم.. خرجنا ونحن نعتذر منه.. فقال: لا بأس ولا قوانين.. لكن هذه الملابس تمنحكما حرية أكبر، فقلت له: حرية أعظم مما نحن فيه؟!!!

قال: بإمكانكما متابعة مرحكما بملابسكما لكنني أقدم خدماتي..

شكرناه، فقال صاحبي: لم لا نغير ملابسنا في أحد تلك الجزر العائمة على سطح البحر.. إنها جزر خشبية ساحرة، كل مبنى فيها يكتسي لونا مختلفا عن الآخر.. دون أن تصبغ.. إنها أخشاب الجنة التي لا حدود لألوانها وروعتها؟

فقال المسئول: إذا فدعوني أتولى إيصالها .. ستجدان من ينتظركما هناك.

شكرنا الله.. ثم شكرناه، ثم توجهنا سباحة ممتعة نحو جزيرة من الأكواخ الخشبية المتناثرة كالحلم.. وصلناها، فإذا هي عبارة عن جـزر هائلـة تستلقي على الماء.. تعوم عليه دون أعمدة، لكنـها ثابتـة كالجبـال.. قصور، وشاليهات، وأجنحة خشبية بالغة الجمال ولا حـصر لألوا ـا وتصاميمها الرائعة، لا سيما وهي وسط هذا المحيط الساحر ثابتة علـى الماء دون أن تسندها أرض أو تراب.. كانت تعج بالناس والسعادة.

وصلناها، فكان أحدهم في استقبالنا على أحد أرصفتها الخشبية الرائعة الكبيرة جدا.. ناصعة البياض، والساحرة جداً، وقفنا على تلك الشرفة الخشبية البيضاء العريضة، فكان منظر البحر وما فوقه وما تحتـه مـن مهرجان أكثر سحرا.. قدم لنا مضيفنا عروضا وخدمات، لكننا لم نفـق بعد.. كنا مسحورين بما حولنا، شدهنا بما نراه فجلسنا علـى مقاعـد خشبية مريحة نتأمل عالما كنا بعضه قبل قليل.. رفعنا أرجلنا ومـددناها على ذلك السور الخشبي القصير، فتقدم منا نادل آخر لا يقل لطفا عمن سبقه، وقدم لنا قائمة بمثلجات ومشروبات انتقينا منها الكثير، فأضفت على ما نحن فيه أجواء أسما.. ظللنا في سكرتنا طويلا.. طويلا.. لم نفـق منها إلا على وقع صوت يسألنا إن كنا نرغب في تغيير ملابـسنا الـتي نشفت وعادت ناعمة كما لبسناها أول مرة..

مضنا نكتشف المزيد في هذه الجزيرة الخشبية الحالمة.. عبرنا بعض ممرا ا الخشبية الفسيحة المزينة بالزهور والورود الفاتنـة.. كانـت جـسورا عريضة بيضاء وصفراء وحمراء وخضراء وبألوان نعرف أغلـها ونجهـل

أكثرها.. كانت ممرات فاتنة ومنحوتة وبتصاميم فوق ما نتخيل.. محاطة بالباقات التي انتقيت بعناية وذوق رفيعين.. كانت الممـرات جـسورا متعرجة ومستقيمة ودائرية و.. و.. وعن يمينها ويسارها الماء العـذب، ثم قصور ثم جسور ثم ممرات ثم شاليهات وأجنحة وأكواخ وهكذا.. كل إنسان وما ينتقي وكل جماعة وما تـشتهي، وبينـها تتنـاثر المطـاعم والمشارب والمقاهي والمطاعم والأسواق والمسارح والمراقص والشرفات والإطلالات..

كانت الجسور ممرات بين النعيم.. لا نستطيع التوقف عن المشي عليها، فكل ما يمر بك يدهشك، وكل ما أمامك يغريـك، وكـل ماخلفـك يناديك.

كان مضيفنا لا يقل ذوقا وأدبا عن سابقيه.. طـاف بنـا بـين بعـض الممرات.. كانت الضحكات والابتسامات تشع من تلـك الـشرفات والجلسات البحرية الشاعرية والمشرفة.. كانت الأحاديث تشعرك بأنس الجنة ومرح أهلها وحبهم، كان الغناء والاحتفال يعج بتلك القـصور والشاليهات.. كانت الموسيقى الهادئة تنساب كالهمس، كما تنساب بين تلك الفتن التي لا تتحملها قلوب الدنيا ومشاعرها.. كانت الألعـاب الذكية التي يمارسها الاثنان والثلاثة والأربعة وما شئت من عدد تخلـق جوا من الأنس والحماس الذي لا لغو فيه ولا نكد أو غل أو مـشاحنة، كان الحماس والمزاح بالكلمات والأيدي والضحكات يزين الأجـواء، تحدٍ يسافر في الوقت الذي لا يعرف النفاذ.. جلسات نسائية وجلسات

رجالية وثالثة مختلطة.. الكل شباب والكل شغف، والكل لوحة من الأنس.

سرنا طويلا وكل ما حولنا يغرينا بالاكتشاف حتى انتقينا شاليها شاعريا وباذخا.. مقدمته بيضاء عريضة ومسيجة بالشجيرات والورود والزهور الفواحة، أما بوابته فكانت خشبية بيضاء وارتفاعها بمستوى وسط الواحد منا، وقد علقت باقات الزهور الصغيرة بين الخشبة والأخرى من السور الملون والمنخفض.

دلفنا خلال البوابة، فإذا ساحة من العطور تختلط بعبير البحر.. حديقة غناء من الأواني اللؤلؤية والمرجانية المنسقة والمليئة بالورود والشجيرات الملونة، ومقاعد وطاولات وحوض كبير جدا للسباحة، وشرفة أخرى في جهة أخرى من الشاليه مواجه للبحر أيضاً، حيث يعاني البصر والقلب كثيرا في الالتفات عنها.. كان مبنى الشاليه من الخشب وواجهاته الأربع من الزجاج.. تشاهد ما في الخارج ولا يشاهدك من في الخارج..

دخلنا من الباب الزجاجي فإذا قاعات عديدة للجلوس، وأثاث فاخر متناثر بروعة وإتقان وشاعرية، وعلى جانبي القاعات الفخمة جناحان كبيران وشاعريان... عندها سألنا مضيفنا وهو ينظر إلى قمصاننا المفتوحة الأزارير، عما نريد تناوله من طعام وشراب وما نريد أن نسمعه من أنغام، أو ما نشاهده من أفلام أو نقرأه من كتب؟

فقال صاحبي: ملابس.. هل عندكم ملابس؟

🍸 بالتأكيد.. لدى كل واحد جناح خاص لذلك، وعلى هذه الطاولة، وأشار إلى طاولة في زاوية في إحدى قاعات الجلوس الفسيحة التي تفصل بين جناحينا، كل ما تطلبانه من لباس أو شراب وطعام وأنغام ومراكب ويخوت وأشياء أخرى.

❍ ماذا تقصد بالأخرى؟

🍸 أنت في الجنة.. لا حدود للمتع والرقـي والنعـيم، ولا أريـد أن أحرمكما مفاجآتنا.

✍ إن وجودنا هنا فوق ما نحلم به من نعيم.

❍ شكرا لك على هذا اللطف.. أشعر بحاجة إلى الطعام والشراب...

✍ ولكن بعد أن نكمل ما بدأناه في هذا المحيط.

مشى مضيفنا نحو تلك الطاولة، ومد يده إلى مجسم خشبي يحاكي مـبنى الشاليه، ثم فتح أحد أبوابه ليخرج منه عدة قوائم، كـل قائمـة مـن الخشب لكن سماكته كسماكة الورق، أما محتواه فكـان عبـارة عـن أيقونات، وبلمسة خفيفة تتحول تلك المـساحة الخـشبية إلى عـرض متحرك أو ثابت لما تشتهيه من طعام وشـراب، وملابـس ومراكـب وغيرها... أخذها مضيفنا ثم قدمها قائلا: هذه هي القوائم ومن بينـها قائمة الطعام وهي كثيرة جداً.

✍ إنها حقا طويلة ولذيذة ومثيرة، وأكاد أتذوق لـذة الطعـام مـن صورته.. هل تختار لنا ألذها؟

🍸 لكما ما أردتما.. بعد إذنكما.. أين تفضلان تناوله.. في المطعم، أم في مقدمة الجزيرة، أم على شرفة الشاليه أم في مقدمته.

❍ سنجرب الجميع..

🍸 مارأيكم أن تبدأوا بالشرفة.

✍ رائع.. كم أنت لطيف .. شكرا جزيلا.

🍸 الشكر لله.. ستجدان طعامكما جاهزا حالما تعودان.. سـأترككما للتجوال في جناحيكما منتظرا أي إشارة منكما.

توجه خادمنا نحو الشرفة، أما نحن فتوجه كل منا إلى جناحه فـإذا هـو عائم على الماء، فيه مشرب خاص، ومقاعد، وغرف أنيقة وغرف تحت سطح البحر وأثاث خشبي فخم، ومسبح ألماسي متصل بالبحر ومنفصل عنه في الوقت نفسه، وشرفات علوية وعلى مستوى البحر وتحت سطح البحر، وأثاث وتحف ولوحات بالغة الترف والجمال والتناسق مع أجواء ما نحن فيه..

جلنا ساعات طويلة نقلب تحفه، ونتحسس أثاثـه ومفارشـه وأسـرته وأغطيته ووسائده، ونتأمل دقة صنعه التي لا يمكن وصفها.. نتأمل أسقفه ونجول في غرفاته وأسطحه تلك التي لا تنغص عليك فيها شمس حارقة، أو غبار مؤذ، أو رطوبة خانقة، أو سموم لافح، إنما هي أشعة منعـشة لا تؤذي العين، ونسيم لطيف منعش ومعطر.. ومناظر ساحرة في الـداخل والخارج.

مكثنا أوقاتا نقارن بين أحلام في الدنيا بالحصول على حجز في شاليه، أو غرفة في فندق يطل على بحر، أو حلم بالسفر إلى بلاد غربية أو شـرقية بكلفة معقولة، والبحث المرير عن التخفيضات مع الجودة والثقة بتلـك الوكالات التي يجيد الكثير منها الاحتيال.. حيث تسافر فلا ترى عشر ما اتفقتم عليه ودفعت للحصول عليه.. ناهيك عن تلك الأوقات الأمر التي نقضيها في الحصول على التأشيرة، وتلك النظرات داخـل تلـك السفارات، التي تمن علينا بصرف مالنا، وتبخل علينا بمتعة أسـبوع أو أسبوعين..

يا ألله ما أتعس أحلامنا في الدنيا مقارنة بما نملكه اليوم.. كان خادمنـا يستمع لنا ويبتسم فشاهدنا ابتسامته من فوق، ولما سأله رفيقي عن سر تلك الابتسامه رد قائلا: سيدي هذا النعيم الذي تتغنى به ويسحرك مـا هو إلا أماكن عامة لكل مؤمن نصيب فيه، أماكن عامة يجتمع فيها أهل الجنة ويلتقون ويتعارفون، أما ما ينتظركما من عوالم خاصة بكل فـرد منكم فشيء آخر.. شيء آخر لا يمكن وصفه.. أنتم في درجات الدنيا الأولى ومدنها العامة التي يلتقي فيها الجميع، أما القادم.. فـلا تـشغلوا أنفسكم به.. دعوه يحتضن أيامكم القادمة.. إنه يحتـاج إلى مليـارات السنوات من الدهشة والعشق.. سيداي هل تسمحان لي بسؤال؟

❍ تفضل.

🍸 لا أرى معكما صديقات.

❍ ولم تسميها صديقة بدل زوجة؟

🍸 إنه لفظ يفضله البعض هنا.

❍ ولم؟

🍸 البعض لا يريد تذكر مشقة الحياة الدنيا، ومسئوليات الأسـرة.. يريد أن ينطلق من كل مسئولية.. من كل قيد.. من كل منغص.. مـن كل حدود ومساءلات.. يريد أن يحتفي بعشق لا حدود له، وبشغف لا تتسع له سوى الجنة.. و

✍ مهلا مهلا تكاد تفرق بيننا بكلماتك التي تقتلنا بالشوق..

🍸 ولم؟

❍ تعاهدت وصديقي أن نمضي زمناً في رحلة عزوبية.

🍸 صاحبتكما السلامة.. ليتني لزمت الصمت.

❍ لا عليك فالشوق في النعيم نعيم آخر.

🍸 ملابس السباحة في الغرف الخاصة.. تعرفو ا.. هل مـن خدمـة أخرى..

✍ شكراً.

نزلنا ولبسنا ملابس السباحة، ثم صعدنا إلى شرفة جناحي العلويـة ذات المقاعد الوثيرة، والإطلالة الشاعرية العريضة، فقال صاحبي: والآن مـا رأيك يا صديقي وقد ارتدينا ملابس السباحة بنوبة أخرى من الجنون؟

ففزنا كغطاسين محترفين في مسابقة للغطس، وغصنا عميقا حتى لامـسنا الأعماق المضيئة كأسماك جميلة.. شاهدنا العديد من الشباب يتـسابقون نحو الأعماق مثلنا، ويبتهجون مثلنا.. ويـشكلون دوائـر ومثلثـات

وأشكالا يمارسون من خلالها فرحهم.. الذي جعل من ذلـك المحـيط كرنفالا من السعادة.. شاركنا الكثير لهوهم ولعبهم ورياضا م، وتعرفنا على الكثير وتحدثنا طويلا وتناولنا المثلجـات والمـشروبات سـاعات وساعات ممتدة وطويلة.. كان الزمن خلالها يضحك في وجوهنا ويدفعنا إلى ذروة المرح.. كان الزمن يسبح معنا ويمرح.. لم نكن نخشى فـوات شي.. ولم نكن نعاني من وقت ممل أو فواصل بين المتع.. ركبنا إحـدى الموجات فقذفتنا كطيرين فإذا بنا نسبح في الهواء أمام شاليهنا المـؤطرة بالورود.. شاهدنا الخدم والسقاة وهم ينتهون من وضـع اللمـسات الأخيرة لمائدة تلوح لنا وتغرينا، ويلوحون بأيديهم تضامنا معها.. لوحنا لهم ونحن نعانق موجة أخرى تقذفنا في الاتجاه المعاكس.. وبعد سـاعات طويلة شعرنا برغبة عارمة في الطعام بعد هذا ا هود الطويل.. فانـسبنا من تحت الماء نحو أسفل الجزيرة الخشبية، وما إن رآنا نادلان من نـدل الجزيرة حتى أسرعا بفوط كبيرة نحونا.. أشارا إلينا بمقعـدين مـريحين، فقمنا بتجفيف أجسادنا وشعرنا، ثم تبعهما نادلين بكأسين من شـراب لذيذ جدد فينا النشاط والحماس لالتهام تلك المائدة الفاخرة التي تنتظرنا على الشرفة.

بعد استرخاءة ممتعة سافرنا فيها مع ذلك الشراب ضنا نحو مائـدتنا.. سرنا عبر أروقة وأجنحة الجزيرة الخشبية الواسعة المدهشة متزرين بتلك الفوط الجميلة التي اتخذنا منا إزارين حول خصرينا النحيلين المشدودين، ورداءين فوق كتفينا العريضين.. كانت تقاسيم أجـسامنا وعـضلاتنا

ووسامتنا نعمة تجعلنا نلهج بالشكر كلما مررنا بمرآة أو شيء يعكس ما أمامه..

دلفنا نحو بوابتينا، وانتقى كل منا ما يحلو له من لباس، ثم خرجنا للشرفة ورأى بعضنا بعضا فذهلت، أما صديقي فـدمعت عينـاه وتـسمر في مكانه.. ثم تنهد بعمق وهو يرفع رأسه إلى سماء الجنة الجديدة..

توجهنا نحو طاولة كباقة من الزهور النادرة.. الزهور الفواحة.. المناديل الحريرية الملونة.. الملاعق والشوك والسكاكين والملافظ الذهبية الصقيلة واللامعة.. الأطباق والصحون بأحجامها المختلفـة والمـصنوعة مـن الأحجار الكريمة.. الكؤوس الألماسية..

أما الطعام فألحان أخرى:

السلطات التي تحتوي على نباتات لا تعرف السماد الأرضي ولا حـتى التربة.. بألوان جديدة لم نعرفها من قبل.

الحساء الذي تدهشك مكوناته ويسكرك طعمه.. وتحـتفظ الأطبـاق بدرجة سخونته..

الأطباق المتنوعة التي تحتوي على أطايب لحوم الطيور الناعمة والأسمـاك واللحوم.. وطريقة إعدادها والرائحة والأبخرة الفواحة المنبعثـة منـها، والتي تضفي على تلك المائدة ضبابا خفيفا ومغريا بالتهام كل شيء.

المشروبات بدءا من الماء وانتهاء بالخمر مرورا بأنواع كثيرة من العصائر والمشروبات الجديدة.

الفواكه التي قد تتشابه مع ما كنا نراه بالشكل لا بالطعم.. لا قشور ولا بذور داخلها، وعطرها الجذاب الذي لا يقاوم.

أصناف الحلوى المعدة بأشكال فنية رائعة، وألوان مختلفة وجديدة.

ترتيب المائدة البالغ الرقي.. شكل الطاولة ومقاعدها المحفورة بإتقـان.. وشرفة تطل على عالم مليء بالجمال والسحر والفتنة، وسماء ذات ألوان تريح النفس وتغري بالتأمل الطويل..

وعطور فواحة تتضوع في المكان كلـه.. وجـيران غايـة في اللطـف والوسامة والجمال والحميمية يتمتعون بما نتمتع به.. لا أحد منا ممنوع مما يشتهيه بسبب مرض أو علة، فلا ضغط ولا سكري، ولا كوليـسترول ولا جلطات أو ذبحات أو سكتات، أو محرمات أو ممنوعات.. ولا عسر هضم أو قرحة...

أخذنا مقاعدنا المريحة على تلك الطاولة.. وشكرنا النادل علـى كـرم خلقه وذوقه وحسن إعداده..

لم نكن ونحن ننظر إلى أنفسنا وما حولنا نحتاج إلى المزيد.. كان كل شيء كامل وفوق ما نحلم به.. مكان كهذا وجمال كهذا، وصحة كـصحتنا وأبدان كأبداننا لا يستطيع أحد في الدنيا أن يملكها أو يحضى ا، ولـو كان يحكم الأرض من أقصاها إلى أقصاها.. مكان كهـذا لا يمكـن أن يكون على الأرض.. وجمال كهذا لا يمكن أن نراه في الدنيا.. ووسـامة كالتي نملكها لم يتمكن أحد من امتلاكها أو رؤيتها في الدنيا.

قلت لصديقي: كم يدفعون في الدنيا لقاء التمتـع بأجـساد وأمكنـة وملذات كهذه.

❍ لا أظنهم يملكون ثمن صور لها.

✍ ليت من كذب ا يحصل على بعض الصور.

❍ دعنا منهم وانظر إلى هؤلاء الشباب وهم يزيدون المكان الـساحر سحرا وروعة.

توجهنا بأنظارنا إلى تلك اللوحة التي أمامنا وإلى ما بين أيدينا من مائـدة فاخرة.. كان الطعم يأخذنا بعيدا والرائحة أبعد.. أما المـشهد فيتـولى الباقي..

أمضينا ساعات وأيام طويلة من اللذة.. ذات يوم كنا نسير عبر تلـك الجسور بين الشرفات والجلـسات والمـشارب والمقـاهي المكـشوفة والأماكن الاحتفالية الجميلة، عبر أرخبيل من الجزر الساحرة والممرات العبقة بأنواع الزهور الملايينية الفاتنة..

توجهنا نحو جسر عريض يتوغل في مساحة تحيط ا القصور والشاليهات العائمة، وفي ايته دائرة كبيرة ومكشوفات مزينة بالمقاهي والمشارب.. كان المكان يعج بالزائرين والزائرات، وكان لكل جلسة بروز مـستدير يضفي خصوصية، جلست وصاحبي لتناول ما لديهم من نكهات القهوة الفاخرة، وبعد ساعات من التأمل والحديث رأيت مجموعة من الأصدقاء تتجه نحو شرفة دائرية، تحلقوا كالفرح، وحلقوا في أحاديث سمر يتخلله انفجار ضاحك بين فترة وأخرى، تعجبنا من تلك الـصحبة الجميلـة،

فاقترح صاحبي أن نتعرف عليهم، توجهنا إليهم فنهضوا جميعا تعلوا تلك الوجوه الساحرة ابتسامات تزيدها جمالا وسحرا.. رحبوا بنا وحلقنا في أجوائهم، وطلب أحدهم الشراب للجميع، فتلك الإطلالة وأولئك الندماء لا ينقصهم شيء، لكن للشراب عبقه ومفعوله.

قال أحد الظرفاء ألم تعرفوا هذا الشاب الوسيم القسيم؟

فقال صاحبي: لقد عرفني باسمه، لكنني لا أعرف من كان في الدنيا.

◔ إنه رئيس بلادنا العادل وسر ألفتنا.

توجه صاحبي بسؤال سريع فقال: هل كنت تحكم بلادا كبيرة

♛ كانت بلاد كبيرة في مقاييس الدنيا.

✍ صف لي الأمارة كما عشتها.

◒ كان عادلا معنا.

❍ هل كنت من حاشيته؟

◒ أجل.

❍ إذا فشهادتك مجروحة.

فهقه الجميع على تعليق صاحبي، فقال أحدهم وهو يضحك: كلنا من حاشيته. فقلت: أعتقد أن صاحبي لن يغادر هذا المكان.

ضحك الأمير وقال: إن من تروهم كانوا خلاصة أحبابي والصادقين معي.. كانوا قرة عيني، كانوا شركائي في أي إنجاز، لم يكونوا يخدرونني بالثناء بقدر ما كانوا يرهقونني بالملاحظات، كانوا يذكرونني بهذه الجزر الساحرة، كانوا يذكرونني بعمري الذي يتناقص، والشيب الذي يغرس

سكاكينه في شيخوختي دون أن أستطيع الدفاع عن نفسي، ولو وقفت جيوشي كلها معي.. ولو تبرع شعبي بأعمارهم لي.. كان هؤلاء الرجال المخلصون يقولون لي: من أنت.. من أنت؟ لا تقارن ملكك بأملاك من استرعاك الله عليهم.. قارن ملكك بملك الله، وقارن سطوتك بجـبروت الله، حتى كنت أشعر وأنا الأمير الذي يهابني كل شعبي.. كنت أشـعر بالخوف كلما نمت.. كنت أخشى ألا أفيق، كان كل صبح جديد عمرا جديدا بالنسبة لي.. كانت هذه الحاشية الجميلة تذكرني بأبواب الفقراء، ودموع اليتامى وآهات الأرامل.. كانوا يلحون علي إذا ما تبرمت مـن طلبا م قائلين: هل ستموت من الجوع لو أعطيتهم، هل سـتعرى لـو كسو م، هل ستفلس لو أنفقت عليهم..؟ كنت أغضب عندما يقـول أحدهم لي: إنك لن تستطيع تناول أكثر من ثلاث وجبات، ولا تستطيع أن تلبس أكثر من لباس واحد، إنك تنام مثل شعبك، وتشرب مثلـهم وتتنفس مثلهم وتذهب إلى دورات المياه مثلهم، وتتعب مثلهم، وتمرض مثلهم، وستموت يوما مثلهم.. كنت أغـضب عنـدما أسمـع تلـك الكلمات.. لا لأنني أكرهها، ولكن لأني أشعر ألا فرق بيني وبينهم..

✍ بلى كان هناك فارق كبير بينك وبينهم.. كل فرد منهم سيسأله الله عن نفسه وعمن يعول فقط.. أما أنت فسيسألك الله عن كل فرد مـن شعبك.

♛ إنه فارق لصالحهم.

❍ بالتأكيد.. لكن دعني أسألك عن عدلك؟

♛ بفضل الله ثم بفضل هؤلاء الرجال الأطهار حاولت جهدي أن أعدل.

✍ وكيف كانت النتيجة؟

♛ في البداية خفت من استغلال الناس للعدل وتمردهم، ولكن حاشيتي كانت تذكرني دائما، أن العدل الذي قامت عليه السماوات والأرض، لن ينهار لو وضعت بلادي عليه.. لقد حملني الناس بقلوبهم.. نقشوني في بيوتهم ومجالسهم وأشعارهم، والأهم من ذلك أنهم كانوا يدعون لي سرا وجهرا.

❍ وكيف اقتنعت بالعدل..

♛ أحد أفراد حاشيتي قال لي يوما: تصور أنك أسعدت كل بيت من هذه البيوت المتطلعة لك بعد الله.. كم من كربة ستزيل.. كم من حسنة ستكسب.. كم من دعوة سترفع لله من أجلك.. كم من حب لك سيجرف قلوب شعبك.. سيخلدك التاريخ.. لقد أنفق غيرك المليارات ليلمعوا صورهم، ولما ماتوا أنفق الذين بعدهم مثلها لكي ينسوا تلك الصور، هكذا هي الدنيا، وهذا هو طبع البشر، لكنك لو أنفقت تلك الأموال على الفقراء والمساكين لبنيت في قلوب الناس مساكن وسكنت وحدك فيها، ولن يستطيع أحد أن ينتزعك من تلك القلوب ولا من التاريخ.. أبو بكر عمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز، لم يكن لديهم شهادات عليا، ولم يتخرجوا من جامعات تدرس فن الإدارة والسياسة.. لكنهم تعلموا شيئا سهلا للغاية ولا يحتاج إلى شهادات ولا

فلسفات أو تعقيد.. تعلموا على يد محمد صلى الله عليه وسلم الخـوف من الله.. وتعلموا العدل..

لقد فتح لي مستشاري المصحف وقال لي: يا سيادة الرئيس انظر هـذا المصحف.. انظر إلى كلام الله لك.. اقرأه لن تجد فيه سوى آية واحـدة تأمرك بقطع يد السارق.. لكنه قبل أن يطالبك بقطع يد السارق.. يمطر قلبك وضميرك بآيات جميلة وملحة على العدل .. آيات تقول لك يـا فخامة الرئيس:

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا)

إنه العدل يا سيدي و(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القـربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)

العدل أحد أهم رسائل القرآن: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقـوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا)

(الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب)

إنه العدل يا فخامة الرئيس.. العدل رسالة كل الأنبياء بعـد التوحيـد

(ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينـهم بالقـسط وهـم لا يظلمون)

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النـاس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ولـيعلم الله مـن ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز)

وهو رسالة نبينا التي ألقاها القرآن على عاتقه فقام بها خير قيام عندما خاطبه القرآن قائلا: (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير)

ويقول لنبيه: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون)

العدل كان محور رسالة نبي لقوم فشا بينهم الظلم والغش والفساد المالي، حيث يحكي القرآن قول ذلك النبي (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)

(ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا * وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا)

(وزنوا بالقسطاس المستقيم * ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)

العدل رسالة النخبة يا سيدي وأنت سيد النخب وأميرها: (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)

إنه يأمر المؤمنين وأنت أمير المؤمنين وقدوتهم (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا)

العدل واجب حتى مع الخارجين عن القانون (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)

العدل دليل على رقيك يا سيدي وتحضرك وسمو ذاتك: (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم)

العدل واجب في الزواج (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة)

وواجب وفي تدوين المستندات والوثائق (وليكتب بينكم كاتب بالعدل)

العدل واجب حتى مع من نبغضهم ويبغضوننا أو من نعاديهم ويعادوننا (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)

العدل واجب حتى مع من يكذبون ويسرقون ويلفقــون لنــا التــهم ويشوهون ديننا ممن هم (سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين)

العدل واجب في تعاملاتنا مع غير المسلمين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)

العدل شيء مقدس (والسماء رفعها ووضع الميــزان * ألا تطغــوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)

لدرجة أن جعل الله لذنب الكفر وذنب قاتل النبي وذنب مــن يقتــل شخصا يأمر بالعدل عقابا شنيعا واحدا: (إن الذين يكفرون بآيــات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط مــن النــاس فبشرهم بعذاب أليم)

القرآن يذكرك بدموع اليتامى يا سيدي (وأن تقوموا لليتامى بالقــسط) أتعلم أن كافل اليتيم جار للنبي صلى الله عليه وسلم في الفردوس، فهل سينافسك أحد في جواره وأنت تكفل كل يتامى شعبك.. كــم أنــت محظوظ يا سيدي

ثم اعكسها يا مولاي واسأل نفسك: لو أدخلت الفاقة إلى كل بيــت، فكم من دعوة في جوف الليل سترفع نحو الله ضدك، ولو أدخلت فسادا إلى كل بيت فكم من سيئة ستلقى في ميزانك.

سيدي وقرة عيني عش ما شئت فإنك ميت
أحبب من شئت فإنك مفارقه
املك ما شئت فإنك راحل وتاركه
افعل ما يحلو لك فإنك محاسب عليه
سيدي أنا لا أتحدث عن أسرارك ومعاصيك بين جدران بيتك، فتلك أمور سترها الله عليك ويغفرها لها إن شاء الله.. أنا أتحدث عن أمور بينك وبين رعيتك الذين يفدونك بالروح والدم.. ألا يستحقون منك رحمة وحنان الأبوة.. سيدي أنت كريم وهم يستحقون..

توقف الأمير وهو يراني وصاحبي وقد لمعت عيوننا، وتركتنا أذهاننا، ورحنا في تأمل طويل طويل.. بعده قال صاحبي: أيها الرجل العادل: وماذا أعطاك ربك؟

♛ ما أعجب سؤالك وأغربه.. ألا ترى ما نحن فيه!!

❍ زدني فلقد أذهلتني كلمات مستشارك.

♛ لقد أمنت عندما فزع بعض الناس، وأظلني الله في ظله عندما فرق بعض الناس من العرق والحر الشديد.. وهان علي يوم القيامة حتى كأنه ساعات من الفرجة والسياحة وانتظار إعلان أسماء الناجحين والمقبولين، أما أملاكي وأملاك أصحابي فلا نهايات للبذخ والترف والنعيم فيها، أما جسدي فأنت تراه وترى شبابي وعنفواني.. لقد كادت شيخوختي المتجعدة الهرمة أن تحرمني بأنانيتها من هذا النعيم الساحر.. لولا الله ثم

هؤلاء الرجال العظماء لكنت في حفرة منتنة ألعن من حولي ويلعنونني.. يسكب علي الماء المغلي والزيت المغلي، وطعامي مر مرير وأجوائي لهيب أو زمهرير.. الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.. الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني..

ردد الجميع ذلك الثناء الأبيض وزاد كل فرد منا ما يطوف بقلبه من عرفان..

✍ وماذا فعل الله بأصحابك ومستشاريك؟

♛ هاهم أمامك، بل زادوا علي بحصولهم على أجر مماثل للذي أحصل عليه.. ألم تعلم أنه من يدل إلى خير فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة.

✍ كانوا كالملائكة...

◔ أبدا كانت لنا هنات وزلات، لكننا كنا نسترها عن أعين الناس، ونرجو الله أن يغفرها وقد غفرها ولله الحمد، لكن همنا الأول هو من وضعهم الله أمانة في أعناقنا.. كان هذا أكثر ما يرعبنا ويقض مضاجعنا، والحمد لله أولا وآخراً على النجاة، والحمد لله إلى الأبد على هذا النعيم.

❍ كيف تقارنون ما تملكونه اليوم بما كنتم تملكونه في الدنيا؟

◒ إنها كالمقارنة بين أن تحصل على قصر وأن تحصل على صورة لذلك القصر.. أو تحضى بفاتنة بارعة الجمال، مقارنة بمن يحصل على صورة لها.

◐ أنا أفار ا بمن يسمع عن هذه الجزيرة الساحرة وبين مـن يـستلقي على ضفافها.

❍ حقا إن المسئوليات كـ لمن عرف كيف يديرها.

✍ سمعنا من بعض الجيران أن هناك جزرا أخرى ليست بعيدة؟

♛ يا إلهي ما أروعها.. جزر ساحرة من اللؤلؤ، وجزر من اليـاقوت، وجزر من المرجان، وجزر من الألماس، وجزر من أحجار كريمة لا حصر لها، ومن معادن ثمينة ومواد لا نعرفها.. وأخرى مشكلة متنوعة..

◑ ما رأيكم في أن نأخذكم معنا في رحلة نحوها داخـل هـذا المحـيط المدهش.

✍ لا مانع لدي.

❍ وأنا كذلك.. لكننا لم نستغرق هذه الجزر ولم نشف غليلنا منها.

◓ لو بقيت قرونا لما مللت منها ولما روت غليلك.. ألا تذكر كم كنا نعيش في قصور ربع قرن ونصف قرن ونحن نباهي غيرنا كلمـا غيرنـا ألوان الجدران، أو أطقم الأثاث والستائر، أو حتى المصابيح.. كم كنـا نفاخر غيرنا باستيراد بلاطنا أو رخامنا أو أثاثنا، أو أدواتنا الكهربائية من تلك البلاد أو تلك، وسجادنا من هنا أو هناك.. كـم كنـا نفـاخر بعلامات الشركات الكبرى محفورة على ما استوردناه.. انظر إلى هـذه الجزيرة الساحرة ثابتة دون أعمدة، دون دفن للبحر كي تثبت عليـه.. انظر إلى تلك الجزر الأخرى، حيث يصب القصر كله صبا من لؤلؤة أو مرجانة أو ألماسة واحدة.. لقد أخذنا العجب في الدنيا من ثـري حفـر

حماما له من الرخام.. لم يفعل أحد مثله.. لكنه كان حماما لـو توقـف تصريف الماء فيه لما أطاق أحد البقاء فيه، ولولا التهوية لما بقـي فيـه، ولولا التكييف لاستعاض عنه بحمام صغير ولو في أرض فضاء؟

❍ صدقت.

◔ ما رأيكم لو قمنا بتناول الطعام هناك "وأشار إلى يخت مرجاني هائل الحجم بالغ الفخامة يرسوا قرب قصر عائم يتنافسان في الفخامة وبراعة التصميم" كان هناك الكثير الكثير منها لهم ولغيرهم..

❍ كما تشاءون..

استدعى مضيفنا أحد المسئولين عن إعداد الولائم، وطلب منه إعـداد مأدبة فاخرة على سطح ذلك اليخت المرجاني، أما نحن فنهضنا لإكمال حديثنا والاستمتاع ببعض أجواء جزيرتنا ومشاهدها، والتعرف علـى مزيد من الجديد ونحن في طريقنا إلى اليخت.. استغرق ممشانا أوقاتا من النعيم، فنحن نقيس الأزمنة بالنعيم، لا بالدقائق والساعات... بعـدها دلفنا إلى يخت صاحبنا..

كان عالماً آخر فسيحا ومتسعا لكل أنواع المتعة.. المشارب والمـسابح ،والإطلالات والمقهى والمرقص والمسرح، والغرف الكثيرة، والقاعات الفسيحة المفروشة بالسجاد والخشب الصقيل، أبحرنا على ذلك اليخت نحو جزيرة لؤلؤية تنافس سابقتها شاعرية وفنا.. مكثنا فيها أشهرا ننتقل ونصادق ونضيف ونستضاف، ونمرح ونلهو ونلعب، ويجد بنا الحـديث ويرتخي حتى نستلقي من الضحك.. بين تلك الجزر الحالمة وعلى تلـك

اليخوت.. لا أدري كم عاما استغرقته رحلاتنا، فالزمن والخوف والقلق قد أطيح ا خارج أبواب الجنة..

مرت الأعوام بي وبصاحبي ونحن في سكرتنا التي لا نريد إفاقة منـها.. وبينما كنا نتمشى على إحدى الشواطئ اللؤلؤية الطويلـة، قـال لي صاحبي: أشعر بشيء يناديني بعد هذا الشاطئ.. شيء جميل ومدهش، ما رأيك لو بحثنا عنه..؟

وافقته وودعنا أصدقاءنا على أمل لقياهم مرة أخرى..

أخذنا بالسير على شاطئ تأخذ حبيباته ألوانا لا حدود لها، وبمحاذاتـه طريق فسيح جدا للمركبات.. معبد بالجواهر والأحجار الكريمة، وعلى جانبيه طرق المشاة خلال النخيل الملونة والأشجار الباسـقة، وجـزر الزهور والورود العطرة.. مررنا برجال ونساء يـسبحون ويتزلجـون ويمرحون ويصرخون ويأكلون ويشربون، ويتقلبون في النعيم على تلك الرمال الملونة الناعمة النظيفة.. مررنا بفتيان وفتيات يتزلجون على الماء ويركبون القوارب والدراجات المائية، كانت سعادم تملأ المكان، أمـا صراخهم فكالموسيقى التي تلحن الأجواء.

رأينا مجموعة من الفاتنات يتسابقن على الشاطئ فقال صاحبي: هؤلاء من كن يصفهن الملاحدة بالمتخلفات والرجعيات والظلاميات.. سبحان من منحهن هذ الجمال والعبق والحرية والانطلاق والسعادة، فلتتمتـع أولئك الملحدات اللواتي شتمن الدين وكفرن بأحكام القـرآن بقـبح

الوجوه ومزع اللحم في ذلك الجحيم، فليتمعن بتشوه الأجساد، وشعث الشعر وقذارة الثياب ونتن الرائحة التي لا يطقن منها..و...

✍ توقف أرجوك.. لا تشوه ما نحن فيه.. تأمل هؤلاء الزهرات.. ما أجملهن.. ما أعذبهن.. ليس بينهن مشوهة أو قبيحة.. ليس بينهن من تخجل من لون أو شكل، أو تشوه أو رائحة أو فقر أو حاجة، أو ذلة أو أي عيب.. إنها الأنوثة في سحرها وعبقها وأبهى جمالها وأسمى معانيها.. إنها الفتنة التي لو رأيناها في الدنيا لصرفتنا عن أموالنا وأهلنا ومشاريعنا.. إنه السحر الحلال الذي يعطف إليهن، ويصرف عن غيرهن دون شرك أو شعوذات.. إنها الحرية التي لا حدود لها.. حيث لم يعد هناك من داع لتلك المحرمات والضوابط.. لم يعد هناك من جريمة.. لم يعد للرجل تلك المشاعر الشريرة في اقتحام أسوار الغير واستباحة ما ليس له.. لم يعد هناك من غل وجشع يجعل من الرجل شيئا شريرا يعبث في الأرض فسادا، ويرى أن كل شيء مرهون بإرادته.. لا مكان في الجنة لرجال منحطين يستغلون أجساد النساء، من أجل إتخام جيوبهم وأرصدتهم بالمال السريع والقذر.. ولم يعد للمرأة ذلك الشعور بالدونية والضعف والخوف من المغتصب والمفترس.. لم يعد للمرأة ذلك الشعور بالحاجة لحماية الرجل وقوته وسلطته.. ما الذي تحتاجه المرأة من الرجل، وما الذي تخشاه وقد قيلت لها عند دخول الجنة كلمتان.. لم تجدها في قوانين الرجل ودساتيره على الأرض: {ادخلوها بسلام آمنين} سلام وأمن مطلقين لم يستطيع الرجل توفيرهما لها رغم هذره الممل عن

حقوقها.. في أرقى الديموقراطيات في الدنيا كانت المرأة جسداً يتـاجر به.. قطعة لحم تدر المليـارات علـى صـفحات الجرائـد وا ـلات والقنوات.. كانوا يضعون قنوات ليس فيها فكر أو عقل أو روح.. فقط قطعة لحم يطلقون عليها امرأة.. أحد زعماء أكبر الدول الديموقراطيـة التي تنادي بحقوق المرأة له أكثر من مائة عشيقة.. معظم الأثرياء الـذين ينادون بحقوق المرأة كانت يخو م في الدنيا مواخير متنقلة تزدحم بقطع لحم اسمها المرأة.. طرقات السياحة وجدرا ا كانت ترصف بقطع اللحم تلك.. لم تعد المرأة قطعة لحم بعد أن قيل لها: ادخليها بسلام آمنـة.. لم يعد للرجل من قدرة جسدية أو سلطوية أو قانونية ليستغلها.. ماتـت العادات والتقاليد في الجنة.. ماتت القيود في الجنة.. ماتت السلطات في الجنة.. ماتت القوامة في الجنة.. لن يستطيع رجل إرغام امـرأة علـى شيء.. لها ما تشاء وعند الله المزيد.. عندما كنا في الدنيا كان الرجـل افتراس كل ما أمامه.. ينتهك.. يغتصب يمارس ألاعيبه ويرمي شـباكه، والضحية امرأة، والمرأة غالبا ما كانت تدفع الفاتورة لأ ا الأضـعف، حتى في تلك البلاد التي يتغنى الناس بحريتها، تغتصب فيهـا الفتيـات بالدقائق لا بالساعات، رغم أن كل أبواب الحرام والحـلال مـشرعة ومفتوحة.

❍ ولم الاغتصاب والحلال والحرام متاحان!!

✍ إنه الطمع والحسد والجشع.

❍ و هل ماتت العواطف وانتحرت الرغبات هنا في وجود مثل هـذه الأجساد الرائعة، المفعمة بالأنوثة والرقة والجمال والفتنة، ؟

✍ لا.. بل تضاعفت عشرات المرات، فالرجال والنساء هنا كلـهم شغف ورقة ورومانسية وحب وغرام، لكن دون اعتداء أو جشع.. لقد نزع الله ما في قلوبهم من غل وحسد وطمع فيما عند الآخرين.. الكـل وسيم وجميل وغني وكريم وسخي.

❍ أما من حجاب؟

✍ الحجاب في الجنة مجرد زي أمره يعود للمرأة لا للرجل.. فلـها أن تلبس ما تشاء.. هناك شيء أهم من الحجاب رفع عن المرأة.. الـصلاة والصوم والحج.. إنها أركان الدين.. المرأة في الجنة عبق لا مثيل لـه.. جنة ساحرة تطوف بين الجنات.. لا نكد في حياتها ولا ملل ولا مرض.. لا حيض ولا نزيف ولا وحام ولا ولادة ولا نفاس.. ولا ما يـصاحب تلك الأمور من أعراض وانتفاخات وتورمات وقيء وترهـل وتعـب وقرف.. أدخلوها بسلام آمنين هكذا قيل لأهلها عند بوابتها.. بل إنني أزيدك من الشعر بيتا؟

❍ الله ...الله... الشعر ... ذكرتني بهذه الكلمة.. الشعر... هذا هـو مكان الشعر وزمانه، فلا أروع من هذا المكان للشعر.

✍ صدقت لا أروع حتى الآن، لكننا سنجد أروع منه.

❍ أصدقك لكنني عاجز عن التصور.

✍ نحن لم نقطع سوى بضع خطوات بالنسبة للجنة.

❍ ما البيت الذي كنت ستزيده؟

✍ إنه مثل دارج، هل نسيت أمثالنا في الدنيا؟

❍ لقد نسيت كل الدنيا ومباهجها عند رؤيتي لبوابة الجنة، بل شاهت مباهجها التي كنا نقتتل من أجلها.. كنت ستزيدني شيئا حول المرأة.؟

✍ أجل، كنت سأقول لك: لو أرادت المرأة أن تتحـول إلى رجـل لتحقق لها ما أرادت.

❍ آه... كم ستتحطم من قلوب عند ذاك.

✍ ذاك في الدنيا، أما هنا فالقلوب يغمرها الحب والغرام والـشغف، ولكن ليس في قاموسها شيء اسمه حطام... لقد ذكرتني بحطام القلـوب على شواطئ الأرض.

ضحك صديقي ثم قال: دعنا نسترخي على هـذا الرمـال اللؤلؤيـة الناعمة، فالحديث عن الشعر جميل أمام هذا البحر المنعش الذي يعـج بالمشاعر والأنس والفرح..

جلسنا، فبدأ يدخل يده في رمال اللؤلؤ ويرفع كفه متأملا.. فتح أصابعه فبدأ الرمل اللؤلؤي ينساب من بينها كالماء، ثم أمال كفه برفق فانثـال وله بريق مدهش، فعلها مرارا وهو يبتسم ويقول: انظـر.. انظـر.. ثم التفت إلي وقال: كيف يصف الشعر ما نحن فيه؟

✍ الشعر يا صاحبي لا يكتفي بتصوير الواقع ووصفه أو تلوينه وصبغه من الخارج.. إنه حيث يعيد خلق الواقع.. يهدمه ويبنيه مـن جديـد.. الشعر عالم تجد فيه الأماكن التي تتسع عندما تضيق الأنفـس وتـصادر

الحريات، والأجنحة التي تسافر بك عندما يصادرون جواز سفرك، أو يمتنعون عن إعطائك تأشيرة دخول.. إنه كالحلم لا يعرف الجدران.

❍ لكن أي شعر يستطيع أن يرتقي إلى هذه الروعة.. أعجز عن تصور شعر يملك القدرة على إعادة تشكيل في الجنة.. في الدنيا كنا نحلم بفتيات الجنة.. كنا نحلم بتبادل العواطف والوله معهن.. لكنني أجد الشعر خجولا أمام سحرهن وفتنتهن.. كان الشعر قادرا في الدنيا على المبالغة.. اليوم حتى مبالغاته خجولة ؟!

✍ إن الذي منحنا هذا السحر والنعيم قادر على أن يمدنا بشعر آخر يرتقي إلى مستوى ما نعايشه وما نعانيه هنا..

❍ ماذا ستقول لو سحرتك إحداهن من شرفات الجنة؟

✍ كلي يقين أن شعر الدنيا.. كل الدنيا لن يرتقي إلى تلك المشاعر واللحظات، لذا أسأل نفسي وكأني أسألها:

وقربك والخلد ماذا أقول	وماذا لدى الشعر حتى يقول
لغاتك تنهار عند اللقاء	حروفك لا تستطيع الوصول
تموت الحروف وتحيا لها	حروف وشعر جديد الأصول

❍ أجل يا صديقي وماذا لدى الشعر اليوم حتى يقول.

✍ الإنسان هنا يرى أحلامه وما وراءها.. هنا يرى الأماني وينشغل بتحقيقها.

❍ كنا نحلم بفتيات الجنة.. كان حلماً يدفعنا التمسك به نحو المزيد والمزيد.. كان يأخذنا بعيداً عن عفن الرذيلة وأرصفة الإحباط ومفاوز اليأس.. نحو الله.. نحو أبوابه وعطاياه..ترى كيف هي فتاتي وكيف قصرها؟

✍ لطالما بنيت لها بالدعاء القصور.. لطالما شققت لها الأنهار في مخيلتي.. لطالما سقيت ربوعها بالأمطار والأشعار، ولطالما طاف شعري حول خيامها وأغنامها وحِماها.

❍ ألم تمر بك حالات يكاد معها ذلك الحلم أن يتحول إلى سراب؟

✍ بلى.. وما أقساها من لحظات تلك التي أتصور أنني خارج هذا العالم الساحر، في تلك الحفر المنتنة والوجوه المقززة.. بعيدا عنها.. ما أقساه من تصور، وما أتعسها من حياة.. عندما تستبد بي المعاصي.. أشعر بالغربة ويطير النوم من عيني ويستبد بي خوف لا أطيقه.

❍ ياله من شعور بالغ القسوة والمرارة.. ألا تكون هناك.. أن تتأخر رحلتك، أو تتحول محطة وصولك.. حتى الشعر أكثر الشعر مبالغة لا يستطيع تصوير ذلك الشعور.

✍ ذكرتني بمبالغات الشعراء وتزييفهم لوعي الإنسان.

❍ لكن الشعر ليس تصويرا فوتوغرافيا للواقع.

✍ تماماً لكن الانفصال الفج عن الواقع تزييف.. الواقع كالشمس والشعر انبثاق الأشعة منه.. إنه ليس صورة فوتوغرافية للشمس.. إنه جزء منها منبثق عنها، لكنه أكبر حجما وتأثيرا وإضاءة وكشفا.. هكذا

أرى الشعر وهو ينبعث من الواقع وينفصل عنه ويتجاوزه إلى المنـطلق البكر.. إنه يضيء ويكتشف العالم في الوقت نفسه. هذه وظيفته كمـا تلوح لي.. وعندما جاء الإسلام أضاء العالم المعتم بـالقرآن.. وتحـدى الشعر أن يقوم بالمهمة نفسها.. ببعضها.. بجزء من بعضها.. كان الشعر في تحد مع إنجازات القرآن.. ليس على مستوى البلاغة بل على المستوى الأولى: الإنجاز.

❍ وهل تعتقد أن الشعر قد نجح؟

✍ ليست مهمة الشعر أن ينجح، بل أن يحاول.

❍ كأنك تقول أنه فشل في التحدي مع القرآن.

✍ أفضل استخدام كلمة (لقد فشل بالتأكيد) بدلا من كلمة (كأنه).. فشل لأن الفرق بينه وبين القرآن، كالفرق بين الخالق والمخلوق..

❍ أنت حكمت عليه بالفشل رغم إبداعاته.

✍ أجل ودون تردد.. أخفق الشعر مقارنة بالقرآن.. لا مقارنة بالنثر والرسم والبناء وسائر الإبداعات التي حققها الإنسان، فهو على هـذا المستوى في مد وجزر.. أما بالمقارنة مع القرآن فأخبرني.. هـل تعـرف شعرا جعل غير الناطقين به يعتنقون لغته كما فعل القرآن؟ هل تعـرف شعرا بدل وغير لهجات العرب كما فعل القرآن؟ هل تعرف شعرا غير الأديان والأخلاق والعادات والتقاليد كما فعل القرآن؟ هـل تعـرف شعرا حوى من البلاغة والإعجاز العلمي ما حققه القـرآن في نـصف سطر.. هل تعرف شعرا حول أمةً أميةً إلى أمة تثقف العالم وتعلمه.. هل

فعل الشعر ذلك؟ كان الشعر أحد سمات العرب قبل الإسلام فماذا صنع لهم؟ لا شيء سوى التخلف والثارات. بينما حملهم القرآن من الكعبة إلى أعماق أوروبا في خمسين عاما فقط، ومع ذلك، فالشعر إنجاز بشري بالغ الروعة والجمال، وتتألق روعته كلما توغل في الكشف والركض في القارات المجهولة والمساحات البكر..

❍ ما دمنا نتحدث عن الشعر، هل تتوقع أن نجد إبداعا في الجنة؟ هل سنجد فنا ورسما ونحتا وموسيقى وشعرا..؟

✍ إذا كان الله قد منح الإنسان القدرة على تلك الإنجازات والإبداعات العظيمة في تلك الدنيا المحدودة، فكيف سيكون كرمه في جناته حيث لا حدود.. سترى شعرا وفنا وموسيقى ونحتا وهندسة واختراعات بشرية أبعد مما تحلم.. الأمر منوط بحبك لتحقيق ذلك.. ذات يوم قال نبينا عليه السلام لأصحابه: (أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع.

فقال له: أو لست فيما شئت ؟

قال: بلى ولكني أحب أن أزرع.

فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال.

فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء.

فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشيا أو أنصاريا فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع.

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم) تصور رجلا بهذا الطموح وحب العمل.. وتصور ملايين منهم يحبون العلم والاختراع والاكتشاف.. تصور عالما يريد أن يرى كيف خلق الله السماوات والأرض.. وآخر يريد أن يرى شريطا عن سبب انقراض الديناصور، وآخر يريد أن يرى شريطا عن طوفان نوح وخسف الله بقوم لوط في البحر الميت وغرق فرعون أو غزوة بدر.. تصور رجلا يريد أن يبني ويخترع ويكتشف.. تصور وتصور.. ودع لمليارات السنوات الإجابة..

❍ دعنا ننهض فأنا لا أطيق صبرا عن مشاهدة الجديد.

سرنا على تلك الرمال التي تنعش القدمين.. قطعنا مسافات مليئة بالتأمل والتأوه والاندهاش، وبالالتفاتات هنا وهناك وبنخيل باسقة على جانب الشاطيء، كانت نخيلا لكن كثيرة الألوان والثمار، كانت ألوانها وتمايلها تبعث في النفس مشاعر جديدة بالجمال، نخلة خضراء من أساسها إلى رأسها.. وثانية صفراء وثالثة حمراء وألوان أخرى لا حصر لها.. أما ثمارها فما عليك سوى الصعود بخفة لقطف ما تشاء من ثمار ملونة كالتمر، أو الإشارة إليها لتستقر بين يديك، كانت نخيلا وكان رطبا، لكن مذاقاته المختلفة والمتناهية في اللذة تنقلك إلى أجواء وأجواء.

✍ لولا وعد الله لقلت إن هذا منتهى اللذات التي ذاقها ابن آدم.

تأوه صاحبي وسافر به الطعم إلى سماوات وكواكب.. متعة الطعم والمشاهد كانت لا تنقضي ولا تكف عن إسكارنا، وبعد أن سرنا مسافة

بين تلك الأشجار والنخيل والأجواء أحسسنا برشة عطر زكية تنبعث منا في المكان وتغمره.. يا إلهي إ ا رائحة تلك الثمار التي تناولناها..

✍ صدق حبيبي عليه السلام عندما سئل في الدنيا عن الطعام، وأين يذهب بعد تناوله مادام لن يعرف شيئا اسمه دورة المياه في الجنة، فقال: {إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون. قالوا: فما بال الطعام ؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك}

❍ أتذكر ما يحدث للطعام بعد تناوله عندما كنا في الدنيا.. أتذكر سرعة الصدأ التي تصيبنا.. أتذكر حاجتنا للصيانة كل ساعة؟

✍ أجل.. لقد كنا سريعي العطب كريهي الرائحة لولا رحمة ربي بوفرة المياه وتلك المنظفات.. أتذكر تلك الرغاوي والمعطرات والملطفات، والدهانات والمرطبات والمثبتات والفاردات وا عدات، والمخفيات والمبرزات..؟ أتذكر تلك المزيلات لروائحنا وشعرنا غير المرغوب فيه و...؟ كنا نحاول تخفيف معاناتنا عن طريق زيادة مساحات الحمامات وزخرفتها، والتفنن في أشكال المغاطس والأرفف والمرايا والبلاط والحيطان.. وها نحن اليوم بأجساد تشع نظافة وجمالا.. أجساد لا يرشح منها سوى العطور.. هذا العبق الذي ينعش الأجواء ويشرح الصدر هو رشح طعامنا في الجنة؟

أخذنا بالمسير وسط سهول وحقول شاسعة ذات أعشاب أخاذة، لم تكن خضراء فقط، كان منها الأحمر والأصفر والأبيض، وما شئت من ألوان

يهيم ا من يمر ا، كنا نسير ونتوقف ونتأمل ولا شيء يأخذنا مما نمر به إلا التوق إلى اكتشاف ما لم نره.

كانت الخيل تضفي على تلك الحقول جمالا وفتنة، كانت خيلا مطواعة لا تنفر من الإنسان ولا تستوحش منه، رغم ركضها بحرية تـذكرنا بالخيول البرية التي يصعب ترويضها.. كانت خيلا ملونة بيضاء وسوداء وحمراء وصفراء وأرجوانية وزرقاء وخضراء.. كانت بكل الألوان التي رأيناها والتي لم نرها..

فمنا بالصفير لها ومنادا ا، فأقبلت ولها صهيل عـذب يمـلأ الأجـواء بذكريات مثيرة.. امتطيناها فحملتنا إلى ذكريات بعيدة.. فقال صاحبي: كأني أعيش الفروسية وأمجاد الإسلام..

✍ وهل هناك أجمل من هذا المكان لتذكرها.. إنه المكـان الحالـم.. المكان الهدف.. أحلم كأني..

كأني مع أبي بكـر أناجـي	محمد سـيدي عن كل ما بي
كأني مع علي فـوق نـجم	مع الفاروق نقذف كالشهاب
أراني رمـية من كف سـعد	من المقداد من عزم الحـباب
أراني صـرخة من سيف حمز	تشق النقع تفـتك بالذئاب
أراني هائما بالحـب أروي	عروقي من دما ذاك الشباب
وهمس السيل يروي أرض بدر	ويمضي باسما بين الشـعاب
نعود إلى المديـنة قد نقشـنا	على الآفاق آفـاق الكتاب
لتنـعم هذه الدنيا بحـلم	رأته بغيرنا تحت التـراب

نزينــها عروســـاً ثم نمضي	لنرفع ما هوى بين الخراب
على جنبات أحمد قد خــطونا	تخط سيوفنا فوق الســحاب
ونصــر الله يصحبــنا خيولا	مجنحة ترف على الهـــضاب
لنسقي من تلظى من ســحاب	تصوره الخيانة كالســـراب

❍ وأين عثمان الشهيد.. الشهداء يقتلــون في ســاحات الــوغى.. وعثمان يقتل دفاعا عن المصحف..

✍ ما غاب عني عثمان المظلوم.. ذو النورين الذي ضحى بدمه مــن أجل أن لا تراق قطرة دم مسلم.. عثمان الحياء والكرم والفداء.. كــم تمنيت لو قضيت ليلة رباط حول بيته قبل أن تصل إليه أيدي المجرمين.. أصرخ من أعماقي بالمغادرين إلى طيبة الحبيبة..

يا ســـائرين إلى الحجاز توقفوا	هل تقصــدون مساكن الخلان
هل تقصــدون مرابــعا في طيبة	قلبي يعاني مثلــكم ويعــــاني
قلبي بذي النــورين صار متيما	ليتني أبادل حبســــه بمــــكاني
هو وحــده والموت يخــلع بابه	هو وحــده في بيته العطــــشان
هو وحــده متحصــنا بصيامه	بقـــــيامه وبنســخة القرآن
ناشدتكم أن تســعفوه بشربة	هاكم بقــــايا قــربتي وخواني
اســقوه كم لبى وأعطى واشتفى	أيتامـــــــه من بره الفـــتان
هو يرفض الحراس يأبى أن يرى	للســـجن أقداما وللســجان

هي طيـبة من ذاق طيبة ينتهي … عشـقا وأزهارا على الأغصـان

هي عشق ذي النورين ين تآمروا … هي وجه من يسمو على الأحزان

جاء الأمير من الثغور مناشـدا: … مرني أطـوق طيبـ ـ ـة بثواني

مرني سأسـحق من تمـرد قامعا … وسـأترك الأوباش للسـ ـجان

عثـمان يطـرق ساعة.. ويجيبه: … هي يا ابن عـمي طيبتي وجناني

لا لن ترى الكاميرات فوق نخيلها … لا للقمار ببسـمة الإنسـ ـان

عـد يا ابن عمي للثغور لتحمها … عـد فارسـا لحمايـة الأوطان

أنا لن أشـكل فـرقة لحمايتي … لن أقمـع الأصوات في الوجدان

أنا يا ابن عـمي واحـد من أمة … إن غبت جاء مجـدد بثـواني

فليذبحـوني لن أهب لصـدهم … لا يسـ ـتحق الأمر خفق جناني

أخشى عليهم من رجال محـمد … أخشى الحـ ـماس يهيج بالفتيان

دعهم يكيلون الشـتائم صاعهم … قد صمموا صاعا من الأكفـان

وسأشتري اليوم الدماء بمهجتي … ودمي يراق بخنجر الشـ ـيطان

كل المطالب كلـ ـها لبيتـ ـها … لكنهم عشـقوا لظى الطغـيان

لن يعرف الطاغـوت أبوابي فلا … تطلع سـ ـيادته على عنـواني

لن ينتشوا بالذبح عبر شوارع … طافت ا الأنصـ ـار كالريحان

وتفتحت نحـ ـو المهاجر باقـة … تنسـ ـيهم الآلام بالإحسـ ـان

كم يعشـق الفقراء أبوابي ومن … غير الفقـ ـ ـير يعيش في عثمان

❍ رضي الله عنه ما أكرمه.. ما أجمل إيثاره.

✍ كان مبغضوه يتهمون بالتشبث بالسلطة..

❍ وهل الذي يتشبث بالسلطة يمنع الجند والأصدقاء والأبناء وحتى العبيد من حمايته..؟

✍ كانوا يكتبون التاريخ بأهوائهم وميولهم لا بعقولهم.

❍ تقصد كانوا يزورون التاريخ ا.

✍ عثمان كان مثالا في جوده.. مثالا في انتخابه.. في نشره لكتاب الله.. في سماحته.. في الإنصات لمعارضيه، وفي تنازلاته عن أخطائه، وفي تضحيته بنفسه من أجل أمته..

❍ من هو الحاكم الذي يتنازل عن حقه في حراسته الشخصية، وهو يعلم بوجود مخطط لاغتياله..؟

✍ كم أتوق إلى تناول الإفطار معه، كما تناوله مع النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال له: "أفطر عندنا يا عثمان".

❍ كان صائما ذلك اليوم..

✍ أما اليوم فلا صيام ولا قيام ولا صلاة.. إنه يوم توزيع الجوائز، الذي لا ينقضي ولا ينتهي ولا تنتهي مباهجه..

❍ كم أتمنى أن لا ينتهي هذا الطريق ونحن على هذين المهرين..

✍ أتمنى.. لكن مفاجآت الجنة تتنافس في اختطافنا ولا مفر منها..

صحنا بالمهرين فانطلقا بنا كالريح دون أن نحتاج إلى سرج أو نخشى الوقوع.. كنا أكثر استقرارا وارتياحا على ظهريهما منا على مقاعد

سيارة من سيارات الدنيا الفارهة.. نشق أمـواج الأعـشاب الملونـة والزهور والورود، فإذا نحن فوق مرتفعات تطل على مدن تعدنا بالكثير والمثير.. مدن زاخرة بالقصور والبنايات الجميلة، والمـساكن الـصغيرة والكبيرة، والحدائق والملاعب والمسارح والأسواق والميادين و.. و..

طرقات عديدة تؤدي إليها.. وجمالها يغرينا بالتوجه نحوها جميعا، طرقات تكاد تزدحم بالسيارات والدراجات والمراكب الجديدة علينا، كانت تمر بنا مسرعة وبطيئة دون ضجيج محركات أو دخان عـوادم، بانـسياب وهدوء إلا من الموسيقى المتدفقة من بعض تلك المراكـب، أو مـزاح الشباب مع بعضهم وتعليقا م وصراخهم وتسابقهم.. كانوا يزيـدون الطرق المثيرة إثارة.

وخلال الطريق كانت هناك محطات للاسترخاء تشبه القرى، ولكنـها قرى أخرى لم تعهدها الدنيا.. قرى في منتهى الجمال.. فيها الـشلالات والأ ار والمقاهي والمطاعم وأماكن الشرب وحتى الرقص، كان هنـاك فنانون يتوقفون.. تسحرهم المناظر فيخرجون علب الألوان واللوحات ويرسمون، وكان هناك من يلتقط الصور، وهـم معـذورون فمبانيهـا ومنتجعا ا في غاية الجمال والعذوبة.. بعضها بنيت من الأشجار العطرة المحيطة ا، وبعضها نحت من الجبال الكريستالية والرخامية المحيطة ـا، وبعضها من جبال بيضاء كبياض جبال الثلج، والبعض من مواد أخرى لا نعرفها، لكنها تسحرنا بأشكالها وتصاميمها، وتناسقها مع بعضها ومع

البيئة التي تحيط بها.. منها المعلق تعليقا، ومنها الذي يستلقي على بحيرة، ومنها الناتئ من جبل، ومنها.. ومنها...

كان منظرنا على المهرين متناغما مع الأجواء الريفية الجديدة الخلابة.. فالخضرة والزهور التي تحف بكل شيء، وخرير الماء وانسيابه، وملابس المرتادين لتلك القرى، وابتساماتهم والجمال الذي يشع من كل شبر نراه أو نصل إليه..

أوقفنا المهرين، ودون أن نربطهما لزما مكانيهما أمام كوخ مبني من الخشب العطر فقط، كان طرازه وتصميمه فريدا وجميلا، لا تمله العين ويعشقه القلب.. كان مبنيا على سفح جبل.. يطل كشرفة على بحيرة.. كان مشربا تفوح من رائحة القهوة وخمرة الجنة، ومشروباتها الجديدة العبقة.. وتتدفق من زواياه موسيقى عذبة تزيد أجواءه أحلاما وعذوبة وهمساً.. أما مقاعده الخشبية الجلدية فحلم آخر.. كانت الإضاءة خافتة، والشموع على الطاولات الخشبية وعلى أرفف صغيرة في الزوايا تعزف للعين ألحانها الخاصة.. ومناظر العشاق والأصدقاء والمحبين والأخوة داخله، تجعل الأنس يناشدك أن تمضي في زمن مفتوح دون ملل.. لكنها الجنة.

كان صاحبي مشدودا إلى شخص يتموج رأسه كخيط دخان على حافة المشرب لوحده.. كانت الموسيقى تأخذه وترحل به، فزفر صاحبي قائلا:

آه لو رأى مالكو حانات الدنيا هذه الحانة الحالمة، وتذوقوا هذه

المشروبات وانتشوا ا ورأوا هذه الإطلالة الأخاذة، لأمضوا حيا م في المساجد من أجل أيام يقضو ا هنا..

✍ لكن الله لم يطلب من أحد أن يلازم المسجد، أو أن يتحول إلى راهب، ولم يطلب حتى ألا يعصي.. الإسلام لم ي ل لملاك أو لحجر.. نزل للبشر، والبشر يطيعون ويعصون ويتوبون، بل إن نبينا عليه السلام يقول: (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم) الذنب يقرب العاقل من الله، ويبعد المتهور والمعاند والمتكبر من الرحيم.

❍ أو ليست الطاعة هي التي تقرب الإنسان من ربه؟

✍ أجل، الطاعة وليس التباهي ا.. هناك طاعة قد تتسبب في الهلاك، وهناك معصية قد تتسبب في دخول رحمة الله. عندما يفعل العاقل عبادة، فأول ما يفعله هو الشكر وتقديم كل عبارات ومشاعر الامتنان لربه أن هداه وفتح له أبوا ا، ثم يسأل الله القبول والمداومة، أما المتهور والمتكبر إذا صلى أو تصدق أو مارس عبادة ما.. بدأ يتلفت عله يرى من لم يقم ا حتى يشعر بوهم تفوقه عليهم.. بدأ يحصي ما ينقصهم مما حصل عليه، لا ليشكر الله على أن هداه، ولكن ليشعرهم بتفوقه.. هذه الحسابات تمنحه المزيد من التهور وإطلاق الأحكام حتى على النوايا أيضا، ونسي ضعفه وقوة الله.. نسي انتشال رحمة الله له.. نسي رحمة الله التي وسعت كل شيء.. وحاول تفصيلها لتتسع لمن يريد، وتضيق عمن يضيق هو به.. ذات يوم قال الصحابي الجميل العذب أبو هريرة لرجل

من أهل اليمامة: (يا يمامي.. لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبدا. فقال اليمامي: يا أبا هريرة إن هذه لكلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب.

قال: فلا تقلها.. فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: كـان في بني إسرائيل رجلان كان أحدهما مجتهدا في العبادة، وكان الآخر مسرفا على نفسه، فكانا متآخيين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول: يا هذا أقصر. فيقول: خلني وربي أبعثت على رقيبا؟

إلى أن رآه يوما على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك اقصر. قال: خلني وربي أبعثت على رقيبا؟

فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبدا....

فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما واجتمعا، فقال: للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: أكنت بي عالما..؟ أكنت على مـا في يدي خازنا..؟ اذهبوا به إلى النار.

قال: فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بالكلمة أوبقت دنياه وأخرته)

كم منا من كان يغفل عند الحكم على الآخرين تلك الأسرار التي بـين الإنسان وبين ربه، والعلاقات الخفية التي تربط الآخرين بربهم، كصدقة السر، وذكره في الخلوات، والتوكل عليه، والثقة بنصره ووعده، وتقديم حبه على كل حب، واحتراق المشاعر عند رؤية المظالم التي حرمهـا الله على نفسه وحرمها على عباده، والرحمة بالخلق وقضاء حاجاتهم، والجود وإغاثة الملهوف، وشكر الله كلما وقعت عيناه على من هو أضعف منـه

أو أقل شأنا.. وأشياء كثيرة تطمسها لائحة التفوق على الآخرين التي نعلقها على جدران غرورنا.

❍ ولكن أليس من النفاق والازدواجية.. أن تظهر عكس ما تخفي؟

✍ هذا السلوك أبيض ولا حدود لمداه وجماله، أما النفاق فسلوك أسود يخنق صاحبه ومجتمعه. دعني أريك بعض ذلك المدى الأبيض.. ذات يوم قال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: (بينما أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ قال: انظر أرفع رجل في المسجد في عينيك.

فنظرت فإذا رجل في حلة جالس يحدث قوماً. فقلت: هذا.

قال: انظر أوضع رجل في المسجد في عينيك (أي أقلهم شأنا).

فنظرت فإذا رويجل مسكين في ثوب له خلِق (أي رث)، قلت: هذا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا خير عند الله يوم القيامة من قرار الأرض مثل هذا)

المقياس هنا ليس الشكل ولا الهيأة، وإن كانا ضمن المقاييس المطلوبة.. المقياس هنا ليس له على علاقة بالسطح بل بالعمق، والأفضلية هنا لمن يتحاشى الوقوع فيما يجعله يخسر ما كسبه.

❍ وهل يخسر المسلم حسناته وهو داخل دائرة الإسلام؟

✍ بل أحيانا يفلس تماما عند ارتكابه لجرائم مثل: الظلم والاستبداد والسطو على أموال الآخرين وأراضيهم وحرياتهم وأعراضهم، أو عندما

يحسدهم وينتهك حرماتهم. لقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب فقال: (أتدرون ما المفلس؟

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته.. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)

❍ الذي أعرفه أن الحسنات تضاعف، أما السيئات فلا.

✍ إن من يدعو إلى خير فله أجره، وله أيضاً مثل أجر من عمله إلى يوم القيامة.. مثلا لو كان لك صديق دعوته إلى الإسلام.. لو أهديت له كتاباً فقرأه ودخل في دين الله، فإن كل عبادة يمارسها لك مثل حسناتها، فإن أنجب أبناءً ورباهم على الإسلام فلك مثل حسناتهم، وكذلك أبناء الأبناء ومن بعدهم... إلى يوم القيامة.. لو علمت شخصاً القراءة والكتابة، أو مهنة كالطب مثلاً، فلك مثل أجره وأجر من تعلم على يديه إلى يوم القيامة.

❍ وما علاقة الطب بالحسنات والسيئات.

✍ يقول عليه السلام لنا عندما كنا هناك: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ لي في

حاجة، أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد "يعني مسجد المدينة" شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه.. ملأ الله عز وجل قلبه أمنا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له أثبت الله عز وجل قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام)... هل ترى في هذه الأعمال صوماً أو صلاة أو قراءة للقرآن؟

❍ لا، إ ا أعمال إنسانية بالغة الجمال والروعة.

✍ هل هناك أجمل من شفاء يحصل عليه مريض بسببك؟ هل هناك حاجة تعدل حاجة المريض إلى العلاج والشفاء؟

❍ بالطبع لا.

✍ هذا هو جمال الإسلام.

❍ وما الذي يحصل عليه من يفعل هذه الأعمال لكنه يرفض الدخول في الإسلام؟

✍ لا تضيع عليه، إنه يحصل على الشكر والثناء في الدنيا، وعليه أن ينتظر من يتوجه إليه ا كي يكافئه.

❍ وماذا عن الجنة، ألا يدخلها؟

✍ هو لا يحتاج للجنة.. لقد رفضها في الدنيا، ورفض الطريق الموصل إليها، وسخر من عشاقها، لقد بذل من أجل الدنيا وما فيها، والدنيا قد انتهت وانتهى عطاؤها.

❍ وماذا تسمي ما فعله البعض من نشر للإلحاد في الدنيا؟

✍ إ م لم يكتفوا بارتكاب المعاصي، ولم يكتفوا با اهرة، بل تمـادوا وتحولوا إلى دعاة ينشرون انحرافهم، تحولوا إلى وباء معد وخطير، لـذا فعليهم سيئات أنفسهم وسيئات من يتأثر م.. ولذا قال عليه السلام: (من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) وقد وصف القرآن من ينهج منهجهم فقال: (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين (٢٤) ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلو م بغير علم ألا سـاء مـا يـزرون (٢٥))...

كان بإمكا م أن يعصوا ويستروا أنفسهم، فتخمد آثار المعصية قبل أن تمتد إلى الغير.

❍ لا أجد فرقا بين الحالات الثلاث.!

✍ إن كنت تعبد هواك فلن تجد فرقا بين الإنسان والحجر.. هناك فرق بين من يعصي ويستر نفسه، وبين من يعصي ويجاهر، وبين من يعـصي ويدعو إلى معصيته: الأول معترف بتقصيره وبشريته، ويخجل من ذنبـه ويندم ويحاول الإقلاع، وهذا النوع ضرره على نفسه فقط، ولذا يشمله الله برحمته، لأن (الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفـه ويـستره فيقـول: أتعرف ذنب كذا.. أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول: نعم أي رب. حـتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: ستر ا عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. فيعطى كتاب حسناته.)

وأما الذي يجاهر دون حياء، ويرتكب معاصيه بكل وقاحة وقلة حيـاء، ودون مراعاة للآداب والحياء والذوق، فإنه لا بد مـن عقابـه لأنـه كالمرض المعدي. ولذا أنذر عليه السلام أمته قائلا: (كل أمتي معافى إلا ا اهرين، وإن من ا اهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقـد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يـستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه)

أما الدعاة إلى الفساد والانحلال تحت دعاوى الحرية فمصيرهم كما قال عليه السلام: (من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)

❍ وإذا كانوا يرون أن ما يدعون إليه حرية وتحررا، ولم يكن هـدفهم الإفساد..؟

✍ كأن تجد لذة في ارتكاب مخالفاتك وتريد أن يشاركك الناس تلك اللذة؟

❍ تماما وليس سوى أنني كنت أرى الحياة قصيرة، وأخشى أن تفوت الجميع لذا ا..؟

✍ ولم فوت على الآخرين أن يشاركوك زوجتك ومالـك وبيتـك ومنصبك، وفوت على أبنائك لذة مشاركتك الخمر والمخدرات..؟!!!

كنا يا صاحبي في دنيا.. إن لم يسد فيها النظام والانضباط، تحولـت إلى غابة، وتحولنا معها إلى ائم.

❍ وإن ادعى أحدهم أنه لم يكن يعلم أن هناك جنة ونار..؟

✍ الذي لا يعلم حقا له شأن آخر، لكنني أتحدث عن قـوم يعلمـون لكنهم يسخرون، كان يخشون أن يقتنعوا فتفو م تلك الملـذات.. يـا صديقي - تحت أي شعار كانوا يدعون إليه - كل من استجاب لهـم، وارتكب أمراً دعوهم إليه، فعليهم مثل ذنو م، كانوا يلتهمون كتـب السياسة والفكر والإلحاد والروايات ودواوين الشعر، لكنـهم كـانوا يغصون بكتيب صغير من كتب الإسلام، كانوا يحكمون عليه قبـل أن يقرأوه، ويحاكمونه وهو غائب عن عقولهم وأعينهم، كـانوا يبخلـون بالوقت عليه، ومن قرأ شيئا فيقرأه عله يجد تناقضات أو أخطاء يـتمنى وجودها.

❍ كم هم بحاجة إلى خمر ينسيهم ما هم فيه.؟

✍ الخمر لنا وحدنا اليوم.

طال حديثنا وتنوع ومكثنا ساعات طويلة وطويلـة دون أن نـشعر أو نتعب أو نمل.. كنا لا نشعر بالوقت إلا عندما يمر بنا النـادل المهـذب ليعرض علينا خدماته، قال صاحبي: إنني لا أرى أثراً ليـوم ولا لليلـة، كأننا خارج الزمن؟ أين ذلك الزمن الذي نرى تقاسيم شيخوخته علـى أجسادنا وحركاتنا وضعفنا.. نرى خطوطه على أصداغنا ومفارقنا.

✍ ما أجمل أن نكون خارج الزمن والألم والمعاناة.. خـارج مقـاييس الدنيا التي أ كتنا بحسابات الأرباح والخسائر.. خـارج الخـوف مـن ا هول، والرعب من القادم، وهاجس فقدان النعيم، والقادم أرحـب

وأ ى وأرقى... نحن خارج الملل، فالممارسات كلها لها جة الممارســة الأولى، واللقاءات كلها لها نشوة اللقاء الأول، واللذائذ الحسية كلها لها روعة ومفاجأة التذوق الأول، كل شيء نراه ونعيشه نحتفي به وكأننــا نراه ونعيشه لأول مرة.. نحن خارج التعب والنوم قاتل الزمن وســارق الحياة، الذي ينهب نصف أعمارنا.

❍ لكنه كان يأتي في الوقت المناسب ليزيل عنا التعب والإجهاد.

✍ لكنه كان يسرق منا أعمارنا رغما عنا.. إنه ثمــن غــال لم يكــن بإمكاننا تعويضه.

❍ حقا.. عند التأمل نكون قد عشنا نصف أعمارنا فقط.

✍ بل أقل من ذلك.. هناك سنوات الطفولة الأولى التي نعيــشها ولا نعرفها بل نعيشها من أجل غيرنا، ثم هناك فترة الــشيخوخة والكــبر وضعف القوة والحواس.. هذا إذا لم يصب الإنسان بمرض مــزمن، أو عاهة أو آفة أو عجز أو خرف، أو العيش في بلاد فقيرة بــين الأوبئــة والفقر وا اعة والتسول والموت البطيء، ناهيك عن قضاء البعض زهرة الشباب في السجون أو المعتقلات والمنافي أو الــصراعات والحــروب، بالإضافة إلى إفرازات الجسد وضرورة التخلص منها، وما نقضيه مــن أوقات في صيانة أجساد الدنيا بالأدوية والمضادات والعمليات الجراحية، وقائمة طويلة من المنظفات التي تستهلك أكثر من نصف دخل الإنسان.

❍ لقد كنت تنظر إلى الدنيا بعين سوداء بالغة العتمة.؟

✍ لقد عشت حياتي بسعادة ولكن بشوق إلى ما هاهنـا، ولم يكـن ينغص علي فيها سوى تفكيري في أوضاع أمتي بعيدا عن مواطن الريادة في كل ا الات.. كنت دائما ما أهتف بالقادم الجميـل لأمـتي رغـم الحسرة التي كانت تلفنا وأقول:

يانديم الروح دعني
قد ترامى داخلي مثل المقابر
يا نديم الروح دعني
بين أحزاني وهاجر
بين أنقاض الوعود الخاويات
بين أنقاضي أغامر
ربما
ربما تأتي القوافل
بردا يطفي الهواجر
ربما تأتي القوافل
تحمل الأجلى
تحمل الأقنى
نحو أوطان رمتها
ليلة حمراء
بين أعقاب السجائر

❍ وأين كانت محطة انتظارك؟

✍ كانت..

أمام سكة الحديد والسهر
في بلدة عمياء
في بلدة تميد بالصداع والضجر
كان اللصوص يشربون
وكنت أنتظر
قدومك الجميل
قدومك الجميل يا عمر

❍ ياله من قدوم جميل لكن لم تحدثني عن الدنيا ذا الحزن، أم أنـك تريد تصويرها على أ ا سجن المؤمن وجنة الكافر؟

✍ كنت أرى الدنيا جميلة وثرية، لكنني كنت أراها أقصر مما أحلـم، وأبخل مما آمل.. كنت سعيدا فيها، لكنها برمتها.. بحلوها ومرها، لم تعد مقارنة بما أنا فيه أكثر من كابوس.. أما عن قول النبي صلى الله عليـه وسلم الذي ذكرته، فإني أسألك أنت عن هذا القول في هذه اللحظـة بالذات: هل تعتبر الزمن الذي قضيته في الدنيا مقارنة بما تراه من نعـيم وعوالم ساحرة سجناً؟

❍ بل أسوأ من السجن.

✍ هذا هو مفهوم الدنيا سجن المؤمن، وها أنت تراه وتعيشه.. الدنيا سجن المؤمن مهما كان مترفا وسعيدا عندما يرى الجنة.

❍ بالمناسبة لقد ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم، فأين منزله في الجنة؟

✍ بل قل أين جناته في الجنة.. إنه في جنات أعلى بكثير، إنه في الفردوس وهي أعلى وأجمل مما تشاهده بكثير، وإن كنت لا أستطيع تخيل أجمل مما نحن فيه، وأسأل الله أن نكون في طريقنا إلى جواره.

❍ من يرى ما نحن فيه، يعجز خياله عن تصور أن هناك أرقى وأجمل وأعلى مما نحن فيه.

✍ نحن في أول أمتار الجنة وأدنى درجاتها، وليس في الجنة دني.

❍ يا إلهي لا أكاد أحتمل حتى مجرد التفكير في ذلك، أين المكذبون بالجنة مما أراه.!

✍ لقد كانوا يطمرون عقولهم بأطنان من العناد والأحكام العاطفية.

❍ لقد أكثرت من ذكر العناد، وكأنهم كانوا صخوراً..

✍ كان بإمكانهم استعمال عقولهم.

❍ كان.؟

✍ لم يكونوا يستخدمونها، وإن كانوا يستخدمونها فلِم لم يجيبوا على هذا السؤال: أولم يكونوا معجبين بالغرب وتطورهم التقني والمادي الذي أسقطوا به ديانتهم وكشفوا زيفها؟

❍ بلى.

✍ لكن لِمَ لم يستخدموا هم عقولهم عندما رأوا علماء الغرب التجريبيين: الأطباء وعلماء البحار والجيولوجيا يسلمون؟ لماذا انساقوا وراء رجال السياسة والفلسفة والشعر منهم فقط؟ لم انساقوا خلف الإباحيين والفوضويين منهم فقط؟ مع أنهم كانوا يعرفون أن الذين أزاحوا الدين المحرف عن الغرب والشرق هم أصحاب العلوم المادية، الذين طوروا العالم باختراعاتهم وكشوفهم وحقائقهم، لا أصحاب الدراسات الأدبية والإنسانية المطاطة، والذين يطوعون علومهم لمن يدفع ويسخرونها للقوي، ويناقضون أنفسهم، والذين يقطفون ثمار العلم التجريبي لمواقفهم وأهوائهم، ويصعدون على أكتافهم؟ لولا ثقة الناس بنتائج العلم التجريبي لما ركبوا الطائرات وأجروا العمليات الجراحية ووصلوا إلى القمر، في الوقت الذي كان الفلاسفة يتجادلون هل الدجاجة أولا أم البيضة ومنذ متى.. منذ آلاف السنوات.

❍ قال لي أحدهم: أين كان أولئك العلماء الذين تقول أنهم أسلموا بسبب كشوفاتهم العلمية، أنا لا أعرفهم رغم كثرة قراءاتي؟

✍ ذكرتني بأخوين سافرا من قريتهما إلى بلد واحد وافترقا هناك، ولما عادا سألهما والدهما عما رأياه؟ فقال الأول: إنها بلاد فاسدة يا أبي.. مليئة بالخمارات والساقطات والمخدرات و...

وقال الآخر: إنها بلاد مليئة بالمعارض والجامعات والمتاحف والحدائق الجميلة والسواحل النظيفة. فقال والدهما: كلٌ منكم تحدث عن الأماكن التي قصدها. يا صاحبي كان أولئك العلماء مشهورين، لكن من نتحدث

عنهم كانوا يبحثون عما يخالفون به أقوال المتدينين، لأنهم لم يكونوا ينظرون عندما يرونهم إلى أبعد من لحاهم ومساويكهم، بينما كان علماء الغرب التجريبيين ينظرون إلى رسالتهم، هل هي من عند الله، أم من عند البشر؟

❍ كانوا يرددون أن هؤلاء المتدينين كانوا ضد عملية التطور والتقدم والنهضة و....

✍ مهلا.. مهلا.. هل كان المتدينون ضد صناعة الطائرات والسيارات والكومبيوتر ورصف الطرقات وبناء أحدث المباني والجسور وتخطيط المدن على أحدث وأرقى الطرق؟

❍ لا.

✍ هل كانوا ضد الرقي بالشأن التعليمي والاقتصادي والزراعي والتقني والصحي؟

❍ لا.

✍ هل كانوا ضد النظافة والعفاف والنزاهة والعدالة ومحاربة الفساد والوفاء بالعقود والمواثيق، واحترام حقوق الإنسان والجار والوطن والحيوان والبيئة؟

❍ لا.

✍ ما التقدم إذا لم يكن هذا هو التقدم.؟!!

❍ إنها الكراهية.. أعترف لك بذلك.. لقد كنت يوماً من الأيام أكره رؤية المتدينيين، وأتمنى لو نفيتهم وأحضرت بدلا منهم الكثير من

الحسناوات الشقراوات.. كنت أغلق عنهم أبواب الأرض كأعـدائي، بينما كانوا يطرقون بابي ليكونوا أحبتي، نفيتهم من عالمي فوجـدتهم في منفاهم يبحثون لي عن مفتاح من مفاتيح هذه الجنة.. كانوا يتوسـلون لأصحو، وكأنهم سيكسبون من وراء هدايتي ثروة من ثروات الـدنيا، بينما كنت أقسوا عليهم ليمارسوا الغياب معي.. آه لو رأيتهم..

تركت صاحبي يتدفق مع كلماته ومشاعره، وعندما أخذته تلك المشاعر إلى عالم من الصمت الممتن لله على أن هداه للإفاقة من غيبوبته، أخـذني معه في لحظات أشاركه الشكر على ما نحن فيه..

بعدها تحولنا نحو الشرفة.. كانت إطلالة على أفق مسرف الجمـال، في هذه الجهة جبال خضراء وصفراء وحمراء وزرقاء وبيـضاء.. مرصـعة بمنازل وقصور وخيام اللؤلؤ على سفوحها المتغيرة الألـوان.. كانـت كالجواهر الكريمة على صدر حورية فاتنة.

أما هذه الجهة فمنبسطة كالسجاد المنقوش بعناية.. تتناثر عليها الميادين والملاعب والأندية الرياضية والمسابح التي لا حصر لها، والتي يتـهافت إليها المتبارون والمتفرجون من الجنسين لممارسة هواياتهم.

وتمتد أمامنا وتحتنا مباشرة بحيرة فاتنة عريضة، أما ماؤها فصاف لدرجـة رؤية قاعها اللؤلؤي الأبيض العميق والنظيف جداً.. كانـت المراكـب واليخوت الكبيرة البالغة الفخامة والتي تتهادى عبرها كـثيرة وملونـة ومبهجة للمشاهد.. أخذنا منظر اليخوت فقررنا ركوب أحدها.

غادرنا ذلك المقهى الحميم، وودعنا أولئك المضيفين اللطفاء، ثم انحدرنا من الجهة الأخرى على أقدامنا.. وسرنا في منحدر واسع يتشعب بطريقة فنية أخاذة.. كان مرصوفا بأحجار كريمة ذات ألوان متباينة ومطفية، وعلى جانبي الطريق سياج مصنوع من الزهور التي تنعش رائحتها من يمر ا، أما ألوا ا فألوان الأحجار الكريمة التي تنقش ذلك الممر، وعندما اقتربنا من اية المنحدر، اتسع لتتسع مساحات تلك الأحجار الملونة مشكلة رصيفا عريضا جداً لتلك اليخوت والقوارب.

كان بين كل يخت ويخت مسافة تمنح العين مسافة من المتعة، وبين كل يخت ورصيفه جسر عائم مصنوع من المادة التي صنع منها اليخت نفسه.

سألنا المسؤولين عن نادي اليخوت، فرحبوا بنا واستقبلونا بلطف الجنة ورعة أخلاق أهلها.. وأخذونا على مركب أنيق نحو مبنى دائري من المرجان داخل البحيرة بحجم مدينة.. حوله رصيف عريض من الفيروز محاط بالمراكب التي لا حصر لها ولا حصر لأشكالها وألوا ا وروعة تصاميمها.. ولم تعرف الدنيا ما يقترب من مستواها وفخامتها. منها ما هو بحجم قصر ومنها ما هو بحجم حي..

ثم خيرونا بين رؤية صور اليخوت وأفلام عنها ومواصفا ا، أو التجوال لانتقاء ما نشاء منها. فطلبنا مشاهدة عرض عنها..

كانت نماذجها تمر أمامنا.... يمر النموذج أمامنا وسط مؤثرات صوتية تخلب الألباب والمشاعر.. يمر النموذج على بحيرة صغيرة معدة للعرض،

ثم يتوقف لنرى كل تفاصيله الخارجية الساحرة، ثم يبدأ شكله الخارجي بالانفصال شيئا فشيئا كاشفا عن تفاصيل الداخل المذهلـة، القاعـات والغرف والمسارح وصالات العرض والمسابح والملاعـب والنـوادي والمرافص والمكتبات والمناظير والطاولات والمقاعد والأسرة والخـزائن والأثاث والشرفات والتحف والأدوات والأواني، وأشياء من مفاجآت الجنة وجديدها.

مكثنا نشاهد العروض الساحرة ونتجول في هذه المدينة العائمة، كـان الخيار أجمل وأصعب، لكن أعمارنا في الجنة تتيح لنا تجربة كل شـيء.. إ ا مليارات السنوات.. فأعمارنا لم تعد في الستين..

قررنا الاقتراع، فوقعت القرعة على يخت ألماسي أزرق بحجم قصر، كان فيه كلما رأينا، لكن ما نراه واقعا كان أكثر إدهاشا وروعة.. كان باذخ الرفاهية، لدرجة يمكن معها برمجته آليا ليتخذ مساره خلال خريطة تتيح له الإبحار في كل ر وبحيرة ومحيط.. برمجة تتيح له الرسو بأي مرفـأ أو ميناء وأمام أي قصر من قصورنا، أو أي جزيرة مـن جزرنـا، أو أي منتجع من منتجعاتنا.. أما سطحه فكان تحفة من الرفاهية تعجز من يريد وصف الفرجة من عليها.. مقدمته بسياجها الألماسية الزرقاء ومقاعدها الملونة التي تتحرك بك آليا، وتلتف بك آليا، بل وت ل بك إن شئت إلى أدوار اليخت التي تشبه اكتشاف الكنوز، أما المشارب فعلى الجـانبين، وما حولهما من المقاعد والطاولات ذات المستويات المختلفـة، وتلـك الروعة التي صفت فيها المشروبات والكؤوس، وطاقم اليخـت الـذين

تبهج النفوس أخلاقهم وابتساماتهم وإتقانهم لعملهم، وبجانب كل مشرب غرفة ألماسية واسعة وشفافة لدرجة لا تظن أن شيئا يفصل الداخل عن الخارج..

هاتان الغرفتان تنزلان وتصعدان من الجانبين إلى أي دور من أدواره شئت، ومن خلالهما تشاهد وأنت مسترخ أعماق النهر أو البحر أو البحيرة الصافية، والمرصعة بالجواهر واللآلئ والتي نثرت على امتدادها اليواقيت.

وفي وسط سطح اليخت مسبح حوضه من الألماس، وميدان لألعاب كثيرة جديدة ومثيرة للحماس، أما خلفيته فإطلالة رائعة ذات مقاعد مريحة للجلوس والمشاهدة والاستلقاء والاسترخاء وحتى التدليك، وطاولات أنيقة ومرنة، وأرضية من الخشب المزخرف بإتقان بالغ.

الدور الذي يقع أسفل من السطح يحتوي على صالة جميلة وواسعة لتناول الطعام البحري الفاخر، وصالة لمشاهدة الأفلام وأخبار الجنة وآخر الأحداث فيها، أو حتى مشاهدة أفلام عن الدنيا إن أردت، وصالة للاحتفالات.. وصالات.. وصالات

أما الدور السفلي ففيه أجنحة كبيرة لهما نوافذ كبيرة وشفافة جدا يشاهد من في الداخل ما في الخارج بكل نقاء، ولا يشاهد من في الخارج من في الداخل، وفي كل جناح خزائن ذهبية وفضية فيها أفخر أنواع الملابس، وأدراج تحتوي على أحذية أنيقة تتناسب مع كل لباس من تلك الملابس، وطاولات عريضة صفت عليها أفخر العطور وأعذبها..

وأسرة وثيرة ومقاعد فخمة.. ومساحات فسيحة للجلـوس والقـراءة والحديث، وصالة زجاجية كبيرة في المقدمة تتيح مشاهدة مدهشة لعـالم المياه المليء بالجمال والأنوار.. كان على السطح وفي كل القاعات وفي كل جناح أجهزة للاتصال ذات شاشات بالغة النقاء والدقة، وما عليك سوى ذكر اسم من تريد، فيجيبك صوتا وصورة وعنوانا.

الشيء الممتع في اليخت أنه يتحول إلى غواصة إن أردت تجوب أعماق البحيرات والأنهار والبحار.... وتفاصيل أخرى وأخرى وأخـرى.. لم نكتشفها بعد..

انطلق اليخت بنا ونحن وقوف على سطحه بفرح الأطفال..

كنا لا نريد أن يفوتنا مشهد أو لحظة من المتعة، نلوح للبعض ونشير إلى تلك الفتنة أو تلك الروعة، واليخت ينساب بنا كالحلم، ويأخذنا حيث نهوى.

قلت لصاحبي: كانت يخوت الدنيا الجميلة والغالية مليئـة بالمحركـات والزيوت، ومعرضة للخراب والغرق والعطل والاحتراق في أي وقت.. ومع ذلك كانت حلما لأمثالنا.. وغالبا ما يموت المرء دون التمتع به.. كانت حكرا على نخبة يعدون على أصابع اليد.

فرد قائلا: كان استئجار أرخصها لساعات قليلة يكلف المـرء مرتـب شهر كامل، آه لو رأى مبدعوها يختنا هذا..

✍ ها نحن لا نخشى الأمواج ولا العواصف والرياح، ولا الغرق والحريق ولا نفاد المال أو نفاد الوقود، ولا طول المسافة أو دوار البحر أو حتى الملل.

توجه صاحبي نحو المشرب هو يترافص طربا وغناء، كان كل شيء حولنا مشرقا يتلألأ بالحياة والفرح، أما أنا فسافرت بي السعادة وأنا أمسك بالمقود في مقدمة السطح.. أخذتني تلك السعادة إلى ذكريات وحنين ملك علي شغاف قلبي فجأة.. أمي التي أنستني مرارة اليتم، وأبي الذي غادرنا وأنا أغفو قربه في مهدي، وأخوتي وأخواتي.. وأولادي وأولادهم..

كان جهاز الاتصال بقربي.. فأردت أن تحمل المفاجأة أقصى ما لديها وأنا أراهم جميعا، طلبت والدتي فأجابتني، وهي تبكي فرحا وشكرا لله.

بادلتها البكاء.. والفرح، وبعد حديث طويل وجميل تضمن اللهج بشكر الرحمن على هذا السخاء والرخاء والنعيم، رجوتها أن تجمعهم جميعا كي أحتفل بهم.

لبت طلبي وقالت أنها ستتصل بي وستجمعهم في أحد قصورها، ثم ودعتها بالدعاء والدموع.

شاهد صاحبي دموعي فأقبل مستغربا وهو يحمل كأسين من الشراب.. وضعهما على الطاولة ثم توجه نحوي ومد يده على كتفي وطلب مني والاستغراب يلون وجهه أن أجلس، وأستمتع بهذه الرحلة، فمثل هذا

اليخت وهذه المناظر التي تمر بنا والأجواء التي نبحر ا لا مكان فيهـا ولا زمان للبكاء. فقلت له: إ ا أمي... هي التي كنت أحدثها الآن.

❍ حقا.. ياله من أمر رائع وأين هي الآن؟

✍ في مكان جميل طبعا.

ابتسم وأخذه ما أخذني. ثم ذهب إلى أحد الأجنحة وكلم والديه.

أخذتني الإثارة إلى أصدقائي وأحبابي وجيراني وتلك الليـالي العـامرة بالأنس والحب في الله.. كانت أجواء الرحلة ترغمني على تـذكرهم... كانت أكبر من أن يتسع لها فرحي وحدي، وأعظم من أصفها.. إ ا من الثراء والجمال بحيث تتمنى أن يشاركك أهل الجنـة كلـهم لحظا ـا وسعاد ا..

واصلنا إبحارنا فقطعنا البحيرة وما يحيط ا من حدائق ومبان، وقـصور وميادين هنا وهناك، ودخلنا في إحدى الأ ر العريضة، كان ـرا نقيـاً كالزجاج، تتردد عليه المراكب واليخوت والمراكب الفردية الـسريعة، كنا نمر تحت جسور مختلفة التصاميم، مبنية من المرمر والعاج واليواقيت والزمرد والألماس وأخشاب الجنة، ومواد أخرى لا نعرف مـا هـي.. كانت تلك الجسور تحتوي على إطلالات ذات مقاعد حالمة يجلـس أو يقف عليها الأصدقاء والأحباب والعشاق المنحدرين من فنادق وقصور، وأكواخ حالمة على حافتي النهر.. يأتون للفرجة ولتبـادل الأحاديـث وأحيانا للتعارف، أو يجلسون على مقاعدها المصنوعة مما بنيـت تلـك الجسور، كنا نسلم على من نراهم فيبادلوننا بالسلام والابتسام، كـان

سلامهم يشعرنا بمزيد من البهجة وكأننا نريد احتضانهم جميعا.. يالها من أخلاق.. أخلاق أهل الجنة.

تجاوزنا ذلك النهر الطويل، فإذا نحن في مكان فسيح جدا.. بحيرة مربعة تماما ومساحتها بحجم مدن، كانت أكثر عمقا من السابقة، ورغم عمقها إلا أن نوراً مريحا للعين ينبعث من أعماقها فيزيدها سحرا، ومما زاد هذا السحر شلال ينهمر من مكان مرتفع جدا فوق إحدى زواياها، وكأنـه يصب من السماء، أما ما يزيد المشهد ابتهاجا وصخبا فشلال بـشري يتقاطر قفزا وصراخا مع مصب الشلال نحو أعماق الـبحيرة، وكـأن القافزين قطرات شاردة من ذلك النهر المنحدر.

هناك من يقفز لوحده، وهناك من يقفز وصاحبه أو صـاحبته، وهنـاك مجموعة تقفز مشكلة دوائر ومثلثـات جميلـة.. فالارتفـاع شـاهق، والصخب شاهق أيضا.. أوقفنا يختنا طويلا للفرجة والاسـتمتاع بمـا يحدث، نسترخي على تلك المقاعد المريحة باتجاه هذا الجنون اللذيـذ.. جلبنا شرابنا وجلسنا، لكن ما يحدث أمامنا أنسانا الجلوس والشراب.. وأبقانا وقوفاً وكأننا بينهم.. كان المشهد احتفالا مثيرا ورائعا.. الآلاف ودون تزاحم أو تدافع كانوا يحتشدون.. والآلاف كانوا يتطـايرون في الهواء كقطرات الشلال.. كان قاع البحيرة يشبه كأسا صافيا مملوءا بماء غازي، تتصاعد منه البلورات الهوائية..

بقينا وقوفاً كالتماثيل من الدهشة..

اقترب أحد الشباب منا وهو يمتطي مركبا بحريا صغيرا وسريعا، وبرفقة صاحبته الفاتنة وهو يستعد للجنون، فأوقفناه وسألناه وهو يبتسم: كيف السبيل إلى قمة الشلال، فأشار إلى ممر زجاجي لولبي يتدفق خلاله الماء إلى أعلى، وما عليك سوى الاستمتاع بالصعود، ثم اختيار طريقة القفز عندما تصل للقمة. وهناك مصعد بجانب الشلال يمكنك من مشاهدة القافزين ومسايرتهم، وهناك عربات ومركبات ومصاعد وطائرات وإن شئت حبالا.. وغيرها وغيرها من الوسائل المريحة والممتعة التي تقود إلى قمة الشلال.

شكرناه فانطلق وصاحبته كالسهم..

أما نحن ففضلنا تجربة كل وسائل الصعود اختصارا للوقت..

ارتدينا ملابس السباحة، وصعدنا لتجربة كل الطرق، كان الصعود متعة ومشاهد لا توصف روعتها، أما القفز فكان أجواءً أخرى ونعيما آخر.. تبدأ باختيار قوة وارتفاع الموجة القادمة من بعيد، والتي تصعد بك إلى ارتفاع تحلق معه، فترى ما تحتك من جمال وقصور وأنهار ومساحات ملونة بديعة، وتبلغ الإثارة أوجها وأنت متجه بين تلك الأجساد والصراخ نحو أعماق البحيرة، حيث تشق الماء بين تلك الأجساد التي تسابقك، وتنافسك على المتعة والمرح، وملامسة تلك الأعماق المضيئة وكأنك لا تريد الصعود من تحت الماء.

كان الشلال أرفع مما كنا نراه، وكان الماء ينحدر بصورة بالغة الروعة والجمال، فقال صاحبي: ما رأيك بالقفز من المصب؟

كانت الإجابة بنعم.

في الجنة لا نعرف كلمة: لا... إلا في لا إله إلا الله.

ولما وصلنا للمصب وجدنا جنة أخرى، وأنهاراً أخرى وشلالات أخرى، وعوالم أخرى..

قررنا الذهاب إلى مسافة بعيدة حتى يكون للقفز والطيران إثارة أكثر.. ذهبنا حيث أردنا، وقررنا التسابق.

بدأنا السباق من مصب آخر أعلى، ولما وصلناه.. طرنا في الهواء الذي امتلأ بصيحاتنا، فنسينا سباقنا واستسلمنا لمتعة الإبحـار في الهـواء، ثم الغوص في الأعماق الصافية...

أعدنا الكرة مرة ومرة ومرات دون ملل، وقضينا ساعات طويلة وربمـا أياما دون أن نشعر.. كانت تجارب مثيرة يكاد ينسي مـا بعـدها مـا قبلها..

خلالها، وبعدها، ترددت وصاحبي إلى إحدى الشرفات العريضة الـتي تزين الجدارين الأبيضين اللذين يحفان منحدر الشلال، كانت شرفات لها أشكال أخاذة، وهي عبارة عن مقاهي ومطاعم ومشارب، استلقينا على تلك المقاعد.. وسافرنا في استرخاء ممتع وطويل.. فقال لي: يا ألله كـل مكان نمر به أظنه نهاية النعيم وغايته، فإذا بالذي بعده أكثر إشراقا.

رمقته بنظرة مبتسما وأنا أعجز عن الالتفات نحوه، فالألوان والمناطيـد والإبحار في السماء والماء من فوقنا وتحتنا لا يسمح لك بالانشغال عنها، ثم قلت له: ألم تقرأ يوماً (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد)

نحن الآن في بوابات (لهم ما يشاؤون)... لم نتوغل بعد، فكيف إذا حلقنا في المزيد.. فاترك لمخيلتك متعة الإبحار فيما تريـد وتـتمنى الآن.. دع المزيد لمبدعه الذي لا حدود لإبداعه...

أثناء ذلك نادى نادل لطيف ووسيم، وبيده قوائم الطعـام والـشراب المميز والخاص بهذه البحيرة، قدم لنا أطباقا لها شكل البحيرة، وزجاجات يصب منها المشروب كما ذلك الشلال، وتفاصيل صغيرة، تجعل النظر إلى الأطباق والكؤوس متعة بحد ذاتها، أما منظر الطعام والشراب فمتعة أعظم، وقمة ذلك كله لذة الأكل والشراب، أضف إلى ذلك متعة النظر إلى تلك المياه والخضرة والألوان، وتلك الوجوه الـسعيدة والجميلـة والبشوشة، وتلك الأجساد الفاتنة التي تتحلى وبتحلى بها غيرك.. كانت أياما تدفع ثروات الدنيا وأعمارها ثمنا للظفر بها أياماً.

نعمنا بساعات في تناول وجباتنا، ثم استرخينا أمام تلـك المـشاهد، ثم انحدرنا وتمشينا طويلا وتعرفنا على أناس غاية في اللطـف والـذوق.. استضفناهم واستضافونا واستمعنا لحكاياتهم، والطرق التي سلكت بهـم رحمة الله إلى ضفاف هذه البحيرة..

التقى صاحبي بصديق قديم فتعانقا وهما يصرخان، ولم يكفا عن العنـاق حتى فرقتهما كي أسلم على ضيفنا، ثم استأذنا بعض الوقت وانصرفا..

أما أنا فقابلت شخصا بالغ السماحة والدماثة والكرم، تعرفت عليـه، فإذا هو شخص لا يكف عن شكر الله كلما سكتنا عن الحديث.. سألته عن رحمة الله وكرمه معه، فزاد من شكره وقال لي: كنت رجلا مـسرفا

على نفسي، لكنني كنت رحوما عطوفا بوالدي، وكثير الصدقة على أقاربي وغيرهم، وكنت رجل أعمال تربطني مع التجار صفقات وعقود دقيقة ونظيفة، كنت أتجنب الربا واستغلال الفقراء، لدرجة أنني كلما رأيت رجلا معسرا قد انكسرت به مراكبه وعثر به زمانه، وأثقلته ديوني عليه، قلت لمحاسبي: تجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا يوم القيامة، ارحموه لعل الله يرحمنا، سامحوه لعل الله يسامحنا.... و.. وسائر الكلمات التي أستمطر بها عفو ربي

✍ أنت هو؟

ـ لا.. ربما.. لا أدري.. لكنني لا أستحق هذا النعيم لولا رحمة ربي. انظر إلى يختي هناك..

التفت فرأيت يافوتة عملاقة لها شكل يخت، ورأيت فاتنة تلوح لنا من بعيد.

ـ انظر إلى هذا اليخت.. ركبت في الدنيا أرقى اليخوت.. ملكت بعضا منها واستأجرت بعضا.. كلها كانت رغم البذخ والرفاهية أضحوكة أمام يافوتتي الحمراء. عرفت نساء كثيرات، كلهن لا يدانيين زهرتي على تلك اليافوتة.. عطورهن الغالية والشهيرة لا تداني عشر عطر نفس من أنفاسها القاتلة.. أي دنيا كنا نتباغض ونتقاتل من أجلها! ما أكرم ربي وأرحمه بي.

✍ لكن ما فعلته كان شيئا سامياً.. لم يفعله الكثير من الملتزمين.. من منا يتنازل عن ديونه للناس، من منا يتخلى عن كده وعرقه للآخرين؟

من منا يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة؟ أيها الرجل هنـاك مـن سرق والده، وهناك من سرق أخاه، وهناك من سرق وطنه، وهناك من سرق جاره، وهناك أثرياء يسهرون الليالي والأيام يفتلون حبال الحيـل والخبث، لقنص أموال الأرامل والأيتام والمساكين، وكأ م سيموتون من الجوع إن لم يفعلوا ذلك.. أيها الرجل الجميل الكريم ذكرتني بالأنصار..

ذكرتني بالمدينة
ذكرتني بسحابة
بطيبة حين جاع الصحابة
بالأوس وابن معاذ
بخزرج وابن عبادة
وابن الربيع بين النخيل
بالحب حين جاء الصحابة
ذكرتني أم سليم
وابنها والهدايا
تحف فاطما ومحمد
ذكرتني بالطفولة
والدف عبر دروب
دروب عمرو بن عوف:
يا حبذا من محمد

وصاحب لمحمد

وجيرة لمحمد

البدر سال إلينا

من غار نور

من مكة والعلايا

البدر صار المدينة

وطيبة في السماء.

ما فعلته يا أخي عجز عنه الملايين، إن الأبواب نحو الله ليست محـصورة في قيام الليل وصوم النهار، ألا تعلم أن هناك سلوكا قاسيا يوصد تلك الأبواب، ذات يوم سئل نبينا عليه السلام فقيل له: (يا رسـول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل وتصدق وتؤذي جيرا ا بلسا ا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا خير فيها، هي من أهل النـار. قالوا: وفلانة تصلى المكتوبة وتصدق بأثوار من أقط، ولا تؤذي أحـدا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي من أهل الجنة)

- لكن لا تنس رحمة الله.

- أجل فلن يدخلها أحد إلا برحمة الله.

- حتى الأنبياء؟

- لقد كان نبينا عليه السلام محاطا ذات يوم بأصحابه فقال لهم: (لن يدخل أحدا عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قـال: لا.. ولا

أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقـاربوا، ولا يتمـنين أحدكم الموت، إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا، وإما مـسيئا فلعلـه أن يستعتب) أي يتوب ويرد المظالم. وما فعلته أيها الجميل كان رحمة.. كان دروبا جميلة إلى رحمة الله.. ألم تطرق أذنيك كلمات الحبيب صـلى الله عليه وسلم وهو يقول: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)

(لا يرحم الله من لا يرحم الناس)

(من لا يرحم لا يرحم)

ذات يوم قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر)

حقا إن للقلب مساحات شاسعة تضيع فيها مـساحات الجـسد، وأرصدة المال، وسلاسل الأنساب والأحـساب، وأطيـاف الألـوان والأعراق.

(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظـر إلى قلـوبكم وأعمالكم)

امتد بنا حديث العطاء في مساحات العطاء وجمالـه، في محـيط يخلـب الألباب، وابتعدنا في فتن الجنة ولم نفق إلا على صوت صـاحبي وهـو يتهادى وسط تخته كملك، توقف على مرفأ مصنوع من الماء، وكأنـه قطعة متجمدة منه، لكنه يتموج، فإذا داست عليه الأقـدام تحـول إلى

جسر بحجم القدم التي تطأه، كان السير عليه متعة ورياضـة ودهـشة تملأك بالتسبيح.. اجتزنا جسر الماء، وسلم صـاحبي علـى صـاحبي، وأخذناه إلى ياقوتته وزهرته..

ودعته بحرارة، ووعدنا بلقاء آخر أكثر متعة وأطول زمنا، ثم انسبنا من جديد عبر نهر وأنهار وعالم آخر وسط هذه البحيرة المذهلة.. كان المكان حولنا حالما للغاية، حتى ساد بيني وبين صاحبي صمت حـالم وطويـل.. رفرفت فيه أرواحنا فيما حولنا.. رفرفت أرواحنا كالتـسبيح في هـذه الروعة التي أذهلتنا، حتى أفقنا على مشهد أشبه بتناثر الجواهر..

قلت لصاحبي: هل تريد أن نكتشف هذه التحف المتناثرة على سفح هذا المرتفع في مدخل البحيرة الآخر؟

✍ بكل سرور مع أنني لا أريد أن أتوقف عن الإبحار.

خرجنا من بوابة من بوابات البحيرة الكثيرة، التي تقود إلى نهر عـريض جداً.. جوانبه وقاعه مصبوب صبا من الأحجار الكريمة الملونـة، أمـا الجسور الطويلة والفسيحة من فوقه فتتخذ أشـكالا هندسـية رائعـة وجديدة ومدهشة، وعلى جوانب الجسور تتناثر المقاعد والاسـتراحات الجميلة، وعلى جانبي النهر مساحات فسيحة من العـشب والزهـور تتماهى ألوانها بما خلفها، أما السحر فكان في الخلفية التي عـن الـيمين والشمال... فبعد تلك المساحات الفسيحة المنبسطة تتلألأ جبال وتلال ومرتفعات من الأحجار الكريمة التي لا حصر لها ولا لألوانها، وعليهـا تتناثرت المباني المبنية عليها والمنحوتة منها ومن ألوانها.. فـن وروعـة

وتصاميم ودقة مذهلة، وأجواء حالمة فوق ما نتخيل، وحدائق وطرقات تف بك للمرور ا والصعود إليها، فأشرت لصاحبي بالتوقف.

أوقفنا مركبنا الفاره، وغيرنا ملابسنا الرياضية، وانتقينا من علب الحلي الأنيقة ما شئنا من حلي تتناسب والملابس الأنيقة التي نرتديها.. صعدنا خلال درج منحوت من جبل من الرخام الأرجواني المتموج، حتى أوعية الزهور والورود التي على جانبيه، كانت منحوتة من هذا الجبل.. صعدنا مشيا لا يعرف التعب، لكنه يعرف التوقف كثيرا والتأمل أكثر، فكل ما نراه آسر.

تأسرنا تلك البيوت وروعة تصاميمها وألوا ا، وموادها نوافذها وأبوا ا وحدائقها.. تأسرنا تلك الدروب التي تتعرج بينها، وتغنينا تلك الجبال التي تحتضنها.. تلك الجبال الخلابة والشاعرية، فبين كل جبل وجبل شلال عريض ينحدر ثم ينساب نحو رنا.. كانت جبالا على غير ما عهدنا في الدنيا.. كانت أ ى مما نأمل.. كانت الدهشة تأخذنا من جبال الفيروز إلى مرتفعات الألماس، إلى تلال من العقيق، إلى هضاب من الزمرد، إلى شواهق من اللؤلؤ، إلى جبال من الذهب، إلى جبال من الفضة، إلى هضاب تتمازج فيها الألوان والجواهر والمعادن، في لوحة لا تملك سوى التسبيح لمن أبدعها..

ألوان تتدرج من أعتم السواد إلى أنقى البياض.. كان كل جبل معرض للفن والسحر والسياحة الروحية والفكرية والجسدية.. نحتت بيوت كل

جبل ومطاعمه ومشاربه ومسراته منه.. تأخذك الرحلة أشهراً وسـنوات دون ملل..

لك مكان في كل جبل وهضبة وتلة ومرتفع، ويرحب بك في كل ممـر وطريق، فليس حولك سوى أحبابك وأخوتك الذين ينافـسونك حبـا وجمالا وإيثاراً. فأنت في عالم من الأنس والصخب والاحتفال، وإن شئت التأمل والانفراد بمن تهوى وتشاء.

سكنا في عدة بيوت من تلك البيوت المخلوقة من تلك الجبال.. كـان لكل بيت أسلوب مميز، وأثاث مميز، وإطلالات مميزة وطرقات مميزة..

كانت جنات مختلفة وجديدة، وما بينها من شلالات ومصبات ومنـابع وبحيرات تكاد تنسيك ما قبلها وتحرضك على ما بعدها..

شاهدنا كوخاً شاعريا صغيرا ومنعزلا، منحوتا من جـوهرة ذات لـون عودي معتم، وتنحدر على سقفه خيوط الأشـجار متدليـة الملونـة، وتعانقها الأشجار المتسلقه، وتزين نوافذه المزخرفة الزهـور والـورود والشجيرات الملونة، والمطعم بكامله يستحم تحت مصب مائي هاديء، وبالكاد نسمع خرير الماء العذب الذي يعزف حوله، حيث تتجمع تلك المياه في بركة عذبة وكبيرة، يستلقي عليها المطعم قبل أن يكمـل المـاء انحداره، ومن الجبل نفسه نحت جسر نحو بابه فوق تلك البركة المحيطة به..

توجهنا للمبنى الذي يبدو أنه لا يتسع للكثير، ولما وصلنا رحـب بنـا القائم عليه بذوق أهل الجنة ورحابة صدورهم، وإذ به مشرب ومطعـم

حميمي وآسر، أخذنا بأسلوب رفيع نحو إحدى الطاولات القليلة، والتي تطل كلها على النهر، وعلى البحيرة التي أصبحت بعيدة عنا، لكن بإمكاننا رؤيتها، والاستمتاع بمنظرها ومناظر المرتفعات والهضبات والبحيرات الأخرى الخلابة..

جلسنا فقدم لنا الساقي قائمة لا تستطيع سوى انتقائها كلها.

طلبنا مشورته فأشار بالقائمة كلها وهو يهزها. فطلبنا منه أن ينتقي ما يشاء. فقال: سمعا وطاعة وعلى الرحب والسعة.

ولما هم بالانصراف استوقفته وقلت له: أخي الكريم.. لدي سؤال غريب بعض الشيء.

فقال: سل ما بدا لك.

✍ هل بالإمكان إيجاد مكان ليلي..؟

فقال: الأماكن الليلية كثيرة جدا وحسب طلبك، هناك المضاء بالأنوار، والمضاء بالشموع، والمضاء بالأقمار والنجوم، والمضاء بأشياء أخرى كثيرة جدا.

❍ وهل تعرف أين هي؟

◙ سأزودك بعناوين أكثر من شعر رأسك.

❍ لم تريد الأجواء الليلية؟

✍ ذكرتني عتمة هذا المكان بالليل.. أتذكر أنه كان في دنيانا ليل ينافس النهار أحياناً.

❍ أجل، ولكن عندما يكون هنا أضواء أو شموع.

🍽 أتمنى لكم المزيد من المتعة في هذا النعيم المقيم. هل مـن خدمـة أخرى..؟

❍ أجل سؤال فيه الكثير من الفضول: لم هذا العـدد القليـل مـن المقاعد؟

🍽 مطعمي هذا كملايين مثله، مطعم لمن يريد حميمية وخصوصية أكثر خارج قصوره.

✍ ولم فالبهجة تملأ الجميع، والصدور أفسح من الأمكنة والابتـسامة تحتضنك أينما اتجهت.

🍽 إ ا أجواء الجنة، ليس هناك ملل ولا هروب، لكنه البحـث عـن المزيد والمثير، إ ا أجواء ملايينية تريدك أن تكـون ضـمن كواكبـها وأقمارها وعبيرها.

✍ شكرا.. ما ألطفك وأعذب أخلاقك.

🍽 الشكر لله وحده الذي أشرعها لنا جميعاً.

❍ أجل الحمد لله حمدا يليق بجلاله وكرمه.

انصرف النادل اللطيف، فالتفت صاحبي متسائلا وقـال: كـم مـن الشاعرية يكتـ ا هدوء هذا المكان وعزلته.

✍ كل شيء في الجنة مكتـ بالجمال والفتنة.

❍ هل اشتقت إلى ليالي الدنيا..؟

✍ أبدا، ومن يشتاق إليها وهو في هذه الأجواء، هل هناك ملك يشتاق إلى سجن خرج منه ليستعيد ملكه، لكنني كنت أتساءل هل بإمكاني الحصول على أجواء ليلية في الجنة.

❍ وماذا تريد منها ونحن فيما نحن فيه.؟

✍ أبدا.. كانت المشاعر في مساءات الدنيا أكثر صفاءً، فقلت في نفسي: إن كان ليل الدنيا شاعريا، فإن شاعرية ليال الجنة لا يمكن وصفها.

❍ لا شك عندي.. فقد كان الليل يجيد إغراء مشاعري.. كنت أحب ليال الصحاري تحت ضوء القمر.. كنت أعشق وميض الشعر، ولهب الحطب خارج خيمة مشرعة الرواق.. حيث يحلو الشعر والسمر؟

✍ الشعر.... إنه أجمل من يطرق أبواب الليل.. ماذا كان يقول الليل لك ياصاحبي؟

❍ :

عندما يشرق طيف الليــــــــــل مع طيفك نحوي
لست أدري أي يأس ينشر الليل وأطوي

✍ :

توارت نجمة عني كحلم تجر ثيابا فيتيه عقلي
أتعلم نجمتي أني وحيد يجوب الحزن أشعاري وليلي
أيحمل كفها في الليل شعري وتقرأ بعضه فتئن مثلي
محال فالنجوم بلا قلوب أحب بريقها وتحب قتلي

❍ :

أحقا غاب ذاك البدر عنا	ليتركنا مع الليل الكئيب
فوا أسفا أردد حين أفقى	وأردف خلفه كل القلوب

✍ :

إذا جن المساء تركت قلبي	يناجي خالقي أن تصحبيني
أرى في جنة الخلد احتفال	تذاكـره على درب الأمين

❍ ما رأيك بمساجلة شعرية عن الليل؟

✍ ما رأيك ذا الطعام.. إنه قصيدة شعر.

ازدانت الطاولة بأصناف المأكولات، حساء يلتف بخاره بمذاقه، وخيوط السلطات الملونة كلوحة رسام بارع، ولحوم طيـور وأسمـاك مـشوية ومطبوخة ومقلية، ومشروب يصيبك بالغياب الجميل لساعات، بـدأنا نشرب الحساء والهمهمات تنطلق بعد كل رشفة، وكلما غيرنا الأطباق زادت الهمهمات والمتعة.

لم نبق على الأطباق شيئا، فلا عظام ولا أشواك ولا حبوب ولا جلـود ولا تخمة.. كل شيء هضيم.. كل شيء نعيم.. كل شيء ممتع ولذيذ.. شكرنا الله، ثم شكرنا صاحبنا، ومكثنا طويلا نتحدث ونتأمل ما حولنا، فقد كانت تلك الجبال غراما يردي القلوب..

بقينا وقتاً طويلا تعرفنا فيه على رواد المطعم القليلين، وسمعنا حكايـا م وقصصهم ومعانا م في دنياهم.. كان المكان لا يمل والحـديث لا يمـل والرفقة لا تمل..

مرت الساعات تلو الساعات، ثم غادرنا مطعمنا الحميمـي، وودعنـا الساقي بعد أن أصر أن يقدم لنا علب لها شكل المطعم، تحتوي إحـداها على عطور، وثانية على شراب ساخن، وثالثة على بعض الحلوى الشهية التي يتميز ا هذا المطعم..

أصر أن نأخذها معنا، وأصر على إيصالها للمركب بنفـسه، رغـم أن المركب يغص بأفخر الطعام والشراب.

ودعناه بالعناق ووعدناه بالعودة. أريناه مركبنا، فسبقنا إليه.. ثم رحنا في نزهة رية طويلة حول هذا المكان الثري.. وبعد مدة توجه صديقي إلى مقدمة اليخت.. وأحضر معه علبتين كبيرتين، ثم أحضر كـوبين مـن الشراب الساخن الذي أعد في ذلك المطعم الجبلي الحالم.. فتحنا العلبة الأولى ففاحت رائحة الحلوى الشهية التي لا تقاوم، وإذا فيها أصـناف تتنافس في الرائحة واللذة ويصعب وصفها.. كانـت فواحـة وكأ ـا خرجت من أفرا ا ومخابزها الجبلية للتو، أما أكواب الشراب الساخن، فمذاقها لا يضاهى ولا نعرف مكوناته ولا اسم أعشاب الجنة التي صنع منها، بدأنا بارتشافها، فأسكرتنا لذته لدقائق مع أول قطـرات تبلـل شفاهنا..

كان صاحبي يمسك بكوبه بكلتا يديه ويتأوه وهو مغمض العينين، وكأنه يشعر بلذته تتجول خلف عينيه، كأن بخاره يتجول في رأسه، ويستمتع بمطاردته هناك، ثم قال بعدها: هات ما عندك..

✍ ما رأيك باختتام سياحتنا في هذه الأماكن الثرية بالصعود إلى قمة ذلك الجبل الفيروزي؟

وافق صاحبي.. فقطعنا تلك المساحة المنبسطة من الزهور نحو الجبل بكل حماس.. ولما وصلنا أسفل الجبل كانت السلالم الفيروزية تتعرج تحفة فنية بين كوخ وبيت وقصر وبار، واستراحة ومصب مائي، وبساتين صغيرة، ومنازل ودودة، وكأن الجبل كومة من العقود والجواهر.. صعدنا حتى بدا لنا ما حولنا، فقال صاحبي: لو كان هذا المكان في الدنيا لأفنى أهل الأرض بعضهم بعضا في القتال عليه..

✍ إنهم يقتتلون على مضيق وجزيرة شاحبة فارغة، وجبل وواد ومرتفع هي في قمة القبح مقارنة بما أرى.. الإنسان في الدنيا كان في امتحان بين السطو والإنجاز.. هناك بشر كرسوا حياتهم لصنع الحياة والحب والرخاء والإيثار، وهناك آخرون لا يرون في الدنيا إلا أنفسهم، هم ثم الطوفان، لذا فهم يسطون ويسلبون وينهبون ويدمرون خشية أن يقل مستوى معيشتهم.

❍ ولكنك تتذكر وأنا أتذكر أن الغرب كانوا كفارا في معظمهم، وهم الذين تسلموا راية التحضر بعد سقوط المسلمين، وهم الذين كانوا

في الزمان الذي عشت وإياك فيه.. كانوا يصنعون الحيـاة وينجـزون ويبدعون، بينما كان المسلمون والعرب بالخصوص في ذيل القائمة.

✍ أتذكر ذلك وكان يؤلمني، وهو أمر يحسب لهم، لكنهم غير مؤهلين لقيادة البشر، فهم أنانيون يريدون كل شيء لهم فقط، فبعد أن أصبحوا على قمة العالم انحدروا ليدمروا غيرهم، لقد كانـت إحـدى بلادهـم الاستعمارية تستعمر نصف الأرض ومساحتها لا تتجاوز مساحة بـلاد من أصغر البلاد العربية....

❍ بمعنى؟

✍ بمعنى أن تلك البلاد لم تستعمر تلك البلدان لتثقف أهلها وتغـدق عليهم من حضارا وسر فو ا، كانت عبارة عن أنبوب شفط مروعـة لخيرات تلك البلدان، حتى تصب في بلادها، وبالذات في جيوب رجال الأعمال فيها.

❍ لكنها بنت المدارس والمصانع؟

✍ بنت البعض، لكنها أقامت الكثير من ا ازر، بل رحلت عن بعض تلك البلاد وهي في حالة مزرية.

❍ ربما كانت تذبح من يقاوم مشروعها الحضاري؟

✍ لم يكن لديها مشروع حضاري لغيرها.

❍ وتلك المدارس والمصانع؟

✍ وكيف تقنع المغفلين بضرورة استعمارها إن لم تقم ببعض الزينة والتبرج الذي تخفي به وجهها القبيح.. كانت تلك المصانع والمدارس طلاء لا أكثر.

❍ وكيف بربك تثبت للعالم أن مشروعها ثقافي؟

✍ أن تحمل روح الحضارة لا قشورها، أن تبشر الناس بالحب لا بالقوة، وبالعدل لا بالبطش.

❍ كانت تفعل ذلك.. تقيم برلمانات وتعلم تلك الشعوب الديموقراطية.

✍ إنها أشياء جميلة لو تركت تلك الدمى تتحرك لوحدها، ولو تخلت عن تلك الخيوط التي تدير بها تلك العمليات.

❍ كنت تحكم عليهم بأحكام مسبقة.

✍ إطلاقاً، كنت أحب إنجازاتهم لكنهم كانوا ينعمون بمشروعهم الحضاري لوحدهم، دعني أضرب لك أمثلة.. هم ثرثروا عن العدالة والمساواة واحترام الآخر، لكن دعني أخبرك عما يفعلونه بعد أن استعمروا بلاد الصين والسند والهند وحتى العرب.. كانت لهم أندية لا يدخلها غيرهم، كانوا يتعاملون مع أصدقائهم من تلك البلاد كخدم، ومع بقية الشعوب كأعداء، كانوا ينظرون لأنفسهم على أنهم سادة، والبقية عبيد، كانت الثروات لهم والموارد لهم، والأماكن الراقية لهم، وللشعوب الوعود والهراء.. كانوا يأخذون أبناء تلك الشعوب ليحاربوا بهم أبناء بلاد أخرى.. هل تتصور أن أشهر تلك البلاد الإستعمارية

فقدت في معركة واحدة عشرين ألف جندي هندي، وعندما أرسل القائد لملكه رسالة يبشره بالنصر قال له: انتصرنا والخسائر لا تذكر.. عشرون ألف قتيل خسائر لا تذكر.. عشرون ألف إنسان لأنهم لا يتمتعون بلون بشرتهم، وليسوا من بلادهم، هؤلاء خسائر لا تذكر.

❍ لكنهم صنعوا ما جعل حياتنا مريحة كالسيارات والطائرات والمكيفات، وأجهزة الاتصال وما لا يحصى من الإنجازات.

✍ هذه الإنجازات البيضاء المشرقة هي ما زاد في سعارهم وتوحشهم.

❍ كيف وشعوب الأرض تستمتع بها جميعا؟

✍ هناك رجال ونساء جعلوا قبلتهم هي هذه المنجزات الرائعة، حتى أصيبوا بالعته، فصاروا يرون أن كل ما يفعله أهلها خير محض، حتى ولو قتلوا وسفكوا الدماء وعاثوا في الأرض فساداً... هذه يا صاحبي منجزات مادية تتوفر للإنسان متى ما توفرت لديه الإرادة في إنجازها، إنها تراكمات خبرة بشرية لم تنشأ بين عشية وضحاها، ولذا ترى أن هناك دولا إسلامية خطت في عقد من الزمان خطوات عملاقة في هذا المجال.

❍ إذا عن أي شيء تتحدث، أو ليس هذا مشروعا حضاريا؟

✍ بلى لكنه في الجانب المحايد منه، فالسيارة والطائرة وأجهزة الاتصالات محايدة.. أنا أتحدث عن الجانب الأهم.. عن أن الإنسان الذي اخترعها وأبدعها ارتكب أفظع الجرائم، لا لينشرها بين البشر،

ولا ليجعلها متوفرة للجميع، بل ليحقق طبقيته وأرباحه وغـروره مـن خلالها.

❍ وما الضير في أن يشتريها البشر ويستمتعوا بها؟

✍ لا ضير في ذلك، لكن أن يقتل ويستعمر ويسلب وينهب الآخرين كي يحول العالم إلى سوق لتلك المخترعات، أو مـواد خـام لهـا، أو مستودعات لبضائعهم.

❍ وهل تريد منهم أن يوزعوها بالمجان؟

✍ كنت أريدهم أن يقدموها بإنسانية وإخاء وبالثمن الذي يريدون.

❍ وهذا ما فعلوه.

✍ وهل تسمي الاستعمار والاحتلال، وتخريب الديار الآمنـة وقتـل الملايين من بلاد العالم الذي يسمونه الثالث.. هل تسمي ذلك إنـسانية وإخاء وود، قل لي بربك ما فائدة الآلة إذا كان الثمن هو حياتك.؟

❍ لكنهم هم من وضع ميثاقا لأمم العالم، ومجلسا للأمن، وهيئة للأمم المتحدة، وهم من وضعوا ميثاقا لحقوق الإنسان.

✍ هذا هو لب المسألة.. هيئة للأمم المتحدة لا سلطة لهـا إلا علـى الضعيف.. صنعوا مجلسا للأمن يخيفون به الضعفاء، وميثاقـا لحقـوق الإنسان الخاسر الوحيد فيه هو الإنسان... أتذكر تلك الدولـة الـتي كانت تحمل اسم نبي الله عليه السلام؟

❍ (إسرائيل)، أجل، تلك الدولة التي عاثت في أرض الأنبيـاء قـتلا وتجبرا وفسادا.

✍ إ ا من صناعة وتصميم الديموقراطية العالمية، هم الذين وعدوا بإيجادها، وهم الذين أمدوها بالمهاجرين، وهم الذين دربوا وسلحوا أولئك المهاجرين، وبعد أن وقفت على قدميها اعترفوا ا مباشرة، بل قامت الديموقراطية العالمية بحمايتها والتستر على جرائمها، وكلما أجرمت وارتكبت مجازر وأجمع العالم على إدانتها وقف صوت أو صوتان من كبار الديموقراطيين بمنع تلك الإدانة بحق (الفيتوا) الذي يمثل قمة العنصرية والاستخفاف بالآدمية، وبعد أن امتلكت إسرائيل المئات من القنابل النووية غضت الديموقراطية العالمية وهيئة الأمم ومجلس الأمن الطرف عنها، لقد قامت الديموقراطية بتفتيش الملابس الداخلية لزعيم عربي بحثا عن سلاح نووي، بينما ترفض هذه الديموقراطية اعترافات الإسرائيليين أنفسهم بامتلاكهم لتلك الأسلحة، وعندما تخوض تلك البلاد حربا ضد العرب تجد الأسلحة تتدفق عليها من تلك الدول الديموقراطية!

❍ يبدوا أنك لم تكن تتابع ما يحدث في داخل تلك الدول الديموقراطية من نشاط حول حقوق الإنسان في الحياة والعلم والحرية، بل وحتى حقوق الحيوان؟

✍ أنت قلتها.. داخل تلك الدول.

❍ ماذا تقصد؟

✍ أقصد أن تلك الدول الديموقراطية ليست مؤهلة لقيادة العالم بشكل متحضر، لكنها متحضرة داخل أسوارها فقط.

❍ يعني..؟

✍ يعني أن تلك الدول المتحضرة أشبه بعصابة ملتزمة بنظـام صـارم وحديدي، يعرف فيه كل فرد مهمته ودوره، وهناك جهـاز منفـصل يحاكم فيه المخطىء، وجهاز للإدارة، وجهاز لمناقشة ونقد سير أعمـال العصابة.

❍ أنت حقا تحمل أحكاما مسبقة على تلك الدول.

✍ فسر لي كيف تتحدث الديموقراطية العالمية عن حقـوق الإنـسان والمجاعات في دول العالم، وتخزين اللحوم داخل مستودعات تبلغ تكلفته عشرة أضعاف تكلفة إيصاله إلى الجائعين والمشردين، كيف تفسر هـذا السعار في التسابق على التسلح بالأسلحة الفتاكة وإنفـاق المليـارات عليها بدلا من مساعدة الدول الفقير؟ فسر لي كيف يمدون الطوائـف والعرقيات في تلك الدول الفقيرة بالسلاح والمرتزقة بدلا مـن الطعـام والدواء؟ فسر لي كيف تتحول تلك الدولة الديموقراطية المتحضرة إلى وحش كاسر إذا حاربت دولة أخرى، تبيد وتعيث و ملك، وجيوشـها تعذب وتسلب وتنهب وتغتصب دون حسيب أو رقيب؟

❍ وهل تريدها أن تحارب بمسدسات مائية مليئة بالعطور حتى ترضى عنها؟

✍ لو كانت متحضرة لالتزمت بتحضرها خارج ديارها كما تلتزم به في الداخل، لو كانت متحضرة حقا لما قاومتها الشعوب حتى تطردها من ديارها شر طردة.

❍ ومتى كانت الشعوب ترحب بمحتل؟

✍ كانت.. كانت عندما كان المحتلون هم المسلمون.

❍ وماذا تسمي مقاومة الجيوش غير المسلمة لهم؟

✍ وماذا تسمي انهيار تلك الجيوش بسرعة بعد تعرفهم على نظافة وتحضر وإنسانية وسمو رسالة المسلمين، وماذا تسمي إسلام تلك البلاد بالسرعة نفسها، بل فسر لي أمرا معجزا لم يحدث لأمة غير أمتنا المسلمة؟

❍ وما هو؟

✍ لم تكتف تلك الدول المفتوحة بالاستسلام للمسلمين والاقتناع بدينهم، لقد عشقتهم عشقا لا حدود له، وعشقت قرآنهم وعشقت لغته، فتخلت عن لغتها الأصلية واعتنقت لغة القرآن العربية.. هل كان أهل الشام عربا.. هل كان أهل مصر والسودان عربا.. هل كان أهل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والصومال عربا..؟!!

❍ لا، لكنهم تحولوا إلى عرب بعد دخول الجيوش الإسلامية بلادهم.

✍ أبدا، بل أصبحوا عربا لأن تلك الجيوش لم تأت لتنتهب، ولم ينفرد الفاتحون بمميزات طبقية عن أهل البلاد كما فعل الأوروبيون في أفريقيا وآسيا، ولم يحولوا ثروا ا إلى ديارهم، ولم يقوموا بتحول تلك البلاد المفتوحة إلى مزرعة الخدم فيها هم أهلها، لقد كانت تلك الجيوش الإسلامية تحمل حضارة ورسالة بين دفتي المصحف، فحالما دأ الأمور تجد أهل تلك البلاد المفتوحة يتحولون إلى أخوة للفاتحين، وقادة لتلك الجيوش، بل ويتحول أبناؤها إلى علماء ومفسرين وفقهاء ومحدثين وأدباء

وما شئت من تخصصات.. وإذ بتلك البلاد تعج بالمكتبات والمختبرات ودور العلم.. هل تتصور أن يصل المسلمون إلى وسط الصين وجنوب باريس بعد نصف قرن من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.. هل تتصور أن يقوم بذلك جيش غير متحضر؟

❍ كانوا يقولون إن دفع الجزية شيء غير حضاري.

✍ عجيب أمرهم، والأعجب أن ذلك الكلام يردده بعض المسلمين السذج.. أجل كان هناك جزية تفرض، وهي ضريبة مقابل خدمة الحماية لهم، ولذا أعاد القادة المسلمون الجزية لأهلها لما عجزوا عن الدفاع عنهم، لكن غير المسلمين رفضوا أخذها وفضلوا المشاركة مع المسلمين في الدفاع عن البلاد.. أجل هناك جزية، كما أن هناك زكاة يدفعها المسلمون وحدهم.

❍ لكن الزكاة على الأغنياء والجزية على الأغنياء والفقراء؟

✍ من قال هذا.! الجزية على القادر، وسأزيدك شيئا مدهشا.

❍ وما هو.. فالدهشة تملأني، كأن هذه المعلومات للتو بالنسبة لي.

✍ ألا تعلم أن المسلمين يدفعون زكاة أموالهم للفقراء من غير المسلمين؟

❍ أتعني أن الفقير من غير المسلمين داخل الدولة الإسلامية يأخذ ولا يدفع؟

✍ وهناك شيء آخر سيثير دهشتك أكثر.

❍ استرسل أرجوك.

✍ المسلمون يدفعون للأغنياء أيضاً.

❍ يا رجل من أين تأتي بهذه المعلومات أنا لم أسمع بها؟

✍ لكنك بالتأكيد قرأت كلام صاحب هذه الجنة في القـرآن وهـو يقول: {إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة مـن الله والله عليم حكيم} من هم المؤلفة قلوبهم؟

❍ حقا إنه لأمر مدهش، حقا إن التحضر بالقرآن هو التحضر.

✍ هذا لا ينفي أنه قد تقع أخطأ هنا أو هناك فالمسلمون يظلون مـن البشر، لكن القرآن الذي أخرجهم من ديارهم وبيوتهم سرعان ما يعالج تلك الأخطاء، أتعلم أن أجر معاملة الأسرى من غير المسلمين بـاللطف واللين وطيب الطعام، يعادل أجر فعل ذلك مع الأيتام والمساكين، انظر إلى حجم الهدايا والنعيم لمن كانوا فقط {يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا}

إن الله تعالى يبشرهم فيقول: {إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا * يوفون بالنـذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا * إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا * متكـئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا * ودانيـة علـيهم

ظلالها وذللت قطوفها تذليلا * ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا * قوارير من فضة قدروها تقديرا * ويـسقون فيهـا كأسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا * ويطـوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا * وإذا رأيـت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا * عاليهم ثياب سندس خـضر وإسـتبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ر م شرابا طهورا * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا}

✍ هل سمعت بأمة تطعم أسراها بطعام أفضل من طعامها الذي تأكله؟ هل سمعت بشيء مثل هذا؟ غيرهم يغتصبون الأسرى يا رجل.. تـصور أمة تأخذ هذا التحضر بالقرآن في سلوكيا ا، وتجمع معه أجمل ما عنـد الآخرين من تقنية و ضة مادية وأنظمة مدنية.

❍ ستصبح بجمال هذه المشاهد الخلابة التي تموج تحتنا وحولنا وفوقنا.

كان مشهد المياه والجبال والبيوت والأ ار، والـبحيرات والأشـجار والشجيرات، والطرقات المرصوفة وغيرها مما يتراقص تحتنا مغريا لنا كي نبقى، فبقينا زمناً من المتعة لا نقيسه سوى بالمتعة..

رحنا في سياحة ساحرة فوق قمة جبل شاهقة، إ ا ليست كقمم جبـال الدنيا الضيقة والخشنة، حيث الجليد القاتل والبرودة المميتـة وضـيق التنفس وقلة الطعام ووفرة الخوف والأخطار..

إ ا قمم أخرى فسيحة كالأرض.. منبسطة ومنقوشة ومزخرفة ومنبسطة ومعجزة ومسكرة.. جمال وإثارة ورياضة ونـشاط يغـري أجـسادنا ومشاعرنا بالمزيد وبلا حدود.. إنه الثراء والقصور والمساحات الملونـة المختلفة، والبحيرات التي تلمع على تلك القمم، ومنها تبدأ مـصبات بعض الأ ار..

إ ا السحب الجديدة والأمطار الجديدة والسماوات الجديـدة والأراض الجديدة، وما شئت من أماكن للسياحة الجديدة والتجـوال والأنـس الجديدين ..

سكنا قصورا تعج بكل جديد.. تزخر بالثراء الذي لا حدود له، فنحن على قمة جبال ألماسية هائلة.. أرجوانية وزرقاء وخضراء وما شئت من ألوان.. حولنا من وسائل الراحة وأساليب النعيم ما لم يره بـشر مـن قبل.. مطارات.. طائرا ا من المعـادن الثمينـة والأحجـار الكريمـة، ومركبات وعربات وقطارات، وكل ماله علاقة بالرخاء والثراء والأناقة مما يخطر ولا يخطر على البال بألوان الجنة الجديدة..

كنا ذات يوم على شرفة قصرنا وتحتنا آلاف الأميـال مـن الجاذبيـة والسحر والفتنة.. كنا ننعم بخدمة تفوق خدمة الملوك، فحولنا فرق من الخدم والسقاة يهبون عند أدنى إشارة، ننتقل من بستان إلى آخر، ومـن شرفة إلى أخرى، ومن مكان إلى آخر.

التفت صاحبي إلى أولئك الخدم الكرام ونحن في ساحة قصر هائل تطـل أطرافه على نعيم يموج تحتنا لا يمكن وصفه، فقلت لصاحبي: لـو رأى زعماء الدنيا ما نحن فيه لعاشوا حياة راقية من الزهد والعدل.

فقال صديقي: ذكرتني بقصة قرأ ا حول حوار جرى بين واعظ حكيم، وملك نشر العلم والثقافة والإسلام في مساحات تحدى الـسحابات أن تتجاوزها:

دخل الواعظ "ابن السماك" على هارون الرشيد، وقد طلب الرشـيد ماء، فأحضر له ماء بارد، فقال الرشيد لابن السماك: (عظني. فقال: يا أمير المؤمنين بكم كنت مشتريا هذه الشربة لو منعتها؟

فقال: بنصف ملكي.

فقال: اشرب هنيئا. فلما شرب قال: أرأيت لو منعت خروجهـا مـن بدنك، بكم كنت تشترى ذلك؟

قال هارون الرشيد: بنصف ملكي الآخر.

فقال ابن السماك: إن ملكا قيمة نصفه شربه ماء، وقيمة نصفه الآخـر بولة، لخليق أن لا يتنافس فيه)

✍ ياله من واعظ حكيم، ويالها من دنيا تزداد تفاهة كلمـا ازدادت جمالا، وتزداد جمالا كلما ازدادت قبحاً.. لقد قرأت عن أثرياء أقـدموا على الانتحار وهم في أوج سعاد م، فهل قرأوا ابن السماك.!!

❍ بل لأ م ملوا الدنيا، وليس لديهم أهداف أكثر من العيش فيهـا، كانوا يبحثون عن شيء لا يعرفونه فيها.. أعماق الموت.. هذا المـوت

المخيف ما وراءه..؟ انتحروا بحثا عما وراءه، بعد أن لم يجدوا في كتابهم المقدس شيئا مقنعا صحيحا يرشدهم، بعد أن لم يجدوا عند مفكريهم فلسفة تقدم لهم حقيقة مقنعة.. أتذكر عندما كانوا يقولون: لا أحد يملك الحقيقة؟

✍ ظل بعضهم في غيهم يعمهون، وبعضهم فتح عقله وقلبه لما في القرآن والسنة، بعد أن كشف له العلماء التجريبيون أن في القرآن والسنة معلومات علمية لا يستطيع بشر على الإطلاق أن يصل إليها في عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت تلك المعلومات تأتي ملتحمة بالحديث عن البعث والنشور والنار والجنة.. أي عن الإجابات التي انتحر المنتحرون بحثا عنها.

❍ أي أن صحة تلك المعلومات كانت تشهد لحقيقة البعث والنشور، وصحة القرآن والسنة وما فيهما من أخبار بالغيب، وصحة ما نحن فيه من نعيم.

✍ أجل، لأن تلك الأخبار لا يمكن الوصول إليها عن طريق العلم، بل عن طريق الخبر الصادق (القرآن)

❍ وماذا عن نظريات العلم؟

✍ أنا أتحدث عن حقائق العلم، أما النظريات فلا يمكن الجزم بصحتها.

❍ صدقت.. لا توجد حقيقة علمية تخالف القرآن والسنة.

✍ دعني أضرب لك مثالا رائعا بسورة (المؤمنين) دعني أقرأ عليك كلام الله، ثم تأمل كيف يأتي القرآن بمعلومات بين ثنايا كلامه العظيم،

ليؤكد صدق دعوته وأخباره، وصدق وعده بالجنة ووعيـده بالنـار..
سورة (المؤمنين) التي أسلم بعد قراء ا أحد أعظم علمـاء الأجنـة في دنيانا، وأذهلت الصيادلة والأطباء، وأخرجت أرقى مختبـارات العـالم ومعامله شهادات بصدقها، وصدق مبلغها عليه السلام، وصدق من أمر بكتابتها (أبو بكر رضي الله عنه) وصدق من كتبها وحفظها (الـصحابة فمن بعدهم رضي الله عنهم) وصدق من عممها على العـالم (عثمـان رضي الله عنه)...

يقول تعالى فيها: (قد أفلح المؤمنون (١) الـذين هـم في صـلا م خاشعون (٢) والذين هم عن اللغو معرضون (٣) والذين هم للزكاة فاعلون (٤) والذين هم لفروجهم حافظون (٥) إلا على أزواجهـم أو ما ملكت أيما م فإ م غير ملومين (٦) فمن ابتغـى وراء ذلـك فأولئك هم العادون (٧) والذين هم لأمانا م وعهدهم راعـون (٨) والذين هم على صلوا م يحافظون (٩) أولئك هـم الوارثـون (١٠) الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (١١) ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين (١٢) ثم جعلناه نطفة في قرار مكـين (١٣) ثم خلقنـا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظـام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (١٤) ثم إنكم بعد ذلك لميتون (١٥) ثم إنكم يوم القيامة تبعثون (١٦) ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين (١٧) وأنزلنا من الـسماء مـاء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون (١٨) فأنشأنا لكم

به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون (١٩) وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (٢٠))

❍ إنها آيات تسافر بك من أركان الإسلام إلى أركان هذه الجنة.

✍ ولا يقل عنها دهشة ما كشفه العلم التجريبي للإنسان عن مراحل تخلقه، كيف عرف محمد العلقة والمضغة، وبقية الأطوار.؟!! هذه المعلومات الدقيقة جعلت أكابر علماء للأجنة يعلنون إيمانهم بأن هذا القرآن هو كلام الله، وكلام الله فقط، لأن تلك المعلومات الدقيقة لا يمكن أن يحصل عليها إنسان يركب الجمل، ويعيش بين جبال مكة وحرات المدينة، لا سيما وهو أمي؟! ويعيش في عصر متخلف كان العلم فيه أكثر تخلفا؟!! أما التمر فمعجزاته وبراءات الاختراع حول فوائده التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، فشيء معجز حقا، وما أخرجته المعامل والمختبرات حول الزيتون وزيته.. كل ذلك لا يمكن أن يمر على من فتح عقله وقلبه مرور الكرام.

❍ عدت تردد: "فتح قلبه".؟

✍ لأني أعتقد أن القلب هو مفتاح العقل، فالذي ينسى عواطفه عند تلقي المعلومة، يتيح لها أن تمر بسلام إلى عقله، أما من يجعل تلك المعلومة مطية لقلبه يسوقها حيث يهوى ويميل، فإن المعلومة ستظِل طريقها وتتوه حتما، ولن يتبع سوى هواه الذي يوظف كل شيء من أجله، كما هي حال فرعون وأبي لهب وأبي جهل.. سيظل أسيرا للمألوف والسائد في

قومه، سيظل جاهلا لا يتعلم سوى ما يحب، ولا يعتنق سوى ما يهوى.. بل إن العلماء التجريبيين اكتشفوا شبكة من الخلايا العصبية في القلب لا تقل في وظائفها عن خلايا الدماغ.. انظر إلى ذلك الماء.. الماء جعل أعظم عالم بحار في العالم يسلم بعد أن قرأ (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)

❍ كم أتوق إلى اللقاء بهؤلاء العلماء الذين أسلموا على يد العلم التجريبي، فقد مات معظمهم مجهولا، جحدناهم وتنكرنا لهم، ولو كانوا في دين غير ديننا لقدسوهم.

✍ إنني أشعر بهم في الجنة يطرحون المزيد من الأسئلة.. أشعر بهم يسافرون إلى أماكن عرض حقيقية.. تريهم نشأة الكون وتشكله وبداياته وصيرورته وتحولاته، ثم نهاياته.. يشاهدون بداية خلق الإنسان من تراب، وإعجاز الباري عز وجل في إعادته وبعثه ونشوره، كأني بهم يمارسون تخصصاتهم كما مارس ذلك المزارع زراعته في الجنة.

❍ أعتقد أن لدينا متسعاً من الوقت كي نشاركهم ذلك.

أبحرنا في التأملات والمعلومات والتاريخ والذكريات أسابيع أو أشهراً؟ لا ندري فقد أسكرنا النعيم وأذهلتنا الجنة..

استمر بنا النعيم حتى أخذنا أحد الأنهار الفيروزية ذات يوم نحو مجرى نهر جديد.. نهر أخذنا طويلا، وأخذنا ما حوله من مسافات من الأنس والسعادة.. وتدريجيا أخذ النهر بالتحول دون أن نشعر وأخذ بالاتساع

والاتساع، حتى فاجأتنا ضاحية لمدينة كالحلم.. كانت ضـاحية هائلـة تستلقي على حافة بحر تتناثر فوقه المراكب كالجواهر.

شدنا منظر الضاحية، فبينها وبين رصيف الشاطئ مـسافة كـبيرة.. مسافة مفروشة ببساط ممتد إلى حيث يغيب عن أنظارنا، كان بساطاً من الزهور الصفراء ثم من الزهور البيضاء، ثم من الحمراء، حتى تغيب عنـا تلك الألوان وتلك البسط، وفي ايات كل بساط كان هناك إطار نقش عليه مزيج من الزهور والورود والشجيرات الملونة.. كل ذلك كان يملأ الرصيف الذي لا حدود لجماله، ولا لعبقه ورائحته التي تختلط برائحـة البحر المنعشة والجديدة، وكأنه بحر من العطور.. أما الهائل خلف تلـك المساحات الملونة فضاحية من القصور التي تشع بالفخامـة والجمـال، والفتنة والبذخ.. ملايين القصور تفصل بينها حدائق ملونة أو ميـادين فسيحة، أو ممرات لأ ار وديعة، أو طرقات عريضة مرصوفة بالأحجـار الملونة، والجواهر الفاتنة والشجيرات التي تتناغم مع تلك الألوان.

أوقفنا مركبنا ولبس كل منا حلة جديدة ورحنا نتمشى فـوق ذلـك العشب الأخضر، الذي يزداد خضرة وحياة كلما لامـسته أحـذيتنا الأنيقة..

توجهنا إلى مبنى هائل على رصيف الساحة النهرية، كان عبارة عن نـاد فخم ومعرض أكثر فخامة تنتقي منه ما شئت من مراكب وسـيارات، فنحن بحاجة إلى مركبة فخمة تطوف بنا بين القصور الـساحرة.. إ ـا

رحلة بين ملايين القصور ولنا فيها قصور، والتفرج على تلك الـضاحية قد يستغرق أشهراً.

فضلنا أن نقود المركبة بأنفسنا.. توليت القيادة فكانت متعـة ركو ـا وقياد ا، كمتعة الإبحار السابقة.. كل شيء جديد وجميل..

اقتربنا من تلك القصور..

كانت أسوارها منخفضة لا تزيد على منتصف الجسم.. القصر الـذي صادفنا كان زهري اللون، سوره الشفاف والمستقيم تكـسوه الـورود الحمراء والوردية، وتحف ببوابته أغصان ملونة تتسلق وتلتف مـشكلة قوسا. كان الباب عريضا لكن ارتفاعه كان بمستوى السور، ومن الباب يمتد طريق مرصوف برصيف من الحجارة الناصعة البياض ولكـن دون لمعان. وعلى جانبي الطريق تنتصب الأشجار الباسـقة والمنـسقة ذات الألوان المتدرجة نحو الأفتح... وحول المـبنى تتنـاثر بـرك الـسباحة والسيارات والمقاعد والخيام الحريرية الملونة كلها بألوان القصر، وكأ ا قطعة منه.

هذا ما أسعفنا به وقت المرور، ولا ندري أي فتنة داخل ذلك القـصر، أما السعادة فتبدو من أصوات وضحكات من يسكنونه.

تجاوزنا إلى قصر آخر سوره ومبناه قد سكبا من الذهب، وقد أطـرت نوافذه وأبوابه بخشب الجنة المصقول، كان قمة في الجمال والفخامـة، كانت أرضية وممرات القصر من الخشب المؤطر بالذهب، وفي زاويتـه

كان هناك ما يشبه الاحتفال.. أناس مجتمعون وأصوات طرب وغناء يتعالى من بعيد.

قصر جميل ثالث توقفنا عنده.. كان مبنيا بما يشبه الطين لكنه طين فواح.. لونه ونوافذه وساحاته التي فرش جزء منها برمال لؤلؤية عذبة، وخيام حريرية تشبه خيام صحارينا في ساحاته. والدخان يتصاعد من الخيمة، ورائحة القهوة بنكهاتها تعطر المكان وأنغام تسبح في أجوائه وتزيدها سحرا، وذلك المسبح المحفور داخل حجر هائل من المرمر وحوله بعض نخلات مكتظة بالرطب الملون بألوان كثيرة غير الأحمر والأصفر.. كان واحة جديدة ومثيرة..

قال صاحبي: يذكرني هذا القصر بصاحب الزرع.

✍ أأدركت الآن أن الجنة ليست قتلا للإبداع واكتفاءً بالطعام والشراب وملذات الجسد، بل منها ينطلق الإنسان في رحلته الثانية التي لا تتوقف عن الإبداع والاكتشاف والاختراع دون حدود، وأن الإنسان مخلوق كريم متى ما كرم نفسه وعرف دوره تجاه الله والكون والحياة.

❍ أشعر من قول الله تعالى لذلك الإنسان الذي يريد الزراعة: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء. بمدى التكريم له.

✍ ليس فوق هذا تكريم.. إنه يحقق له رغباته النفسية.. إن زرع ذلك المزارع ليس جوعاً ولا نقصاً، ولا خوفاً من حرب، أو من سبع سمان يأكلهن سبع عجاف.. إنه هاجس مدفوع بالإبداع وحب الاكتشاف..

إن الله لم يقمعه ولم ينهره، بل تركه لشغف وصفه الله بأنــه لا يــشبع.. الجنة يا صديقي أكثر من متع حسية، إنهــا جنــة الخلــد ومليــارات السنوات، لك أن تتخيل ما الذي سيبدعه هذا المخلوق الذي لا يشبعه شيء في تلك السنوات، ومع ذلك فسيجد الجنة فوق ما يتصور، وأبعد بكثير من كل آفاقه التي ينشدها.

❍ الإنسان سيظل في الجنة باحثا مكتشفا خالــدا في جنــة عرضــها السماوات والأرض، فهنيئا لمن حضي بتلك الفرصة.

مررنا بقصر آخر من يافوتة خضراء.. كان هائلا كجبل، وسطه مرتفع وسطحاه مائلان حتى يلامسان الأرض، كان كالمثلث متساوي الساقين، كان يلتف حول نفسه كما يريد ساكنه، أما سوره فكان مسيجا بسياج من اليافوت نفسه، وداخل ساحاته مدينة تعج بالــصخب والملاعــب والمسابح والمراكب، كان فسيحا يحتل مساحة حي كامــل، وكانــت الخضرة تحفه من كل جانب..

تجاوزناه أيضا إلى غيره، كان منحوتا من ألماسة صفراء هائلة.. أرضــيته وأسواره ومبناه ومسابحه وغرفه وصالاته وسراته وأوعية الزهــور فيــه وأسقفه.. كان تحفة من تحف الجنة.. كان القصر من تلــك القــصور بمساحة حي من أحياء الدنيا.. يعج بالأنس والطــرب والاحتفــالات والخدم وشكر الله، وكانت سيارتنا تقودنا خلال إغراء تلك القــصور والطرقات، والميادين والحدائق والممرات المائية التي تتنــافس في فتنتــا

وفتنتنا بجمال نشعر به، لكننا لا نستطيع وصفه، كنـا لا نكـف عـن التأمل، وكانت الدهشة تظللنا في سيرنا وتقلنا، مررنا بمئات القصور، لا نشعر بالملل ولا بالزمن، لكننا نشعر بالفن والإتقان والذهول.. لم تكـن أجسادنا وأبصارنا هي التي تتجول فقط.. أرواحنـا كانـت ترفـرف مأخوذة بما حولنا.

ظللنا نسير ونشير ونتحدث ونتوقف ونشير، حتى حانت مني التفاتة كاد قلبي معها أن يطير..

توقفت فجأة، فلم استطع الحراك أو مواصلة القيادة.. كـان صـاحبي مشغولا بما يراه وما حوله، أما أنا فغيبني صمت لم أستطع معه الحراك أو الكلام، كان صاحبي يلفت انتباهي إلى روعة قصر وفخامتـه، وجمـال الخيول الملونة التي تزين ساحته الكبيرة، ولما لم يسمع مني إجابة التفت، فإذا به يرى صاحبه تمثالا من الدهشة، عندها قال لي: ما بك.. ما بك؟

انتبهت إلى هتافه فقلت: لا شيء.

❍ لا شيء... وهذه الدهشة التي تملأ وجهك؟

✍ أبدا لا تهتم.

❍ لا بد أنك رأيت شيئاً؟

✍ ما رأيك بهذا القصر يا لروعته، إنه من المرجـان مـع أنـني لم أر المرجان في حياتي.

ابتسم صاحبي وأدرك أنني وقعت على شيء لا أريد أن يراه، فقال وهو يستعد للانسحاب من المشهد الفتنة: ابق هنا ريثما أعود.

أجبته بذهول: حتما سأبقى، ولكن خذ المركبة فلست بحاجة لها.
تنفست صعداء الجنة، وكان صاحبي لماحاً..
كان يريدني أن أقرأ المشهد على انفراد..
فرأته على انفراد..
فرأته حتى كاد يقتلني..
أما هو فانطلق وكأنه يريد الاختفاء بأسرع وقت، لأعود ببطء وشـوق إلى ذلك القصر...
قصر أبيض في غاية النعومة والبهاء، كأنما صيغ من اللؤلؤ والمرجـان أو هو كذلك، وتلك الأسطح التي تبدوا أ ا قرميدية ليست قرميدية، هي مصبوبة من الياقوت، تعلو أسطحه وتزيد من ائها.. يـاقوت بـألوان زهور الحديقة التي تتموج في ساحاته، وتلك الشرفات البيضاء، المزينـة بمقاعد وطاولات لؤلؤية أنيقة، ونوافذه الكبيرة وستائره البيضاء خلـف تلك النوافذ كالحلم..
أما سوره المنخفض فكان عبارة عن تحفة زخرفية من الألماس، وما بـين السور والمبنى مساحات كبيرة خلابة، ففي أحد جوانبه حـدائق غنـاء منسقة الأزهار والورود والشجيرات والأشجار.. تنبعث منها وتتنـاغم العطور..
كان لكل زهرة جمالها ولو ا وعطرها المميز، وفي جانب آخـر أمـاكن للاحتفال والمرح وكل ما يعن لعاشق المرح، وفي جانب ثالث تشع أنواع من المراكب..

أما من داخل القصر فتنساب موسيقى هادئة وحالمة.. كل ذلك كان جديداً ومميزاً ومغوياً...

المدهش في القصر أنه بكامله.. بحدائقه وفتنته مشيد على لوح من الألماس يجري من تحته ر عذب بالغ الصفاء، بحيث تستطيع رؤية قاعه اللؤلؤي النقي.

أما الأجمل والأكثر إغراءً وإغواءً فكان سحرا يتهادى..

فتنة تقطف بيدها الناعمة باقة من الزهور.. تشمها وتتحدث مع من حولها..

أميرة تتهادى كسحابة بين وصيفا ا وحدائقها وعبيرها..

فتنة شقراء تفتك بمن يراها وقد فعلت..

فتنة لو رآها رجال الأرض لاقتتلوا على رضاها...

صرت أدور على رصيف قصرها الألماسي العريض، والذي يحيط بقصرها.. أدور كالمجنون دون أن أشعر..

لا أدري ما أصابني، ولا أدري ما أقول..

نسيت خطواتي ووقاري وصاحبي.. بقيت ساعات وأنا ألتف حولها، حتى وقعت عيناها علي مراراً فأصابني الارتباك والذهول..

صرت أتردد في مكاني مأخوذا.. أقوم وأجلس على مقاعدها الجميلة المتناثرة حول القصر..

أدور على حافة النهر دون شعور، حتى فوجئت بإحدى الوصيفات تبتسم في وجهي وترحب بي، وتسألني إن كانت تستطيع خدمتي؟

ارتبكت كثيراً وتلعثمت أكثر، وبعد ذلك استطعت جمع بضع كلمـات قد تفي بالغرض..

أخبرتها أني مجرد عابر سبيل وقعت عيناه على ما لا يستطيع تحمله.

فسألتني مرة أخرى: وهل أستطيع أن أخدمك بشيء..؟

✍ شكراً، لكن لدي سؤال... بل أسئلة.

❀ سل ما بدا لك، ولكن دعنا نقدم لك ما يليق بضيف كريم.

✍ أشكرك على كرمك ولطفك، ولكن أريد أن أسألك.. أريـد أن أسأل.. هل سيدتك الفاتنة.. آنسة؟

❀ أجل، و....

✍ يا الله.

❀ ! وهي تسأل عن سر طوافك حول قصرها.. هل من خدمة تتشرف بتقديمها لك؟

✍ قولي لها أني:

أطوف وقلبي و بعض الهموم   على قصرك دون أن تشعري

أطوف وفي جعبتي بيت شعر   قديم يشـيب على الأسـطر

دعيني أكتبها لك في ورقة.

نزعت ورقة من ورق الجنة العطر.. "لم يكن لدي وقت لتأملها" وكتبت البيتين.

أخذت الوصيفة الورقة وانصرفت، وعيناي تراقبانها، فسلمت الورقـة لفاتنتي التي كاد تصرفها يقتلني..

لقد أخذت الورقة وضمت أصابعها عليها.
كنت أنتظر أن ترميها على الأرض، فلا بد أن خطا ا أكثر من أهدا ا، لكنها لم تفعل.. لقد فتحتها ثانية وقرأ ا طويلا.. طويلا والاسـتغراب يملؤها، ثم واصلت تجوالها بين وصيفا ا دون أن تأبه بي، بينما كانت لا تغيب عن ناظري.
جلست على مقعدها الألماسي قرب بركة سباحة متعرجة بـشكل فـني فاتن.. في جدرا ا فتحات تسمح للنهر العذب بالـدخول والخـروج، ومحاطة برصيف من العقيق له ألوان العقيق الذي يكسو سطح قصرها..
جلست ونثرت ما بين يديها من الزهور ومعها الورقة على تلك الطاولة، والتفتت نحو بوابة القصر، ثم تناولت الورقة مرة أخرى من بين ألـوان وعبير تلك الباقة وتأملتها طويلا.

انصرف من حولها من الوصيفات وبقيت واحدة، وتناثر شعرها الذهبي حول وجهها وكأنه يريد أن يقرأ معها، فرفعت جزءا منه بكفها وهـي تلتفت دوء نحو السور، أما أنا فكنت خلفه، وبين شـجيراته الملونـة أعشق كل حركة تقوم ا وأهيم ا.
التفتت مرة أخرى فتسمرت في مكان تجري من تحته الأ ار..
حركت شفتيها فتوجهت الوصيفة نحوي، فازداد خفقان قلبي..
 ت في عالم من الدهشة والترقب والمشاعر..
اقتربت الوصيفة مني، ثم توقفت لتقول لي:

سيدي.. سيدتي تسألك من تكون، وما تريد؟
✍ قولي لها:

هل تأذنين لقلب قد يخر على   أعتاب بابك أن يشكوا من التعب؟
لا تجعليه كعـبدٍ كل رحلته   حمل الحقائب خلف السادة النجب

ذهبت الوصيفة.. بينما كنت أنظر وأنتظر، أما هي فأصغت إلى كلماتي فبدا عليها شيء من الارتباك.
تمنيت ألا يعود صاحبي، ويبدوا أنه كان يملك من الأحاسـيس مثلمـا أملك، فغاب كما أشاء، وأثناء ذلك جاءني الجواب شعراً غريبا أخافني، لكنني لم أيأس.. شعرت بأنه يحوي نوافذ الأمل:

♡ :

أأنت الذي قلـت لي ذات يوم   وداعا وكـفي على أدمعي
أأنت الجحـود الذي باعـني   وصب اللهيب على مهجعي
رجوتك يا جاحـ ـداً والمساء   يئن جـ ـريحا على أذرعي
رجوت فلم تستجب لي الحياة   ولم تسـتجب لي كما تدعي
ومات المساء كموت الصباح   وشمسي تشيب على المطلع
أطابت جراحـ ـك يا عاشقي   فجئت لتحرق في أضـلعي

♡ أأنت القائل:

أأرسـلتِ خادمكِ كي يقول أطابت جراحـ ـك يا عاشقي
أيرضيكِ إن قلت: إني نسيت؟ لك ما أردت فلا تقـ ـ ـلقي
لكِ النوم يهفو طري الوشاح فخوضي وأحلامك واغـرقي
تناسـ ـي بأني وحـيد هنا أسـامر والبـحر كالمطـرق
رمال شـواطيء من غادروا بطيـفك والبـدر والزورق
تناسـ ـي بأني خـلقت وما حلا لك سـ ـيدتي فانـتقي
أيؤلمكِ الهـ ـجر؟ قولي له: بأنيَ وهـ ـ ـم ولن نلـتقي
تلاشيت حيث تلاشى السراب بعـ ـيداً بعـيداً فلا تقلقي
فإن عدت يوما ثقـيل الخطا جبال الهمـ ـوم على عاتقي
وإن جئت يوماً وكلي رجـاء فلا تسـتجيبي ولا تشـفقي
وإن قلت من حسـرتي أنني صدقتك دوما ولم تصـدقي
وأنك نار على أضـ ـلعي وأني أسـير فلا تعـ ـ ـتقي
وإن قلـت خيم حولي الظلام وأنك شمـسي فلا تشـرقي
وبيعي الذي بيننا للرمـ ـاد كما بعـتك ذات يوم شـقي
ونادي الأعاصـير صيحي ا: موانئـنا من هنا مـ ـزقي
لكي لا يرى قلـ ـ ـبه مرفأً ويبقى شـ ـ ـقيا بنا ما بقي

قلت في نفسي: من هذا ا نون الذي يتخلى عن هذا السحر.. مـن ذا الذي يجرؤ على مخاطبة جلالتها بكلمات كتلك..

ترى هل في قلبها كرسي شاغر؟

ترى هل لها قلب جديد لم يكدر صفوه ذلك الشقي.. هل لهـا قلـب جديد مفعم بأنوار الجنة ورحابته؟

لا أدري، لكنني أشعر بأ ا لا تريد إعادة قلبي.. لذا رحت أرجوهـا أن تسمح لي برعايته داخل مملكتها..

رحت أرجوها أن تتعرف إلى لهفة أسرتني عند بوابتها..

رحت أخطبها، وراح الشعر يجرب مفاتيحه في أبواب قلبها....

كتبت لها: مهلا.. بل أنا من يقول:

أنا من أضعت على بابك فؤادي وعقلي وذاك الرفيق

أنا من حشدت على بابك حقول الرجاء وزهر الطريق

كأن المراكب والطائرات

كأن الشوارع والمركبات

كأن السماء كأن البحار

تقول لقلبي: هناك.. هناك

هناك التي كنت فيها يم

وتسأل ربك حيث تقيم

هناك التي علمتك العفاف

ورفض الرذيلة

ورفض المواخير والساقطات

كأن اليخوت تجوب البحار

لتحملني نحو عنوانك

لأكتشف الحب الذي طالما

أضاء مساء الصحارى

بصوت الحداة

بعطر الخزامى

وأوقد في الشعراء الشموع

وفجر من قمقم الشعر أشياءهم

أحاسيسهم

أكاذيبهم

أساطيرهم

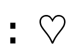
ولكنني بعدما التف حولي إعصارك

وبعد أن اجتث قلبي طوفانك

علمت بأ مو لم يروا

من الحب إلا اسمه

وبعض الرتوش على رسمه

 :

ماذا أقول لقلب صار يسألني　　　عن واله سكنت حمى الهيوم به

✍ قولي له.. أنك تلك الفتاة التي كانت تلوح لي من شرفات الجنة..
قولي له.. أنك كنت ذلك العزاء الذي أشغلني عن كل ما حـولي مـن مغريات..
كنت ذلك الموعد الذي لا تكف ساعته المعلقة على جدار قلـبي مـن تذكيري بالاستعداد له..
كنت أجمل أحلامي..
كنت روحا تحتلني..
كلما فتحت غرفة من غرف قلبي
وجدتك فيها..
كنت تسكنينها دون مقابل..
تصوري دون مقابل..
رغم ندرة القلوب..
وغلاء القلوب
أتدرين لماذا؟
لأنك أميرتي..
وأميرتي:
كانت في الدنيا روحا
فتشت لها عن جسد لا يفنى
فتشت لها عن جسد

فتشت لها عن بلد
ففشلت

أميرتي
أدركت بأنك في قلبي شيء أرقى
حلم أنقى
وأجل كثيراً
من أن تختصري في دنياً

أميرتي
قد كنت تجوبين خيالي
و بين لإيقاظ الفجر وآمالي
وتعدين الشاي
والحبر وأقلامي
وقصاصات الأوراق لأشعاري

أميرتي
قد كنت تغنين مساءً
في أقصى قاعات فؤادي

أميرتي
في قلبي كنت أقيم الحفلات
على شرفك أنت
كانت مكلفة كانت
باذخة جداً
مرهقة
أفلست كثيرا كي أربحك
أبعدت كثيراً
كي لا أحرم منك

أميرتي
أنت.. أقمار يسكنها الشعر
وتشعلها الأبيات
تطربني
تسحرني تلك الأبيات

أميرتي
أنت جزر آهلة بالنغمات
وأراض أخرى
وسماوات غير السماوات

أميرتي
أنت
ما أعذب كلمةَ "أنت"
أنت وأنت وأنت
ما دمت في قلبي
تزينني القيود
مادمت في قلبي فلا أخشى الحدود
كون محطاتي
محطاتي خلود

مادمت في قلبي
فالماء عندي والغمام
والشمس في كفي وأسراب الحمام..

عادت الوصيفة إلى فتنة لو تبدت.. لو رآها عشاق الدنيا، لذهلوا عما هاموا فيه ومن هاموا به، ولبذل الملوك عروشهم، والأثرياء كنوزهم ثمنا لقلبها، فيا لسعادتي وأنا أحظى اليوم بمراسلتها.. ويا لفضل الله الـذي حملني إلى هذه البوابة..

أي طوفان يجتاح مشاعري، وأنا أرى هذه الفاتنة تتصفح أوراقي وتجوب حروفي..!

إلهي أسألك بكل أسمائك أن تهبني قلبها ورضاها وجوارها..

أسألك باسمك الأعظم أن لا تحرمني منها..

من أنا يا رب.. ما الذي فعلته لأحظى بهذا المشهد..!!

من أنا لولا سعة رحمتك ورحابة عفوك..

ما أجملها..

ما أهون السنين وأجمل الانتظار على بوابتها، إن كان الثمن هو قلبها.

عادت الوصيفة وأنا مشغول بأحلامي وهيامي.. عادت وهـي تحمـل أبياتاً من كيد.. تقدم عرضا يقول:

وماذا إن أنا فوضت أحـلاما تراودك
وماذا إن أنا مزقت من غضبي دفاترك
أنرجع مثلما كنا وتقنع حين أبعـدك

رضيت بالتوقيع على عقدها ومعاهدتها ولكن بشرط.. قلت فيه:

سأرجع إن سمحتي لي
وأبعد مثلما كنا
بشرط واحد:
أن أكاتبك

وأكتب عن جلالتك
وأكتب إن أذنتِ لي
عن الأشواق
عن قلب ملكتيه
نقشتي كل فتنتك
وسحرك بين جدرانه
فرشتي كل قاعاته
وعطرك في ممراته
بنيتي شرفة أخرى بساحاته
أتيتيني بأقلامٍ
وكرسي وطاولةٍ ومصباحٍ
وضعتيها بداخلها
وأمراً قلتِ: اقصدها
لتمنحني كل أشعارك

وشرط آخر أيضاً:
سأخبر كل من ألقى بجناتي
بأنك قد سلبتيني
سرقتيني
بت جل مدخرات أشعاري

كقاتلة..
كإرهابية مجنونة كنت..
وقمت فوق رأسي مثل سياف
فأمليتي على قلبي
على قلمي

وشرط ثالث أيضاً:
سأقنع إن سمحتي لي
لأحضر كل حفل أنت زينته
وأبقى في شوارعك
لأغسل كل أحزاني
وأيامي وآلامي بأنوارك

وشرط كدت أنساه:
سأقنع إن تركتيني
دليلا عبر جناتك
أقودك عبر أسفارك
أجدف عبر أ ـرك
وأقذف بالمرساة
وأقفز.. أطلب إذنك

لأمسك كفك الفتان.. عندما تصلي

وشرط لن يضيرك: إن تركتيني
أصمم قصرك التالي
وأرسم بعض لوحاته

وأقنع منك يا حلمي
بأجرٍ لن يكلفك.
فأجري يا فتاتي بخس
وأجري إن سألتيني؟:
أرى في قلبك الخالي مساحات
سأقنع إن سمحتي لي بسقياها
دعيني أرسل الأمطار
في صحاريها
دعيني أغرس الأشعار والأزهار
في أحلى روابيها
دعيني كي أنسقها
وأعطيك قطاف الورد والأشعار باقات

خذيني اليوم أرجوك.. فبوصلتي..

أضاع الحب بوصلتي..
أجدف مبحرا فيك
أسافر خارج الأزمان
كبحار بلا عنوان
وإبحار بلا شطآن

على كلٍ أنا أرجوك
أناشدك.. أفاوضك
وليتي اليوم أقنعك
لأكتبك.. لأرسمك
بكل حروف الوجد والشغف
وليتي حين أرسمك
أريك ما أرى فيك

أطالت القراءة، وأطلت السفر في عالم هي شمسه..
لم يكن هناك ما يقلقني ما دامت بين عيني، ولم يكن يأخذني من الغيبوبة ا سوى كلما ا..
لم يتداعى قلبي حتى الآن إلا أمامها، ولا أدري ما حيلتي أمام هذا النعيم المحاط بالنعيم.. تمنيت لو تطول وتماطل ليطول وقوفي..
كان صمتها يستدعي المزيد من الشغف والكتابة..

ما أحلى الوله في الجنة..
ما أحلى المشاعر في الجنة..
أطالت فراء ا، وهمست بكلمات حملتها وصيفتها بخفة النسيم قائلــة:
ستسمع الجواب فيما بعد.
ولما طلبت من وصيفتها أن تقول: إني أريــد سمــاع الجــواب الآن..؟
ابتسمت قائلة: إن كنت مشغولا هذه الأيام، فتستطيع العودة بعد مائة عام، فليس في الجنة ما يخشى فواته.
أما هي فنهضت دوء وكيد عذب، و ادت كسحابة نحــو مركبتــها البيضاء الفارهة المكشوفة.. وكأ ا تفتح أبواباً على عشرات الأســئلة.. على غابة جميلة من البشريات التي زادتني إصرارا وشغفا.
ثم غادرت تقود سيارة فخمة تكاد تضيء من بياضها.. كل مــا فيهــا أبيض.. مقاعدها الوثيرة وفرشها وكل مــا فيهــا.. حــتى عجلا ــا ومقودها.. حتى إطارات زجاجها الألماسي.. ســيارة لم أرهــا إلا مــع أميرتي..
مرت من أمامي دون أن تلتفت، ودون أن تلتفت خطفت قلبي وأردفته معها..
أما وصيفتها فبقيت لتزيدني شوقا وتقول: لم أر سيدتي إلا مبتسمة.. مــا الذي أتى بك.. ماذا فعلت ا لتذرف تلك الدمعة الغالية...
تحمل بعض الأعاصير.. الويل لك إن كنت القائل:
ونادي الأعاصير صيحي ا: موانئنا من هنا أغــرفي

لكي لا يرى قلــبه مرفأً　　　　ويبقى شقــيا بنا ما بقي

أضحكتني بقولها "الويل لك"، فلا ويل في الجنة ســوى ويــل الحــب العذب. لم أجبها فقد ضاعت مني الإجابــات، وألجمــني الــسكوت والانتظار، لكن الطواف بسورها على ذلك الرصيف العــريض الــذي يومض حول قصرها.. وما حوله وما تحته من مياه عذبة ومناظر خلابــة كان نعيما لا يقاوم..

صرت أطوف حول قصرها وكأني أطــوف حولهــا.. رحــت أرتــب الكلمات فترتبني الأبيات، رحت أتمرن على إلقائها، وأتخيلــها تطــوف معي، وأدعو الله أن تفعل، فهو الذي بشر عطشنا في الدنيا بكلمات ألذ من المطر: (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد)

كنت أرفع رأسي وأردد وأناشد...

بقيت طويلا دون أن أشعر بوقت أو ملل.. بقيــت في حيهــا وجــوار قصرها، وياله من جوار.. أحلم بنصيب في قلب صاحبته.. كان الأمــل والجمال من حولي يحلقان بي، كتلك الطيور التي تزين المكان والــسماء بألوا ا ورائحتها، أو تلك القصور الملايينية التي لا تنتــهي ولا ينتــهي عجبي من روعة وفرادة تصاميمها، وجمال مواقعها والميــادين والمحــيط الذي يحف ا.. كنت أرى ما لا أستطيع وصفه، ولا وصف متعة النظر إليه..

يا إلهي ما زالت أولى مساحات الجنة تسحرنا، وتذهلنا بلا حدود، فمـا الذي تخبئه لنا مليارات السنوات القادمة..!!

ترى.. أسيحتمل قلبي ذلك..؟ أعجز عن وصف ذلك القلب..!!

وبينما كنت أرتب حفل استقبالها، إذ بها تشرق من جديـد حـولي.. مركبتها تقبل كالفرح، وشعرها الذهبي الراقص كأشعة الشمس يبشرني بالمزيد ...

كانت عائدة وبصحبتها بعض صديقاتها الفاتنات، وبصحبتها قلبي الذي لا أدري أين كانت تتجول به..

اتجهت نحو طريقها أريد الاقتراب ورؤيتها عن كثب، وأريد التعـرض لقلبها، لكنها مرت بجانبي ولم تعرني اهتماماً، أو حتى تـنعم بالتفاتـة.. أشاحت بوجهها، لتخفي ابتسامة أفلتت من ذلك الثغر الساحر، لكنني رأيت قدراً زاد أنوار الجنة من حولي، وزاد من أملي..

خِفت أن يسبقني أحد إلى قلبها، فعشاق مثل هذه الفتنة بعدد أنفاسـها العطرة.. بعدد ألحاظها القاتلة، فقررت اقتحام أهوالها والفوز بها مهمـا كانت التضحيات، فما أجمل الجنة والتضحيات من أجلها..

ناشدت وصيفتها: أرجوك.. قولي لها أني أريد أن تسمع مني مباشـرة، ولها أن تحكم بنفسها، وسأرضى بحكمها.

ذهبت ثم عادت مبتسمة..

لقد سمحت لي بالدخول، فاجتاحني الفرح.. نظرت في هندامي فوجدته جديدة، كلحظة إخراجها من خزانتها.. ما أروع ملابس الجنة وثيابها..

تأملت جسدي فإذا هو يشع نظارة ونظافة وعطوراً..

ما أ ى أجساد الجنة وأنظفها وأعطرها، لو مرت هذه الساعات الطويلة المفعمة بالانفعالات، والخوف الممتزج بالفرح والخفقـان، والـدوران ا نون.. لو مرت بجسد دنيوي لتحول إلى جثة لا تطاق.

بدأت بترتيب مظهري، لكنني لم استطع تنظيم خفقان قلـبي وحماسـي، وقلت للوصيفة: هل هيئتي مقبولة؟

أمالت كفها ورأسها وهي تبتسم ثم قالت: لا أظن أ ا سـتقاوم هـذه الوسامة والأناقة وهذا الجمال رغم جرأتك و ورك.

طلبت منها أن تدعو لي بالتوفيق..

دلفت وكلي وله.. كلي خجل ينظر إلى الأرض.. كنت أخشى عواقب النظر إليها من قرب، فحملت خطواتي الخجولة حتى اقتربـت منـها، وعندما بدأت برفع نظري إليها، بدأت هي بالنـهوض مـن كرسـيها النوراني.. ضت كشمس تترك هالتها في كل مكان تحل فيه..

نظرت إليها فإذا حياة جديدة تغمرني..

يا إلهي ما أ اها وأجملها.. ما أعظمها في نفسي..

يا إلهي أمن نور الجنة خلقتها، أم من سحا ا ونداها.. أم مـن زهرهـا وشذاها..؟

أي قلب يحتمل ما أراه بعيني..؟

أسكرتني.. أخذتني.. سافرت بي.. حملتني مسافات أكثـر ممـا أحلـم وأحتمل..

لم أعد أشعر بخجل أو تردد.. وجدتني أهيم في عالم من الشغف والوله لو دلفه أهل الدنيا، لما أعاروا الرذيلة ثانية من أعمارهم..

وجدتني رهين فتن تتنافس في احتلال قلبي..

عيناها القاتلتان.. أم وجنتاها، أم ثغرها، أم شـعرها، أم قوامهـا.. أم نعومتها.. أم تلك العطور التي تتضوع حولها.. وتشع من ثيا ا وشعرها وأنفاسها.. أم صو ا الذي يسكر سامعه.. أم بقية كنوزها وأسـرارها التي بدأت تعيد احتلال روحي من جديد..

كانت جنة أخرى ونعيما آخر..

كانت فردوسا قبل الفردوس..

كانت خمرا يشربني حتى أغيب..

أنستني ما حولي..

أنستني الكلمات..

أنستني كل حروف الدنيا..

إلا الآهات

أنستني كل تقاليد العشق

ومراسيم استقباله

أنستني كل جراح الماضي

كل الماضي

أنستني أحلى الساعات

ومحت من ذاكرتي

أحلى الأيام وأتعسها
أنستني كم يأخذني ولهي
عبر الواحات
عبر بحور الشعر
ورمال الشعر
وأودية الشعر
وهضاب الشعر المرتفعات
أنستني أني خضت بحورا أخرى
بحثا عنها
بحثا عن حب يسرف في الطعنات
يغرسها بين ضلوعي
أنستني كل تجاعيد الدنيا
وشباب الدنيا
أنستني أحلى السنوات

أميرتي
يصرفني سحرك.. يعطفني
يجعلني أهذي..
ينسيني الكلمات..

سيدتي
أنت أكثر من حلمي..
من أملي
من خططي المنونة

أميرتي
أنت أكثر استبداد
وطغياناً
وأنا.. أكثر ترحابا بالمعتقلات

اقتربت مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب عاشـق..
طال صمتي وطالت سكرتي..
تنهدت تنهيدة، فشعرت بريح مسكرة تقتلع أعماقي..
وبعد أن هدأت قليلا قلت لها اعذريني:

فقربك والخلد ماذا أقول وماذا لدى الشعر حتى يقول

♡ أأنت من يقول هذا؟
✍ قلته في الدنيا وأعيده اليوم.
♡ ولمن كنت ترسله؟

✍ لمن تكرم بحملي إلى حديقتك الغناء، والمثول بين عينيك الفاتنتين.. لمن أنعم علي بالحديث معك.

♡ سبحانه ما أكرمه.. ليتني كنت أعلم.. ليتني كنـت أرد عليـك.. ليتني عشت في زمنك وقرب خيامك!

✍ لإن لم أرك وأنعم بقربك إلا أن حلمي بك كان أجمـل الأشـياء.. الأشياء الفاتنة التي تشرق عند المغيب:

عند المساء وعندما تأوي الطـيور روحي لروحك مثل أسراب تثور
في الليل والكلمات من حولي بحور الشعر يهمس بي وعيناك الشعور

♡ ليتني كنت أشعر ا.

✍ ما أكثر ما تتحدثين عن الدنيا اطمئني.. لم أكن أبحث في الدنيا.

♡ وهل أنا إلا من فتيات الدنيا؟

✍ ما لي ولهن.. كنت أكتب لهذه اللحظات.. كنت أعيشك هنـا لا هناك.. كنت أهيم ذا السحر الشاخص أمامي.. كنتِ بعض إيمـاني بالغيب الذي يملأ روحي.. بالجنة وبوعد الله وكرمه.. كنتِ دعاء وأمنية أرجو أن يتحقق باقيها..

♡ وهل تحقق أولها..؟

✍ أنا أعاني الفناء في أنوار أولها.. رؤيتك أولها، وأنا أنتظر باقيها، وأنا أثق بقلبك الأبيض.

♡ وما الذي يجعلك واثقا؟

✍ ثقتي برحمة ربي...

أشعر بأنك آفـاق أرف لها...

أشعر بأنك أعماق ألوذ ا.. وأغرس فيها رجاءاتي..

فيك أرى جزرا لا أنت لا أحـد   يرسوا بشاطئها غيري ويعرفها
فيك أرى مدنا شيد ا بيـ ـدي   مازلت أملك ما فيها وأحكمها
قد تبحرين وأغلال الشقا معك   أو تحشدين جنودا لا حدود لها
أو تجزلين لمن يهديك بعض دمي   أو تغلقين حدود الأرض أجمعها
لن تعثري أبدا كوني على ثقـة   أعماقك لجج كالموت أحرسها

ابتسمت ابتسامة قربت مسافات كنت أحسب عناء اجتيازها، ثم قالت: لم تكمل بيتك السابق.

✍ أي الأبيات..؟ سحرك أبيات تشرب أبياتي؟

قالت وهي تقتلني بابتسامتها الخجولة: البيت الذي تذكر فيه قربي.

✍ هي أبيات تودع لغات الجسد.. تودع المرأة (الجسد) نحو الأمـيرة (الروح) الخالدة.. كنت أهيم بك أميرتي حيث الأمن الذي لا يعـرف الخوف، والزمن الذي لا يعرف التوقف..

أحلم بالوله الذي لا يشبع من المزيد.. ألغيت حسابات الجسد وفتنتـه ولغته.. تحررت من قيوده فرفرت روحي معك هنا..

مضيت لأني عشقت الخـلود | أفتش عنك كحـلم جميـل
وأنشد عنك علني ألتقي | بعينيك والنصر عند الأصيـل
مرافئنا حين ننفي الحدود | وحين نشق سماء العقول
وحين تطل لنا هامة | على الأرض والشهب والمستحيل
سأرحل أنت دروب الرحيل | وأنت المحطات لي والدليـل
أراك متى ما علوت السحاب | وفوق الهضاب وبين النخـيل
وعند اكتشافي لأرض أراك | تواسين قلبي مكان المقيل
تزين إذا ما ابتسمت الحياة | وبراح عني عناء الرحيل
لروحك أجواء عطر تفوح | ب فأشقى بقلبٍ عليل
تسافر تسرح بي كالدليل | وتبحر بي في هدوء عليل
إلى الحلم نحو السما والخلود | أراك نديمي بظل ظليل
سأشرب من راحتيك النعيم | ومن شِعرك العذب أروي الغليل
وقربك والخلد ماذا أقول | وماذا لدى الشعر حتى يقول
لغاتيَ تنهار عند اللقاء | حروفي لا تستطيع الوصول
تموت الحروف وتحيا لك | حروف وشعر جديد الأصول

أنت روح عشت عالمها.. عشقت الرحيل على سحابها، والسفر في أفاقها التي لا تكف عن الهتاف لي...

تحول غيابك إلى حضور.. تحول صمتك إلى حروف لا يقرأها غـيري..
كنت نافذتي التي أطل منها، فأشعر بأنوار الجنة وألوا ا تغير عالمي وتبهج دنياي..
كان الشغف بك بوابة تصلني بالله.. أحلم بالمرور ا.. بوابـة أضـأتها بالتعلق بالرحمن...
كنت أحتسي العفاف وأحتسبه، فأفوز بك في الأحلام والرؤى، حيـث أكلمك وأسير معك، وأبثك الشكوى..
كنت تشيرين إلى أبواب النعيم، فأركض نحوها..

وها هو النعيم
وها أنذا
وها أنت يا شمساً تجوب عالمي..
ويا نغما
تغلغل في دمي
ويا أحلى مساءاتي
ويا بدر السماء وأنجمي
وها أنا ذا
في قصرك الذي يزين الخيال
تسكرني سموك
كخمرة النعيم

تطوف بي جلالتك
ككوكب من العطور
وها أنا ذا
أهيم في جلالتك
ورغم أنني لم أشرب الخمور
أحس أنني مخمور
بوجهك
بشعرك
بصوتك
بنفحة العطور
أهكذا الخمور
أهكذا تدور في الرؤوس
وها أنا في جنتك
قد جئت أعتذر
أجر نحوك
ردائي المغسول بالخجل
نفضت عن حقائبي الغبار والسفر
وشوقي العظيم.. لست تعرفينه
جاء يعتذر.

أفف على أعتابك.. متأهبا للتكفير عن جرأتي و وري.. سامحيني فلقـد رأيت عبر بابك مالا صبر لي عليه..
سامحيني فاللوم على قلب يلوذ بالفرار مني داخل قصرك..
لا تغلقي بابك عني.. أرجوك.. لا تغلقي هذا الباب فإنني...

قاطعتني بتنهيدة أخرى.. وضمت أهدا ا على دمعة تبلل وجها لا ينفع سحر السحرة في الصرف عنه، فتوقفت رأفة بحالي.
رفعت رأسها فأمطرت السماء في قلبي.. ونظرت إلي فغاب سواها مـن الخلق.. وتحدثت فتحول ما حولها إلى باقات ورد..
وتماسكت وأنا أنتظر النطق بالحكم.
قالت وصو ا الساحر يعبث بقلبي: هل تقسم بمن جمعنا في هذا النعـيم، أن قلبك هو الذي يتحدث وليس جمالي؟
✍ لو كنا في الدنيا لأقسمت..
♡ وما الذي يمنعك الآن؟
✍ لا شيء سوى أن جمالك اليوم ينافس حلمي بك.. جمالـك روح أخرى، وروحك جمال أ ى.. أنت كمال أبدعه الله.
أوتريدينني أن أقسم زوراً.. أو تريدينني أن أظلم في الجنة؟

افتر ثغرها عن بسمة أعادت الحياة والأمل ليحتفلا من جديد، ثم قالت: ويحك.. بوحك وكلماتك ترغمني على أن أعطيك مفاتيح قلبي.

ففزت من الفرح وقفزت وصرخت، ودون شعور قذفت ا من خصرها النحيل في الهواء.. فارتفعت كفراشة رغم طولها الفارع، ثم اسـتعد ا، فسمعت ضحكات رفيقا ا من خلف تلك النوافذ..

خجلت واعتذرت عن وري مرة أخرى، وعن فقدي لشعوري، أما هي فتوهجت وجنتاها خجلا وحمرة وفتنة، وهي تلتفت إلى رفيقاته متوعدة..

تذكرت نعم الله التي تغمرني.. ما أجحد الإنسان عندما يجد بغيته..

هويت ساجدا لله وشاكرا.. سجدت لله طويلا... ثم ضت لا أدري ما أقول، فقد تزاحمت الكلمات لتهنئتي فلم أعد أعرف كيف أصـافحها، أما هي، فقالت وهي تضحك من لغتي ا نونة:

مهلا .. مهلا أيها الجنون العذب.. أليس هناك من ينتظرك؟

✍ ومن سواك؟

ابتسمت وأمالت سبابتها نحو البوابة، فإذا صاحبي..

ضربت رأسي براحة يدي.... وقلت: سيقتلني لا شك... يا لهذه الجنة كم تلهي.. كم ينسي بعض نعيمها بعضا.. ليتك تـسمحين لي بالبقـاء فهي المرة الأولى التي أراك فيها..

♡ وصاحبك؟

✍ ستتكفل الجنة به.. أنت تنتقمين مني ذا التصرف...

♡ لم تر شيئا من انتقامي ونقمتي.. نحن في الجنة ولن يفوتك شيء، ولا داعي لأن تعود.. ستجدني في أي مكان شئت، فالجنة كلها.. الجنة أجمل

أماكن المواعدة، وأنسب أوقات المواعيد.. انطلق فلقد شغلتني عن رفيقاتي كما شغلتك روحي في الدنيا.

✍ كما تشائين... لكن لا تنسي أن تعتذري بالنيابة عني.

ودعتها.. وأنا أسير إلى الخلف ببطء وسعادة وشوق، فهي أجل من أن ألتفت عنها وهي أمامي.. كنت أمني النفس علها تعيد النظر في قرارها، وفجأة نادتني: لا تنس إحضار بعض القصائد.

سمعتها جيدا، لكن مجرد نداءها كان مبررا لأن أرجع، لأستمتع بالنظر إلى تلك الفتنة، التي لو تبدى وجهها لفتنت رجال الدنيا صالحهم وطالحهم.. كنت أريد أن يرتوي سمعي وبصري منها، فأزداد عطشاً وشوقاً وهي أمامي، فكيف ستصبح حالي إن تركتها الآن..!

رجعت وكلي رجاء أن تسمح لي بالبقاء، فقلت لها: هاه.. ماذا تقولين..؟

أعادت ما قالت وهي تغالب ضحكة تكاد تفلت منها.

فقلت لها: هي كثيرة منها ما تحبين، ومنها ما قد يغضبك، وهذا ما لا أريده.

♡ أحب سماعها بأي أسلوب وبأي لغة شئت.

✍ أنت لغتي.. ولغتي هي أنت:

لغات الشمس

لغات القادم المجهول تكتبني

وتأخذني

خلال الغابة العذراء

أخوض خلال الأحرف المسحورة الأفق

ممراتي وأروقتي

وأجوائي وأجنحتي

بأوردتي

فتاتي ساحل وهواء

وعيناها رحلتي وغدي

ومن أهوى

من التاريخ تبعث بي

من التوحيد والأزل

ومن وحي شجي ساحر وندي

لأبقى دائم الترحال

خلال الشارع المفتوح في الأبد

♡ ستجدني ألوح لك بمنديلي على ذلك الشارع قريباً.

تركتها وأنا أقتلع خطاي من قصرها.. لم أكن أشعر بالمرارة، ولا بالحزن، ولا بالحرمان.. إ ا أحاســيس جديــدة لا تعرفهــا قــواميس الــدنيا ومشاعرها، وبعد خروجي من بوابتها لم تكف عن النظر، ولم أكف عن

التعلق ا، ولم أشعر إلا وصاحبي يحملني ويطرحني على عاتقـه وهـو يبتسم، ليقذف بي على مقعد السيارة، ولما ركبنا واقتربنا من الانعطاف في الطريق كانت متسمرة في مكا ا حتى غابت عن ناظري، لتعـود إلى التجوال داخلي من جديد..

سرنا في طريق لم أتأمله، فقد كنت مغمض العيـنين ملقيـا برأسـي إلى الخلف.. أعيد وأعيد تلك اللحظات التي لم أتوقع عشر نعيمها.. يا الله ما أجملها وأرقها.. يا الله ما أطهرها وأنقاها وأعذ ا.. كانـت لحظـات ملكني الشغف ا والأمل بتكرارها.. كنت أكلم نفـسي.. أبـشرها.. أصرخ ا، فقال صاحبي: (هذا ما وعـدنا الله ورسـوله وصـدق الله ورسوله)

تلا رفيقي تلك الآية – الحقيقة، ثم تركني هائما في سعادتي.. غارقـا في سكرتي، ولما طال غيابي قال وهو يستدعيني ويضع كفه على كتفـي: لا عليك.. لو كنا في الدنيا لقلت ستراها حتى تمل منها. أما هنا، فـأقول لك: ستراها حتى تزداد شغفا ا كلما كلمتها وكلمتك، إ ا لحظـات الفراق المحفزة على المزيد، ألم تقل لي أن المحبين كلما عادوا إلى محبوبا م في الجنة شعروا أن جمالهم وحبهم قد ازداد، فيقولون: (والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا. فيقولون: والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا) ترى هل للجمال سماء في الجنة؟

✍ وجد ا أجمل مما كنت أحلم، وأسمى مما كنت أرنو إليه.

❍ كيف وصفتها وأنت لم ترها؟

✍ أنا لم أكن أصفها، وصفها يعني أنني أتعامل مع الجسد، وأشياء الجسد.. كنت أعيشها وأومن ا.. إ ا وعد الله الذي كنت أنتظره بشغف، كانت روحا تغمرني فأشعر ا كما أشعر بالحرارة والبرودة.. كما أشعر بالحمى.. كانت سموماً يلفحني أحيانا، ونسيما ينعشني أخرى، ومهما كان لافحاً أو منعشاً أشعر بحاجة إلى تنفسه.. إ ا أجواء تتحول إلى قصائد، وقصائد تتحول إلى أجواء.. كان الحلم ا أشياء كثيرة حميمة ومريرة.. كانت روحا تجوب هذا النعيم فأحاول اللحاق ا...

❍ وبكلمة واحدة منها أصبحت لك وأصبحت لها، ما أروع الجنة.. ما أيسر تحقق الأحلام فيها.

✍ يا ألله كم أنا محظوظ.. كم أنا سعيد بالوصول إلى قلبها.. أعجز عن وصف مشاعري يا صاحبي..

❍ أنت ترغمني على التحدث عن شيء أحمد الله على نسيانه.. في تلك الدنيا الموجعة كانت لي أميرة، لكن أميرتي كانت حقيقة وليست دعاءً أو حلما كصاحبتك، كانت من الجليد.. باردة كالموت، وكأن الموت خمارها.. كأن الموت أساورها وفساتينها المفضلة.. كنت أتمنى تعذيبها، فأقول:

ليتني أعرف دربا   من دهاليز الحياة
يوصل الجمر لقلب   شاحب مثل الرفات
بارد دون شعور   مومياء كالموات

✍ :......؟!

❍ أحيانا تتبدى لي صخرة تتلاشى عليها مشاعر من يحبها، فأرى شعري يتلاشى على تلك الصخرة، وهو يبحث عن مشاعرها التي لا وجود لها.. كأن شعري ومشاعرها لا يلتقيان إلا ليفني بعضهما بعضاً، لدرجة أرى أن شعري وشعورها:

كاصطدام الموج بالصخر العنيد وانطفاء الشمس عن عزف الحياة

أحيانا كانت تخيم علي كمأساة فأخاطبها:

جذور الليل أنت قد حملتيها غرزتيها كأسياف على فجري

همـوم كل أحرفها كتبتيها على الأصداف والأمواج والصخر

و ت ليت شعري أين قد ت فتلت وارتحلت دون أن أدري

عناوينا أراك لوحة حيت شوارع تمحي فيها خطى عمري

✍ قاموس للقسوة كانت...!

❍ هي أحياناً لغة لا قاموس لها ولا أحرف.. لغة من الألغاز أعيشها دون أن أفهمها، وأصرخ ا دون أن تسمعني:

يحاصرني موجك كالجنون ويحضنني مثل طوق النجاة

يحاصرني حبك كالهواء ويمنحني فرصة للجناة

كأنك موت أتى باكرا ليمنحني طاقة ثم مات

كأنك لا تعرفين الشعور كأنك صخر رماد رفات

كأنك نوع من الجامدات كأنك أقصى نقاط السبات

✍ ألهذه الدرجة؟!

❍ وأكثر.. كانت زنزانة عذاب لذيذة.. كنت أعتقد أن لها قلبا مـن الصخر.. طاردته، وأخيرا اكتشفت أن ذلك القلب ليس موجوداً.

✍ وأين أنت عن الدعاء؟

❍ أنا لست مثلك.. كنت أريدها هناك في الدنيا لا غير.

✍ ألم أقل لك إن الدنيا أعجز من أن تمنحك كل ما تريده.

❍ أجل.. يبدوا ذلك، ويبدوا أ ا استراحت من ظلي الثقيل عليها.. كنت أتمنى التخلص من التفكير ا.. شاغلت نفسي عنها حتى كـدت أنساها.

✍ ماذا لو رأيتها؟

❍ لا أريد أن أفكر في ذلك.. كانت قاسية كالحجر.. كأ ا ليست من البشر.. كانت أقسى من أميرتك بمراحل.

✍ عفوك.. فأميرتي:

أميرتي
تسكِنني بعض الغيمات..
غالبا..
تحملني كملاك..
غالباً..
تنداح في شوارعي..
تنساب عبر خافقي..
لتشعل الحياة..

✍ عفوك فأميرتي:

ملاك تجوب شغاف الفؤاد	وتغسـ ـل أحزانه بالـ ـمطر
وتشـ ـرع أبوابه للصـ ـباح	ببعض الحديث وبعض السور
تشـ ـع كشمس إذا أقبلت	ويعـ ـبق منها حديث الزهـ ـر
تقـ ـله في مركب من دلال	وتأخـ ـذه نحـ ـو إحدى الجزر
وعند المساء تضيء النجوم	شـ ـموعا وتبسط ضوء القمر
فترقص حوله كل النخيل	وحب الرمال وموج البـ ـحر
وتأخـ ـ ـذه تحت أهـ ـدا ا	ليغـ ـفو كطفل وينسى البشر

يا صاحبي كنت تريدها في الدنيا فقط، والدنيا ليست بيدك ولا بيـ ـدها، ولما أقفلت أبوا ا دونك ودو ا حدقت في تلك الأبواب حتى الرمد.. لو رفعت رأسك، لرأيتها تطل عليك من شرفات الجنة ونوافذها، لكنك لم ترها إلا من خلال ثقوب الدنيا، ولو التفت إلى غير ذلك الباب الموصد لرأيت الطريق إلى النعيم نعيما آخر.. مهما كانت أشواكه حادة، ومهما كثرت حجارته وأخاديده.

❍ أتفهم ذلك الآن وأعيشه، لكن كيف أتفهمه في الدنيا..؟

✍ لو تركت الإيمان يأخذ بيدك في ذلك الطريق لشعرت بمتعة السفر ولذة المعاناة، لأخذك في ذلك الطريق إلى رحمة الله، ورحمة الله سـ ـتتولى إيصالك إلى قصرها هنا... لو سمحـ ـت للإيمـ ـان أن يمـ ـدك بـ ـالخرائط

وإحداثيات الطريق، ويحمل قربتك وزادك وأمتعتك لفعل بكل سرور.. لرأيته يربت على كتفيك كلما طالت المسافات.

❍ أليست الإثارة أن لا يصحبنا الإيمان في طريق الوله والحب..؟

✍ الإيمان يغير مسار الرحلة كلما أغلق مطـار أو ميناء أبوابـه في وجهك، فيمنحك من الموانئ أضعاف ما يغلق.. الإيمان يفتح لك طرقا وشوارع أخرى.. اسلكها ستجد أميرتك في أ ى حللها وفتنتها تنتظرك في اية ذلك الحلم، وستعثر على بقية آمالك غير بعيد عنـها.. فقـط اصطحب إيمانك معك دليلا.. اصطحب الدعاء... الدعاء الذي يحقـق المعجزات.. الدعاء الذي يسعفك كلما عجزت عن حيازة ما تـتمنى.. الدعاء يعلمك أن كل شيء ممكن، وكل شيء يمكن تحقيقه والحـصول عليه، إذا انطلق الدعاء من أعماقك استمتعت به وهو يبدأ بأخذك أولا في جولة في داخلك، ليطهره من أشياء كثيرة تعيق انطلاقك وإبداعك...

❍ وما تلك الأشياء؟

✍ أولها الحسد.. الحسد... تلك الحرائق التي تأكل كل شـيء.. إذا رأيت مركبا فارهاً أو علماً أو جاهاً أو منصباً أو رصيداً ضـخماً عنـد غيرك، أو قصراً منيفاً، أو ابنا صالحاً، أو حليلة كاملة المحاسـن، أو أي شيء مما في أيدي الناس، وتتمنى أن يكون بين يديك فأمامك خياران:

إما أن تعض شفتيك غيضا وحسدا يشتعل داخلك حتى تتحول إلى رماد وحطام، فلا أنت استفدت ولا حتى استرحت. فمهما غاضك ما بـين

أيدي الناس فلن يصل إليك.. هذا إن لم تصبه بسوء فتتحول إلى شخص كريه ومدمر بعد أن دمرت ذاتك.

أما الخيار الآخر، فهو التبسم والدعاء لهم بالبركة، ثم التوجه إلى الغني الذي منحهم ومنح غيرهم.. إلى من لو أعطى كل شخص ما يتمنى لم ينقص من ملكه شيئا، إلا كما تأخذ الإبرة من المحيط.. هذا الدعاء سيريحك من أثقال كانت تعيقك عن الحب والعطاء والبذل، وسيمنحك حب الآخرين.. (ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) ..

آه كم كنت أشفق على أعين تكاد تصاب بالعمى لكثرة ما تحدق في نعم قليلة بين أيدي الناس، ولا ترفع طرفها لترى نعم لا حصر لها بين يدي الله..

كم كنت أشفق على من أغناه الله بكنوز الإبداع والمواهب، وهو يتسول بذلك كله على أبواب مخلوق كل الذي يملكه دراهم في جيبه... كنت أردد لهم ولي: (اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمن سواك)، لأنك قد تحتاج فتستجدي، وهو مباح وحلال.. ولكن عندما تقول: واغنني بفضلك عمن سواك تتذوق معنى التحليق في حرية لا مثيل لها وأنت تشعر أن مصدر نعمتك من السماء.. تشعر بقمة التوحيد وأنت تتعلق بإلهك وحده وتطلب منه وحده.. أتراه سيخيب ظنك أو يرد يديك..؟

أتراه لن يرحم دمعاتك ومناجاتك وتوسلاتك..؟

أنا لا أتحدث عن أم رحوم، أو أب حنون، أو ملك عادل أو ثري عطوف.. أنا أتحدث عن إله كريم لا حدود لكرمه.. إله يقول:

(أنا عند ظن عبدي بي..

وأنا معه حين يذكرني:

إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي..

وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ هم خير منهم..

وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذرعا..

وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا..

وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)

أتحدث عن إله كريم يقول: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني..

فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر)

أو تحسبني أحتاج لأحد مع هذه الكنوز التي لا حدود لها، وهذا السخاء الذي لا يعرف التوقف!

أو تحسبني أتعلق بأحد مع هذا الكريم الذي لا يمل من العطاء..!

أتراني أنظر إلى ما في يدي الناس الفقراء، أو الملوك والأمراء، وهو الذي يبسط يديه لي في الليل والنهار..

أو تحسبني أنظر إلى أبواب موصدة، أو طرق مغلقة والسماء كلها طرقاتي.. أأدركت كم كانت قريبة منك؟

صمت صاحبي ولم يحر جواباً.. كان يفكر فيما فاته، لكنه في الجنة الـتي أنسته كل مراراته...

كان حديثنا يتدفق، بينما كنا نبحر في شوارع الضاحية ذات القـصور المليينية، لم نر قصراً يشبه قصراً، ولم نر قصرا بشعاً أو قبيحاً، كانـت القصور والميادين والحدائق والطرقات الفسيحة في مهرجان تنافس على الجمال..

وفجأة نبه صاحبي شيء لم يستطع مقاومته فقال لي: أعلم أنك لا ترغب بذلك، لكن دعنا نتوقف في الحديث عنهن هنا، فأنا أرى شـيئا غريبـا ومدهشا.. أرى ألوانا وأنوارا تومض من بعيد.. هناك هل تراها.. ترى هل هو احتفال..؟

✍ لا أدري دعنا نسأل أحدا.

❍ تسأل أحداً! هيه.. أنت!.. لم نعد في الدنيا! لا تخش الضياع بعـد اليوم، فالضياع من أجمل الأشياء في الجنة.

✍ أسرع نحوه إذاً.

❍ بل دعني أبطئ لأتأمل القادم وأحتضنه.

✍ كما تشاء... يا إلهي ما هذا...! انظر إن الأنوار والألوان تـصدر من ذلك الجبل؟

اقتربنا فقال صاحبي: إنه ليس بجبل إنه أضخم وأرفع.

❍ يا لروعته إنه بناء.. يا إلهي ما أ اه وأروعه وأضخمه.

✍ سأسير خلف تلك المركبات المتجهة نحوه.

تحركت مركبتنا خلف مركبات كثيرة جدا.. تكاد تزدحم، وتتنافس في روعة تصاميمها أو غرابته في طريق عريض جداً ينساب نحوه.

تزداد ضخامة المبنى الألماسي الرائع كلما اقتربنا، إنه يحجب عنـا مـا وراءه.. كلما اقتربنا شعرنا بالإثارة لدرجة قال صاحبي معها: هل هـذا هو جدار الجنة..؟

لم أستطع الصبر فالتفت إلى مركبة تقودها فتاة بارعة الجمال، وبجانبـها شاب ينافسها في الحسن مشغول بتسريح شعره وربطه مـن الخلـف، سلمت عليه وسألته عن هذا الجدار.. وإلى أين تقود بوابته؟

فقهقه الشاب ورد السلام وقال: هذا سوق مـن الأسـواق الكـثيرة المليينية.. ألم تمر ببعضها في طريقك؟

فغرت فمي ونسيت أن أشكره، وقلت لصاحبي: يا إلهي كل هذا العـالم الذي أمامنا سوق!

❍ يا ألله.. سوق.. كل هذا الجبل سوق!!!

✍ هيا لنضع سيارتنا في أقرب موقف.

❍ يبدو أن المواقف في الداخل، فهذا البناء الهائل يبتلع كل شيء.

سرنا قليلا ثم قمت من مقعدي.. ضت والتفـت بكـل جـسمي إلى الوراء.. تذكرت.. ثم حدقت في الوراء، ثم قلت لصديقي: يـا إلهـي تذكرته.

❍ من؟

✍ ذلك الشاب الوسيم.

❍ الذي سألته قبل قليل؟

✍ أجل.. أتذكر حارتنا القديمة.

❍ سأتذكرها من أجلك.

✍ أتذكر ذلك الشيخ اللطيف، الذي كان يعمل ضمن السائقين عند صاحب القصر الكبير الذي تحتل مساحته نصف حارتنا؟

❍ أجل (العم... العم...)

✍ إبراهيم.

❍ ومن ينساه.. كان ودوداً معنا.. أتذكر عندما كان يتجه إلى المسجد ونحن نلعب الكرة فيقول لنا: معي حلوى سأعطيها لمن يصلي.. أذكر أننا كنا إذا أقيمت الصلاة حشرنا أنفسنا بين الصفوف لنكون في مرمى بصره إذا سلم.. كان يقول لنا إن ربنا عنده حلوى ألذ مما معي، ومراجيح وملاهي نلعب ا مجانا..

سافرت بي مخيلتي إلى شيخ كبير في السن بالغ اللطف، ليس على قدر من الجمال، لكن جمال روحه يزين طريقه عبر ملاعب طفولتنا وهو متجه نحو المسجد، كان رجلا طيب المعشر واللسان، نقف إذا رأيناه يقود سيارته لنلوح له بأيدينا ونحن نتقافز على جانبي الطريق، فيلوح لنا الرجل الثري بيده ظانا أننا نعنيه، ويبتسم العم إبراهيم مسرورا بما يراه دون أن يرفع يده.

كان العم إبراهيم يجالس إمام المسجد ويتعلم منه أشياء، فيحدثنا ببعضها كلما التففنا حوله.. يحدثنا عن الجنة التي نستطيع (التفحيط) فيها بسيارتنا و(التطعيس) بسيارات جميلة وقوية لا تعرف سوى التحدي، يحدثنا عن جيوبنا الملأى بالنقود.

كان يقول لنا: الجنة فيها ملاعب مزروعة وملاهي مجانية، وليس فيها دراسة ولا واجبات، ولا أمراض، كان يعرف أن تلك الأشياء الأخيرة متساوية تقريبا بالنسبة لنا.

حدثنا مرة عن نهر اللبن و نهر الماء البارد العذب الصافي، وأنه أبرد من ماء برادة المسجد، وعن نهر العسل (آه العسل) هو أكثر الأشياء التي تدفعني للصلاة ونحن في المراحل الأولى من الصف الابتدائي، عندما كان الفقر يحول بيننا وبين رؤيته حتى..

لكنه لم يذكر لنا شيئا من نهر الخمر، خشية أن نتعلق به في الدنيا.. كان العم إبراهيم يذوب رقة مع الأطفال، وكنا نسأله عن أولاده ونقول له: ناد أولادك ليلعبوا معنا، فيخفض رأسه، ثم يرفعها وعيناه تلمعان قائلا: إن شاء الله.. إذا أتوا سأجعلهم يلعبون معكم، وسأشتري لكم كرات أخرى، وشبكات لمرماكم...

اشترى لنا كرات، واشترى لنا شبكات، ولم يأت أولاده، فازداد شوقنا لهم.. كنا ننتظرهم على أحر من الجمر، لكنهم لم يأتوا، وبدأنا نكبر وهم لم يأتوا، وذات يوم رأينا حركة غير طبيعية، وسيارات عند باب القصر

الخلفي، وإذا بالعم إبراهيم يخرج منه محمولا على النعش. سألناهم: من هذا؟ فقالوا لنا: مات العم إبراهيم.

كانت أعيننا تدمع وهي متعلقة بنعشه، ونحن لا نكاد نصدق ما حدث.

مات العم إبراهيم دون أن نرى أولاده، ودون أن يراهم هو.. ذهبنـا خلف نعشه وصلينا عليه، كنا نود لو تمكنا من اللحاق بهم إلى المقـبرة، لكن الأمر ليس بيدنا.. لم نلعب في ذلك اليوم ولا من الغد.. كنا نجتمع في ملعبنا الصغير ونتحدث عنه.. كانت أعيننا معلقة بطريقه، عله يعود ليرافقنا إلى المسجد، لكنه لم يفعل..

كنت أبكيه عندما أتذكره وأنا لوحدي، ومرت الأيام علمنا بعـدها أن العم إبراهيم رحل ولم يرزق بولد، وعلمنا عندما كبرنـا سـر تعلقـه بالأطفال.

انتبهت على صوت صاحبي وهو يقول: وما الذي جعلك تتـذكره في هذه اللحظات المدهشة؟

✍ إنه ذلك الشاب الفاتن الذي سألته قبل قليل؟

❍ لا إله إلا الله.. أحقا ما تقول؟

✍ إنه العم إبراهيم ولكن ليس بلحمه وشحمه ولونه، ولكن بأجساد الجنة وأزيائها.

❍ سأخفف السرعة حتى يلحق بنا.

خففنا من سرعتنا حتى أصبحنا بموازاته، فابتسم وهو يكاد يعرفنا، فقال له صاحبي وهو يرفع كفه وقد قبض أصابعه: سأعطيك مـا بيـدي إذا ذهبت معي للمسجد.

فهقه العم إبراهيم، وأشار لرفيقته بالتوقف فتوقفت، ونزل من المركبـة كالملاك، أبيض كالقمر، قد ربط شعره الناعم من الخلف، كان يلـبس بدلة راقية على جسد بالغ النضارة والشباب والجمال. لا تجاعيـد ولا شيب ولا حدبة.. تسابقنا نحوه نعانقه ونقبل رأسه ونتأمل هذه الأناقـة الحبيبة.

أخذ بيدينا وقدمنا لرفيقته المندهشة مما يحدث وقـال: أعـرفكم علـى زوجتي الجميلة حاليا.. العجوز سابقا: أم محمد.

نظرنا إلى بعضنا باستغراب ونحن نقول في أنفسنا: أما زال يحلم بمحمد.

أدرك سر نظراتنا، فقال: انظرا في المقعد الخلفي.

توجهنا نحوه، ولما نظرنا رأينا البراءة والجمال قد اجتمعا في طفل وطفلة يلهوان بلعبة بينهما على مقعد فسيح ووثير.

ناديناهما فمدا أيديهما وهما يبتسمان ببراءة لم نرها في طفل من قبـل... قبلناهما ولاعبناهما ثم حملناهما.. يا ألله ما أعطرهما وأجملـهما.. غيبتنـا براءتهما حتى نسينا العم إبراهيم لدقائق.. أخذتنا البراءة والجمال حـتى سمعناه وهو يقول: لقد عوضنا الله عن صبرنا وحرماننا، وعدم تذمرنا في دنيانا بهاتين الوردتين.. هل رأيتما أجمل وأعذب منهما في الدنيا؟

✍ إلا أن تكون أنت يا عم إبراهيم؟

لكمني على كتفي وهو يقهقه ويقول: كانت حقا أيام اختبـار مريـر بالنسبة لي، لكن ربي لا يخلف الميعاد.. آه لو رآها المتذمرون النـاقمون على أقدار الله، المتبرمون من شظف العيش.

❍ لقد افتقدناك ياعم إبراهيم، وتحولت حياتنا إلى مرارة بعدك.

✍ لا أعتقد أن أحداً افتقدك بعد أهلك مثلنا.

☃ كنتم أولادي وقرة عيني ودعواتي لله كلما رأيـتكم تتراكـضون في ملعبكم.

مضت بنا الأحاديث والذكريات والطفولة التي لم نستطع التخلص مـن عذوبتها، وسار الحديث بنا إلى اللحظة التي نعيشها، فسألناه عن هـذا السوق فقال: لن أحدثكم عن هذه المعجزة التي سترون أجمل منها.

✍ كأ ا تدور فهل تحتاج إلى صيانة؟

☃ إن الذي أدراها هو من أدار الكواكب والشموس، والأرض التي كنا نسكنها دون أن تحتاج إلى صيانة.

❍ سبحانه ما أعظمه، لقد خيل لي أ ا قطعة من السماء قد سـقطت، أو أ ا جدار الجنة و ايتها.

☃ في الجنة لا يتحدث الناس عن الحدود ولا الحواجز، بل عن الانطلاق والإبحار والتحليق، والاكتشاف المذهل الذي لا يتوقف.. سـأترككما لتواصلا اكتشافكما.... ولكن بعد أن تسمحا لي باسـترداد فلـذات كبدي وقرة عيني.

❍ أجل.. أجل كم يصعب علينا تركهما أيضا.

☃ إذا إلى لقاء قريب.. تعرفان كيف تصلان إلي السوق؟

✍ بالتأكيد إلى لقاء قريب برحمة الله.

ودعنا شيخنا الشاب وهو يقف على قدميه باتجاهنا ملوحاً بيمينه، ومركبته تسبح به نحو الدهشة التي نقصدها...

قلت لصاحبي: هل رأيت أعذب من هذين الطفلين وأجمل؟

❍ ما أطيب رائحتهما وأرق أجسادهما.. إنهما نعيم لا يقاوم.. تصور طفولة الجنة براءة لا حدود لها، وعبير لا ينقطع.. إن بكيا فدلال يأسر القلب، وإن ضحكا ففرح للروح.. أطفال لا يحتاجون إلى غيارات ولا لفاحات ولا معاناة.. أطفال بلا أمراض ولا قيء ولا فضلات ولا...

✍ كم كنا نحبهم رغم معاناتنا معهم.. كم كنا نشقى إن لم نرزق بهم، وكم نشقى للحصول عليهم، وكم نشقى للحفاظ عليهم وتعليمهم وتربيتهم، ونشقى إن أخفقوا، ونشقى ونحن نتابع خطوات نجاحهم..

❍ الطفولة في الجنة نعيم لا شقاء فيه (إذا أراد المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي)

وبينما كانت المقارنة تشتعل بين أطفال الجنة وأطفال الدنيا، أخذني المبنى وما حوله مرة أخرى...

✍ انظر لقد دخلنا طريقا مرصوفا بجواهر لها ألوان السوق نفسها..

واصلنا طريقنا نحو السوق، ولما اقتربنا منه سد الأفق، فلا نرى عن يميننا وعن يسارنا سواه.. ارتفاعه يذهلنا إلى درجة الخوف، فلأول مرة يرى

أهل الأرض ارتفاعا لمبنى بالكيلومترات.. مبنى ضخم مكعب الشكل مبني من الألماس الملون.. كان مكونا من أدوار متعددة، أما واجهاته فمقسمة إلى مربعات ضخمة تومض الفواصل الذهبية التي بينها، أما مربعاته، فكان كل مربع بلون..

أما أضلاع السوق فتتجاوز آلاف الأمتار طولا وعرضا وارتفاعا.. ضخامة وإعجاز يشعرك بعظمة مبدعه.. كان أعظم من الجبل أمامنا، أما المعجز فيه، فهو أن هذا التحفة الألماسية العملاقة والمهيبة.. كانت تدور ببطء حول نفسها بشكل دائري يمنح ما حوله من عوالم ألواناً ومشاعر. منظر يملأ الإنسان هيبة وإجلالا لمبدعه، وكأنه كوكب من الأحجار الكريمة.. ودون أن نشعر كانت مركبتنا في المحيط الألماسي الذي يدور مع المبنى.. وشيئا فشيئا اقتربنا من بوابات هائلة.. مؤطرة بالذهب بشكل هندسي محكم ودقيق وأنيق، وبالغ الراوعة.. كانت بوابات عديدة تغريك بالدخول.. لا تدري أي ما حولك أجمل.. هل هو الطريق المرصوف بالجواهر، أم البوابات الفخمة العملاقة الملونة.. التي تشعرك بالدخول إلى جنة أخرى.. كنا نسمع الصخب والأصوات في الداخل وكأننا في طريقنا إلى احتفالية..

دخلنا بوابة ضخمة فهالنا ما نراه من عوالم ومحتفلين.. بوابة يصطف حولها رجال غاية في الأناقة والبشاشة واللطف.. لا تعرف قواميسهم سوى عبارات الترحيب بنا والابتسام وكرم الضيافة..

صوت عذب داخل سيارتنا الفارهة، يشعرنا بدخولنا محـيط الـسوق، ويعرض خيارات الوصف للمبنى صوتا وصورة.. من خـلال شاشـة مصنوعة بشكل أنيق أمام كل مقعد.

وما عليك سوى الاختيار صوتا، أو بلمس الشاشة، لتنطلق بك السيارة آليا نحو المكان أو الأماكن التي تقصدها: فنادق.. معارض.. مـسارح.. صالات احتفالات.. قاعات.. أندية.. مطـاعم.. مقـاهي.. صـالات عرض.. ساحات تزلج.. ملاعب.. منتديات.. ملتقيات.. مكتبـات.. أماكن تعارف وتواعد.. أسواق.. حدائق.. بحيرات وأ ـار.. وأشـياء جديدة لا نعرفها ولا يمكن تخيل مسافات الإبداع فيها..

دلفت بنا مركبتنا فإذا السوق مبهر.. كل مـا فيـه يخطـف العقـول والأبصار.. ممرات لا حصر لها، ومصاعد مذهلة الصنع والحركة والمرونة ومراكب عديدة وأدوار ضخمة وهائلة جدا، وجميلة جدا.. كل طـابق عالم آخر، وجنة أخرى..

كان الدور الأرضي من الفضة، هذا الدور الفضي أشـبه بـضاحية لا يسكنها إلا لأثرياء.. تعج بالفنادق البالغة الفخامة.. كانت الطرقات إلى تلك الفنادق من الفضة.. تسير عبرها مركبات في منتهى الأناقة.. منها ما يـ لق انزلاقا، ومنها ما هو معلق ومنها ما يسير على إطارات ملونـة بألوان المركبة نفسها، والتنقل لا يقتصر على هذا، فالقطارات الجميلـة تحملك حيث تريد.. هناك أيضاً المقاعد الـوثيرة المتحركـة بـشكل انفرادي، أو جماعي عبر مسارات ألماسية شفافة بالغة الجـدة الإثـارة..

السير على الأقدام كان لا يقل عنها متعة، ولا يحرمك من كل التفاصيل المذهلة..

أما وجوه المرتادين.. فلو أن وجها منها ظهر في الدنيا شـابا أو شـابة، لأشغل القلوب عن كل ما حوله، ولتحول إلى حديث العالم كله وسكن دواوين أشعاره.. كانت الفنادق على أطراف هذا الطابق الذي نـسير فيه، وكانت المحلات التي تبيع الملابس والأزياء الفخمة والحديثة.. تتناثر بتصاميم جديدة وأنيقة أمام تلك الفنادق، ووسط هذا الطابق، وهنـاك محلات أخرى للعطور وأدوات الزينة لمن أراد الإسراف في التزين.. كان هناك مكتبات للكتب المقروءة والمسموعة والمرئية.. كأن تريد قـراءة قصص من التاريخ.. إ ا مجرد أيقونات تشاهدها واقعـا حيـا يعـرض أمامك، حتى ولو كانت قصة حياتك وطفولتك.

هناك محلات لأحدث ما في عالم الموسيقى والطرب، وأخـرى لأدوات الموسيقى والرسم والنحت، وغيرها من الفنون..

هناك دور العرض العلمية التي تريك بدايات الكون وتحولاته، والأهوال المصاحبة لها، وعروض عن أرضنا وخلقها، وخلق بحارها وجبالها وأ ارها والحياة فيها، عروض عن آدم وخلقه ونزوله للأرض، وعروض حتى عن الشيطان.. من بداياته إلى انحداره في نار جهنم هو وفرقته المصاحبة له.

عروض تستغرق أوقاتاً لا تصيبك بالملل، ولكن تمـلأك بالتـسبيح لله، والتسليم بقدرته.. عروض في صالات تحف فيها الخدمات واللطـف، والإجابات عن كل تساؤل مهما كان.

وخارج دور العرض تلك ووسط الأنس والاحتفـالات، وفي وسـط المساحة الهائلة المليئة بتلك الأسواق والفنادق وغيرها.. في وسط ذاـك السوق الهائل و مفتوح على السماء.. و مربع وكبير جدا.. لا سقف فوقه.. تنساب خلاله مصاعد لا حصر لأنواع الإبـداع في تـصاميمها واتجاهات حركتها، وشلالات من الأنوار كأشعة شمس باردة وملونـة.. تبعث على البهجة والانتشاء.. شلالات تلغي الجاذبية، فيصعد الإنسان ما شاء من أدوار، أو يهبط نحو ما شاء مـن العـوالم، دون أن يمـسك بشيء.. كان الشلال البشري يتناغم مع شلال النور الهائل في لوحـة بالغة البهاء.

هناك أيضا المقاهي والمطاعم التي تزدان بالزوار، وحدائق كبيرة وصغيرة مزينة بنبتات تلائم تلك الأجواء.

زرنا تلك المحلات، واشترينا بعض الملابس والأحذية والكتب وأشـياء أخرى، لكننا لم نأخذها معنا.

فقط زودهم باسمك.. اسمك فقط، وهم يتولون إيـصاله إليـك في أي مكان تتواجد فيه.. في البر أو البحر أو حتى في السماء.

كنا نظن أن النساء أكثر حباً للتسوق من الرجال..

في الجنة كان الرجال والنساء يتنافسون في التسوق، واقتناء أحدث مـا يـ ل في أسواق الجنة من أزياء.

جولة تدهشنا محطا ا ومقاهيها، وحياة الصخب أو الهـدوء الممتزجـة فيها.. ارتدنا صالات الفنادق البالغة الإتقان جمالا وهندسـة وبـذخا، وتعرفنا على الآلاف، وسكنا في بعض أجنحتها المرفهة بلا حدود...

رأينا بعض الذين كنا نعرفهم في الدنيا بوجوههم، وبادلناهم الأحاديـث والتهاني ـذه الجنة العظيمة.

كان بعضنا يذكر بعضاً بسخاء الله وكرمه ودقة صنعه، فكل شيء حولنا يذكرنا أن الله جميل يحب الجمال، وكل منا يحث الآخر علـى ارتيـاد أماكن سحرته قبل دخول السوق، وينصحه ـا، ويـصف سـحرها وروعتها، فيزداد الحماس، وتؤخذ المواعيد على القيام برحلات جماعيـة لها، فإذا نظرنا إلى السقف المرتفع فوقنا، أخذنا الفضول إلى صعود الدور الأول (الذهبي) حيث تنتشر أيضا المحلات والمطاعم والفنادق والحدائق، ولكن بتصاميم أخرى وذوق آخر، ثم الطابق الذي يليه.. كان كل دور من مادة أخرى أجمل من الذهب والفضة وأعظم، ولا ندري ما هي إلا عند سؤالنا عنها..

صعدنا إلى أدوار بعضها عبارة عن ملاعب وميادين رياضية، ومدرجات للفرجة.. شاركنا في بعض مبارياا فألهب حماسنا تشجيع الجمهور لنـا، كان الغالب والمغلوب يخرج مبتسما ومتوعدا بجولة أخرى.

شاركنا في الفرجة على مباريات غيرنا بحماس، وهتاف لم تشهده ملاعب الدنيا، وبخلق تفتقره ملاعب الأرض.

استضفنا وأضفنا.. أقمنا الحفلات الباذخة في تلك الفنادق الفخمة لمن نراه من الأقارب والأصدقاء، وأقيمت لنا الحفلات.. حضرنا حفلات زفاف كثيرة وجميلة، وتعرفنا على الكثيرين.

دخلنا مسارح ومعارض فنية ودور لشتى العروض التي نعرفها ولا نعرفها، وكنا كلما دلفنا عالما لم نفكر بالخروج منه، إلا بعد أن يسحبنا مشهد أو نداء، أو شخص عزيز نراه فجأة يمر بالقرب منا أو من بعيد.

أخذت منا تلك السياحة أشهرا عديدة من المتعة، لا ينقلنا من متعتها سوى التحول إلى ما هو أكثر إمتاعاً.

كنا لا نغادر طابقاً إلا بعد أن نمر على كل زاوية فيه.. ولذا لم نصعد إلى قمة السوق المذهلة إلا بعد أشهر من الحياة الصاخبة.. بل الحيوات التي تختلف كل منها عن الأخرى..

لم نكن نحمل هم أجرة الفنادق، ولا تذاكر الدخول، ولا مصاريف الإقامة والوجبات والمشروبات والجولات، ولا نفاذ المبالغ، أو انتهاء الرصيد، أو انقضاء الإجازات، أو ضياع جوازات السفر، أو عدم امتلاكنا لملابس ملائمة لحفلة أو عرس أو وليمة أو مباراة، أو حتى مسبح، ولا ما ينغص أحلى الأسفار ويقلبها إلى نكد مرير، كالأمراض والخطف والسرقات والمنع والشجار، والقتل والغش والخداع..

جمعت تلك المصطلحات ورميت خارج أسوار الجنة..

كنا سكارى بما نراه ونلمسه ونعايشه من حب وإخاء، وبشاشة ومـرح ومزاح وجد وإثارة.. كنا في حالة تلاش وامحاء بالنعيم.. كنا نعيما يتفانى في النعيم.. كنا نعيما يتناثر نحوى أقصى نقاط النعيم.

ثم صعدنا...

صعدنا سماء المبنى وقمته وروعته.. كنا لا نرى الناس إلا بالمناظير المقربة لبعد المسافة.. ومن شرفات السوق..

كانت روعة الجنة من حولنا تحولنا إلى عقول وقلـوب مـسحورة.. لا ينبض فيها إلا آهات تسبح لخالق هذه الروعة.. حدائق مهولة، وبحـار وبحيرات ممتدة تتلألأ من بعيد، وأ ار كخيوط الفجر، وملاعب وميادين فسيحة وملونة، ومت هات وقصور لا حصر لهـا، ومراكـب تـسير، وأخرى تبحر، وأخرى تطير في الفضاء، وحولنا ألحان عذبة، ووجـوه تسحرك بجمالها وفتنتها، وعطور مسكرة تعزفها كل ذرات الفضاء.

لا شيء إلا التسبيح يعبر عن مشاعرنا التي أتعبتنا بمطارد ا... مشاعر لا يمكن أن تتحملها قلوبنا وأجسادنا التي عشنا ا في الدنيا.

على تلك القمة انتقلنا من مكان إلى مكان.. كانت سماء المـبنى أشـبه بمدينة فضائية.. تناولنا ألذ الأطعمة المعروضة، وشـربنا أنواعـا مـن المشروبات التي أضفت على الأجواء أجواء أخرى، وتعرفنا على بعض الناس وكسبنا صداقا م. واسترخينا ولعبنا ومرحنا.. كان عالما علويـا يخيل لمن يسير عليه أنه الفردوس..

يا إلهي ما الذي تخبئه لنا الجنة..

يا إلهي كيف سنصمد أمام المستقبل..

كان هناك من يـ ل من سماء المبنى بالمناطيد الملونة.. وكان هناك من يحلق منها بطائرات صغيرة.. وهناك من يـ لق منها عبر مجرى مائي متعـرج وآخر مستقيم نحو بحيرة ساحرة، وهناك مـن يفـضل القفـز نحوهـا والسباحة في الهواء.. وهناك جسور ألماسية وذهبية وفضية للسيارات.. كانت مشاهد احتفالية تفني أعمار الدنيا دون أن يتطرق الملل منها..

أما نحن فمكثنا طويلا.. طويلا.. حتى رأينا من بعيد طريقا مستقيما يشق مساحات ملونة أخاذة، فقررنا اكتشاف ذلك الطريق، ولما أردنا الـ ول انحدرنا مع إحدى الجسور..

يا إلهي ما أروعه من شعور أن تنحدر من على ارتفاع كيلـو متـرات تحتضنك الروعة والجمال والسعادة والمفاجآت.

وصلنا إلى الطريق المنشود، ولا ندري ما محطتنا التالية..

ما أحلى الانخطاف والضياع في الجنـة، لم نعـد نريـد خـرائط ولا إحداثيات، نريد فقط أن نمارس الضياع تلو الضياع، والاكتشاف تلـو الاكتشاف.. كنا نريد الانمحاء في نعيم يكاد يقتلنا من السعادة.. كنـا نعيش اللحظة وكأ ا تمتد بلا اية، وكأ ا تسكرك عما قبلها وما بعدها.

انطلقنا في طريق معبد بحجارة كريمة نقية البياض دون لمعان، وتتـرابط فيما بينها بخيوط من الأحجار الكريمة الملونة، الطريـق طويـل جـداً، ومستقيم لدرجة لا نستطيع أن نرى ايته.. طريق طويـل.. طويـل.. مئات الأميال وأكثر.. طريق يشق مساحات هائلة من أمواج الـورود

والزهور إلى نصفين.. عندها تذكرنا أصحابنا والأيام التي كنا نخرج فيها خارج مدينتنا.

قلت لصاحبي: أتذكر تلك (العصريات) وكيف كنا نتمتع بالجلوس على تلك الطرقات الإسفلتية السوداء القاسية، وبين تلك الأراض البور التي يحدق فيها وفينا تجار العقار بشراهة.. لم نكن نرى حولنا زهرة أو حتى خضرة.. كنا لا نخرج أيام الصيف إلا قريبا من الغروب لشدة الحرارة..

قال صاحبي: لن نعبر مترا واحدا من هذا الحلم حتى أجمعهم.

✍ **أوافقك، رغم أني لا أكاد أصبر عن السفر في هذا الربيع الفردوسي وألوانه وعبيره.**

قمنا برحلة أكثر إثارة مما سبق، حتى تم لنا ما نريد، وفي النهاية اجتمع الشمل عند مدخل من مداخل تلك الساحات الهائلة من برية من براري الجنان...

كان العناق طويلا والفرح أطول، ثم انطلقنا وانطلقت معنا فواصل المزاح المعهودة..

كانت حولنا ملايين الأميال وأكثر من الأعشاب الملونة، لم يعد العشب أخضر فقط كما في الدنيا.. كان بكل الألوان، ولم يكن صامتا كما في الدنيا.. كان لكل لون عبيره وعطره المختلف، والمنافس لما قبله وما بعده، ولم يكن العشب وحده هناك، مساحات أخرى من الزهور والورود.. هناك المساحات الهائلة التي تحمل لونا واحدا، وأكثر منها بلونين، وأكثر بثلاثة..

تزداد المساحات كلما ازدادت الأوان.. مرة تتمازج، ومـرة تتنـاغم، ومرة تتخذ أشكالا هندسية لا توصف مـن روعتـها.. بالإضـافة إلى مساحات مذهلة من الشجيرات الصغيرة، ذات الأوراق الملونة بـشتى الألوان خلف مساحات الزهور، أما في النهايات التي لا ترى من بعـد المسافة، فأشجار باسقة ملونة ومثمرة..

ملايين الأميال ونحن لا ندري أيها أجمل.. أيها أكثر سحراً.. أيها أكثـر إثارة.. لا حدود فيها ولا إقطاع، ولا اغتصاب ولا حرمان، ولا منـع ولا طمع ولا جشع، فالمساحات أكبر من الخيال، والنفوس من الكـرم والجمال بحيث تنافس ما حولها.

لم تكن الأشجار والشجيرات والأعشاب والورود والزهور الملونة هـي التي تحلق بنا، وتعزف حولنا فقط..

كانت السماء تشاركها العزف.. السحاب الملون.. أسراب الفراشات والطيور الصغيرة والكبيرة الملونة على جانبي الطريق.. تعزف لحنا آخر للجمال، وكأنها حدائق الزهور تحلق فوقنا..

كانت سرعة مركباتنا مثيرة دون أن نخشى تعطلها، أو حدوث ثقوب أو انفجار في الإطارات، أو نفاد الوقود، أو الدخول في مناطق محميـة أو ملغمة أو غير آمنة أو ممنوعة، أو محجوزة.

كنا نسرع، لكن المساحات تغري بالمزيد من السرعة، بينما كان الفـن والجمال والفتنة تناشدنا المرور بها، والتأمل في كل غـصن.. في كـل وريقة.. في كل ثمرة.. في كل زهرة ووردة..

وعن اليمين واليسار أيضا.. في وسط تلك الحقول الملونة.. كنا نشاهد الأكواخ الخشبية المتدرجة الألوان.. كان منظر الدخان وهو يتعالى مـن مداخن تلك الأكواخ يغرينا بالميل والتوقف..

كانت حالمة تأخذ بالمشاعر.. كانت الأكواخ معزوفات.. قصائد شعر.. مصنوعة من أخشاب الجنة التي لا تحتاج إلى طلاء، فألوان أخشاب الجنة لا حصر لها كالأرقام، وأحجامها تتفاوت بين الكوخ الحميمي الصغير، وبين ما ينافس القصور حجما و ﺎًء..

بعد أيام من التجوال الجنوني ملنا إلى أحدها.. كان قصيدة شعر.. كان متوسط الحجم وجميلا، ومفعما بالمشاعر.. تزين نوافذه وأبوابه وشرفاته باقات الزهور والورود، وتتدلى من جوانبه خيوط ملونة من نباتات الجنة الفريدة.. كانت الباقات تزين مداخل مقدماتـه، وأطـراف مقدماتـه الخشبية الفسيحة، التي تحتوي على الكراسـي الخـشبية المتأرجحـة، والمراجيح المعلقة..

كان الكوخ معدا لـ هاتنا البرية، ففي خلفيته الفسيحة النظيفة والمنسقة من السيارات والدراجات والأدوات والخيام.. المخصصة للـ هات البرية الشيء الكثير مما لا نعرفه..

أوقدنا حطبا في موقد موضوع في مقدمة الكـوخ، وفي موضـع آخـر خارجه، وسط بساط حريري من الأعشاب الملونة، فتصاعد الـدخان بخورا لا يضاهيه أجود أنواع العود، ولا حتى يقترب من عبقه..

صنعنا على لهبه أنواعا مختلفة من القهوة والشاي ونكهاتها التي وضعت في أرفف منحوتة بشكل فني راق، وشوينا من لحوم الطير الناعمة واللذيذة أنواعا لا يمكن الاكتفاء من لذتها..

شربنا وأكلنا وعزفنا وأنشدنا..

تحاورنا بصخب أشد مما كنا عليه في الدنيا..

لم نحمل هم التأخر أو العمل أو الوظيفة، أو انتهاء أيام الإجازة..

كنا نريد أن نقضي كل أيامنا في هذا العالم الفريد وهذه المساحات الغناء.. نسينا دورات المياه، ولفح البرد، والحاجة للتزود بالطعام والشراب والأغطية.. كان التساؤل الوحيد: هل في قلوبنا مساحة لهذا الفرح..!!!

تسحرنا قاعات الكوخ وغرفه الفسيحة والشاعرية.. كانت جدرانه الخشبية كالمشاعر.. منحوتة نحتا.. مضاءة بشموع الجنة، أما أثاثه الخشبي المنحوت فتحف لا نظير لها، وتلك الحرائر التي تكسوا بعض أجزائه، فلوحات فنية تشد الناظر إليها وتسحره.. بعضها مكسو بالجلد الذي يتخذ ألوان الأخشاب وتعرجاته..

كان جلدا عجيباً.. منه الصقيل اللامع، ومنه المطفي، ومنه المعشوشب..

لم يعد الإنسان يعرق من الحر، فتلك الجلود تمنحك درجة من البرودة والراحة التي تشبه التدليك، أما اللوحات فرسومات وصور لبعض مناطق البرية الساحرة..

الستائر الحريرية كانت فنا بحد ذاته، بخياطتها وطريقة تعليقها وأطرافهـا والنقوش التي تزينها..

كان في الكوخ أسرة خشبية مكسوة بفرش ومفارش، ووسائد وأغطيـة مطرزة بالذهب، وملونة بأصباغ الجنة الجديدة علينا.. كانـت وثـيرة وناعمة.. كل مقاعد الجنة وأسر ا وأرائكها غاية في الراحـة ومناسـبة للجميع، فقد تخلص الجميع على أبواب الجنة من آلام الظهر والمفاصل والروماتزم وجميع الأمراض، كما تخلصوا من قائمة الممنوعـات علـى الصحة والمحرمات..

ومن نوافذ الكوخ الكبيرة كانت الإطلالات تنادينا.. كانت البحيرات تنادينا.. كانت الأ ار تنادينا.. كان كل غدير أو مصب ماء ينادينـا.. كانت قمم الشلالات تنادينا، وكانت المساحات الجميلة تغني لنا وتسافر بمشاعرنا..

قضينا أشهرا طويلة حالمة.. غيرنا فيها كوخنا إلى آخر وآخر وآخـر.. أكواخ تتنافس في إرضائنا واللعب بمشاعرنا وأحاسيسنا..

قابلنا بعض أصدقائنا وبعض أقاربنا، واستضفناهم واستضافونا..

قضينا أوقاتا في تلك تلك البحيرات تحت تلك الـشلالات وفوقهـا.. ونصبنا خيامنا على تلك البسط المخملية الفاتنة..

ولما هممنا بعد أشهر بالرحيل.. ركب كل واحد منا دراجة للـرحلات فخمة وسريعة، وانطلقنا كالسهام خلال الزهور والعطور.. نكتـشف الأرض طولا وعرضا دون أن نصاب بالملل أو نخشى السأم.. انطلقنا في

مساحات نكتشفها، فيزداد فضولنا.. نلاحق قطعانا من الغزلان الرشيقة والجميلة، والتي لم نرها يوما.. لم تعد الغزلان بألوان محدودة وباردة.. هناك البيضاء والحمراء والصفراء والزرقاء والبنفسجية والخضراء، وألوان أخرى تتدرج من أشد البياض إلى أشد السواد.. وكأننا نطارد زهورا لها أشكال الغزلان..

تجاوزنا تلك الغزلان إلى قطعان ملونة أخرى.. أسود ونمور وفهود وفيلة وغيرها وحتى – إن شئت – ديناصورات هائلة.. وحيوانات انقرضت قبل أن نخلق على الأرض..

طاردنا حيوانات جميلة لا نعرفها.. لم يعد فيها المخيف ولا القبيح ولا المفترس ولا المتوحش..

نراها بين السهول ونحن على المرتفعات، فننحدر نحوها في سباق مع الجمال ومعها.

طاردناها قطعانا هائلة لا بول لها ولا روث، ولا روائح كريهة تنفرك من مرابعها.. كانت تأكل من ربيع الجنة الطري العطر الذي لا يعرف الجفاف ولا الخريف، ولا الحطام ولا الهشيم، وبعد أن تأكل وتعدوا.. تعطر المكان بعرقها ورشحها الفواح، وكأن أجساد تلك الحيوانات زجاجات من العطور الحية..

يالها من نزهات ساحرة.. قابلنا فيها شبابا يزيدون المكان جمالا وهيبة.. شاهدنا غيداً حسانا يسحبن أذيال فساتينهن وفتنتهن على الزهور، فيزداد تأوه عشاقهن من حولهن، ويزداد سحر المكان بهن.. شاهدنا

عائلات قد نصبوا مخيمات كبيرة للغاية.. كان المرح والفرح، والرقص والغناء، والشعر والحب والتأمل وشكر مبدع الجنان ألوانا من ألـوان هذه اللوحة الرائعة..
كان هناك مساحات للأمطار، ومساحات للبَرد، ومساحات للجليـد، ومساحات لكل الأمزجة والأذواق.. لكن ليس فيها مساحات للمرض والحمى ونزلات البرد والالتهابات.

قال صاحبي: الشعر والمطر والربيع مفردات عشقتها وكتبتني كـثيراً.. ذات يوم من أيام الدنيا الربيعية الجميلة، وعند مجرى سيل شاعري يشق أرضا شبه ربيعية.. كان المكان يملي أبياتاً تقول:

ارقصي كالمـــها تـحت رش المطــر
واسبحي في الفـضاء في شــعاع القمــر
ســافري أبحـري وأطيابـي السفـــر
ثم عــودي إلــى عندمـا تتعـــبين
تجـديني هــــنا فـوق هذا الحجــر
عند نـر الربــيع بين همس الشجـــر
أمسح الحـزن عنك وجـــراح الدهـر

✍ يا ألله.. كم من الأبيات ستثيرها هذه الأجواء من حولنا.. كم من الدواوين سيكتب شعراء الجنة عن براريها ومشاهدها الساحرة، كـم ستنهار غيدها الفاتنات أمام طوفان الشعر وأطياف المشاعر!

أمضينا في تلك الأجواء أشهراً وربما سنوات لا ندري فالوقـت آخـر اهتماماتنا.. ثم ودعنا أصحابنا إلى لقاء، وانطلقت وصاحبي مجددا، وأثناء ذلك.. ادت أمامنا ثلة من الفاتنات فسلمن علينا، فرددنا الـسلام.. فقال لي صاحبي: ألم يثر تساؤلك شيء؟

✍ كل شيء في الجنة مثير.

❍ النساء؟

✍ وجوههن الساحرة، أم أجسادهن الغضة، أم قوامهن الممشوق، أم شعورهن وتسريحا ن الفاتنة، أم رقتهن وعذوبتهن، أم تلك العطور التي تشع من كل ذرة من أجسادهن.. أي ذلك؟

❍ لست أتحدث عن أوصافهن القاتلة.

✍ عن أي شيء إذاً تتحدث.؟

❍ عن تلك الحالة التي كانت تنتابنا في الدنيا، عندما نـشاهد أنثـى فاتنة، أو أنثى تعتبر آنذاك ملكة جمال، وهي لا تبلغ عشر ما نرى اليوم من جمال.

✍ أجل كان الرجل يتحول إلى عاشق أو حيوان.

ضحك صاحبي حتى استلقى عندما سمع كلمة (حيوان)، ثم قال : أيـن ذلك الشعور.؟

✍ في الدنيا كان الرجال يطفحون بالطمع والجشع.. كانوا يريـدون التهام كل شيء، ولا شيء يردعهم إلا خوف الله، أو يد العدالة، وقلـة منهم يردعه الحياء.. كانوا يريدون الانقضاض على كل ما ليس لهم، لا يشبعون ولا تتوقف مطامعهم، ولذا احتاج الناس إلى النظام والقـوانين والعقوبات، لإيقاف المنفلتين عند حدودهم.

❍ إلا ذوي الأخلاق والضمائر!

✍ قلة هم من يتصفون بذلك، أما هنا فلكل إنسان عوالمه الخاصـة، وعشقه الذي يغنيه عما في أيدي النـاس، فالكـل يـرى أن لا أحـد بموازاته.. ألا ترى هذا الطوفان الهائل من السعادة، كيف يغمر حيـاة الناس العامة في هذه الجنة؟ فلك أن تتصور أضعافه في حيا م الخاصة... لقد قدم هؤلاء طاعة ر م على انفلاتات نزوا م في الـدنيا، وحرمـوا أنفسهم من طيش عابر، إرضاء لصاحب هذه الجنة، بل قـدم بعـضهم حياته إرضاء لمطلب الله، وها هو الكريم يفتح خزائنه رحمـة، ووفـاءه بوعده، ومن أصدق من الله قيلا... وهاهم المؤمنون والمؤمنـات في أوج شبا م وقمة جمالهم ووسامتهم ونشاطهم وحيويتهم وأناقتهم وجموحهم.. يعانقون حريتهم ورغبا م بـلا حـدود، سـوى حـدود الطمـوح والانطلاق...

❍ لكن ألا تعتقد بأن للارتباط بالزواج شيئا من المنغصات، ولو بدرجة أقل مما كان في الدنيا؟

✍ صديقي العزيز أما زلت تحمل ذلك الانطباع النمطي عن كلمة زوجة.. التزامات وواجبات وقوامة ومحرم وولي.. نحن في الجنة!

❍ أتذكر مرة كنت مع بعض الأقارب، وقد عدنا من دفن امرأة فاضلة غاية في اللطف والحنان.. قضت شبابها مع الأمراض، وبعد زواجها بسنوات قليلة توفي زوجها وترك لها مع مرضها أيتاماً، ثم تفاقمت أمراضها وآلامها حتى أسلمتها للموت في سن مبكرة.. كنا عائدين من الصلاة عليها ودفنها وتعزية أهلها، فجرى الحديث عن الجنة وسألني ذلك الشاب عن سؤال أدركت جوابه الآن.

✍ وما هو؟

❍ سألني عن الزوجة وزوجها في الجنة، إذا أراد لقاءها وهي مشغولة بنعيم آخر.. أليس في هذا ما يعارض وعد الله (لهم فيها ما يشاءون) كيف يشاء لقاءها فلا يحصل عليه.؟

✍ هذه الأسئلة البريئة.. تنبثق عن تصور دنيوي لعالم الجنة الأخروي... كتساؤل الدمية التي تتحرك عن طريق الأسلاك، عن قدرة من يحركها على الحركة دون أسلاك.

❍ ماذا تعني؟

✍ هذا السؤال ناتج عن تصور الجنة على أنها نسخة من الدنيا ولكن أجمل، وهو تصور محدود، ففي الدنيا تضيع الأوقات الممتعة في النوم

وأوقات الفراغ المملة، أو أوقات الانتظار والحيرة والمرض، أو أوقـات الاضطهاد والقمع والشعور بالقهر والظلـم والانـسحاق والـسجن والتعذيب... وما إلى ذلك من أزمنة كئيبة تموت فيها المشيئة والإرادة، أما في الجنة فلا وجود لتلك المصطلحات، فلا فراغ في الجنة، ولا مكان سوى للفرح والمتعة والإبداع والسعادة، والبحث عن الجديد والمدهش، ولا يقطع السعادة سوى سعادة أخرى، ولا المتعة سوى متعة أخرى، ولا الإبداع سوى إبداع آخر..

❍ وفي شأن سؤال صاحبي بالتحديد..؟

✍ ذاك سؤال يفترض بين ثناياه أن الزوج أو الزوجة عندما يـشتاق أحدهما للآخر والآخر مشغول، أن المشتاق يعيش حالة حرمان وانقطاع وانتظار حتى يرى الآخر، أو يعيش حالة وقلق وخوف وتـوجس وردة فعل غاضبة أو شاكة.. ذاك ما يحدث في الدنيا، أما في الجنة.. فـالزوج والزوجة (في شغل فكهون) متلذذون.. يتفجر الشوق باتجـاه الـزوج والزوجة عند رؤية أحدهما للآخر، أو عند اتصال أحـدهما بـالآخر.. عندها لن يقطع ذلك الشوق قاطع، ولن يخمد ناره سوى لهب اللقـاء الذي يؤجج المشاعر ويلهبها، أما ما بين الموعد واللقاء.. ما بين النـداء والاستجابة.. ما بين النداء والوصول.. ما بين ذلك تتـدفق موجـات النعيم في كل شبر من الجنة.. تتدفق معزوفات الرخاء والبذخ والثـراء التي لا يمكن تصورها. أولم تستمع إلى قول محمد صلى الله عليه وسلم:

(موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها) فهل يجد أحدنا في الجنة فراغاً أو مللاً.

❍ انظر إلينا ونحن نتقلب في نعيم لا يعرف انقطاعا، ولا نعرف ملـلا أو اكتفاءً أو تعباً..

انطلقنا على دراجتينا نشق جسرا طويلا جداً ومستقيما من الألماس..

كان هذا الطريق عريضاً وشفافا يعوم على نهر طويل جداً، نستطيع رؤية قاعه الألماسي من صفاء الماء ونقائه، أما ما يزيد الإثارة والجمال في هذا المشهد، فهو ما كان على جانبي الجسر من مسافة فسيحة وعريضة من المياه، وعلى جانبي النهر البعيدين يصب شلالان مرتفعـان وعريـضان بشكل متواز، ويصبان بصورة عمودية هندسية مذهلة.. كـان عـرض الشلالين بطول النهر.. وكأن الشلالين يصاحباننا طوال الطريق... كان منظر الماء المنحدر فتنة، ومنظر الماء الفسيح تحت النهر أشد فتنة، وكان الجسر الألماسي الشفاف أكثر فتنة، وكان على جانبي الجسر مـساحات للتوقف.. كانت جزرا ألماسية للقفز في النهر والتمتـع بالـسباحة، أو تناول بعض المشروبات، أو ما شئت من متع..

توغل بنا الجسر عشرات الأميال لا نشعر بشيء غير الانتشاء بما يظللنا ويقلنا..

كنا على ذلك الجسر الطويل نريد الاكتفاء فلا نستطيع.. كان جـسرا سابحاً في النعيم، توقفنا طويلا في إحدى استراحاته الجميلة، كنا في جنة

من الماء، وبعد أن مكثنا مدة تأخذ بالمشاعر والعقول.. واصلنا مغامراتنا عبر ذلك الجسر، حيث بدأ الشلالان بالانفتاح، ليتسع الجسر وينقسم إلى عدة جسور مذهلة.. سلكنا أحدها فإذا هو يتحـول إلى رصـيف عريض تحفه المنتجعات والشاليهات والقصور.. رصيف عريض مرصـع بقطع من الجواهر غير منتظمة الشكل، قد صـبت سـبائك الـذهب الصقيل فيما بينها.

قصدنا إحدى معارض الملابس، وانتقينا لباسا أنيقاً، ثم واصلنا سيرنا على ذلك الرصيف المسرف بالجمال، بمحاذات البحيرة الصافية، ومن الجهة الأخرى تصاحبنا القصور والشاليهات والأندية المفتوحة على الأعشاب والميادين.. كانت متناثرة بشكل أخاذ..

أناس كثيرون يقصدون هذه البحيرة وهذا الرصيف المترف، أمـا نحـن فرحنا نتجول في تلك المباهج، بين الرصيف وبين تلك القصور المطلـة على تلك البحيرة، سكنا أحدها.. وكان ينافس في جماله وأثاثه ما مر بنا من أجنحة وقصور.. بقينا على ذلك الخليج الساحر أوقاتاً.. تـسحرنا مياهه العذبة وقيعانه الزمردية البالغة النقاء والنظافة..

وذات يوم كنت وصاحبي نسير بمحاذاة البحيرة بعيدا عن قصرنا، فقال لي صاحبي: انظر وراءك.

التفت فرأيت كرنفالا من الجمال والأهازيج والوجوه الـساحرة مـن الجنسين.. كان يبدو كعرس، فالمحتفلون يزفون العريسين من بين تلـك القصور باتجاه جسر يربط الرصيف بيخت مسرف بالبذخ.

كان العريس شاب ساحر الوجه والشعر والقـوام، محاصـراً بحبـهم وأغانيهم ونظراتهم.. حتى وهم يصعدون للسفينة، أبـوا إلا أن يحملـوه وسط تلك الشلالات الضوئية البالغة الإثارة، وبينما كان أميرهم يتقلب فوق أيديهم كالكوكب الدري.. اقتربنا من اليخت، فإذا هو لوحة فنية عملاقة تأخذ بالعقول والأبصار..

ألوانه ومقدمته التي تشبه حد السيف، وجوانبه ملساء كحـوت مـن الفضة هائل.

كان سطحه مفروشا بخشب الجنة المصقول ذي الألوان الأخاذة، يتخلله ممرات من السجاد الحريري بالغ النعومة، أما حافاته وجوانبه فتـشكل مقاعد وطاولات وشرفات جانبية مؤطرة بقضبان من الألماس، ومزينـة بالزهور التي تعطر المكان الذي يمر به..

وفي جانب منه طاولات عليها أوان راقية وقد نقش عليهـا اسـم ذاك العروس وحبيبته.. كانت أوان من الذهب والفضة والألماس، بالإضـافة إلى تلك المناديل الحريرية المنسوجة بدقة وذوق رفيعين، وقد تمت تهيئـة اليخت بعناية باذخة لهذا الاحتفال.. هذا ما استطعنا رؤيته، وما خفي مما تحتويه أدوار اليخت المتعددة أعظم.

ما لفت نظري هو تلك الأيدي التي ترفع المحتفى به.. كانوا يرفعونه إلى أعلى ويطلقون خلفه شلالات من الأنوار، بينما كان يسبح في سـحابة من الضحك والمرح،.. يرجوهم التوقف، فيصرون على المزيـد مـن

الاحتفال به، وبعد مقطوعة من المرح الصاخب توقفوا ليطالبوه بكلمة أو حتى قصيدة شعر.

صعد إلى مكان مرتفع من سطح اليخت فصفق الجميع وكبروا، أما هو فخفض رأسه وانحدرت دموعه وهو يرى ما حوله، وغاب عنهم في صمت لثوان.

أصروا على أن يقول شيئاً، فرفع رأسه وشكر الله من قبل ومن بعد، ثم احمرت عيناه وخفض رأسه مرة أخرى، وشكرهم على هذه الحفاوة، وعلى هذا الاحتفال الرائع، ثم قال: أتدرون ما أتمناه اليوم؟

أثناء ذلك الخطاب اقترب منا أحد الشباب وصاحبته التي ودعها لتلحق برفيقاتها في مركب سريع وجميل، اقترب منا وبادرنا بالسلام..

بادلناه التحية، ففاتتنا أمنية ذلك الشاب الباهر الجمال، فهمس صاحبي بالرجل قائلا: أهلا

☼ مرحباً

❍ هل العريس المحتفى به ملك أو زعيم أم ماذا؟

☼ كل أهل الجنة ملوك، أما إن كنت تقصد (علينا) فلسنا بحاجة في الجنة إلى أحد ليأمرنا أو ينهانا، بل إن كثيرا من ظلمتهم قد... قد تم قذفهم في الجانب الآخر.

❍ يبدو أني قد أغضبتك؟

ضحك الرجل وقال: لا.. لكن سؤالك غريب، ويبدو أنك جديد على أجواء الاحتفالات هنا.. هـذا.. الـ

✍ لا لست جديدا.. لكن الجنة تحمل الجديد في كل شبر وكل ثانية.

☼ لا أعرف من هذا المحتفى به، لكنني أعرف ما هو.

✍ وما هو؟

☼ إنه أحد الشهداء الذين قدموا أرواحهم في سبيل صاحب هذه الجنة.

❍ وهؤلاء الذين يحتفلون به أصدقاؤه؟

☼ لا، هم رجال ونساء من أهله وأقاربه أذن الله له بالشفاعة، فتوسط لهم عند ربه واختارهم لشفاعته، وقبلهم الله، وقد أصروا على أن يحتفلوا به قبل أن يغادر إلى عوالم الشهداء، وقد كانوا يحتفلون به منذ أيام بصخب أضفى على أجوائنا المزيد من البهجة على مباهجنا، وهم الآن سينطلقون به إلى إحدى تلك الجزر الساحرة.. تلك التي يلتقي فيها الأحباب والعشاق والمحتفلون.

❍ ترى أي فرح ينتظرهم في تلك الجزر؟

☼ هل مررتم بها؟

✍ مررنا بغيرها..

☼ إذا.. أطلق لخيالك العنان، وسيتعب عن إدراك ما في تلك الجزر من متعة وشاعرية.

✍ إنه يستحق.

☼ لو رأيت بعض الناس وهم يدخلون الجنة خلف الشهداء، كان الخجل يلفهم.

✍ ولم... أولم يكونوا سعداء؟

☼ كادوا يطيرون من الفرح، لكن بعضهم كان في الدنيا يحاول تثني شهيده وتثبيط عزيمته، وتذكيره بأمواله ومستقبله والتمتع بشبابه في الدنيا، بدلا من إهدارها في التعب والعرق والجهاد في سبيله، والدفاع عن أوطانه.

✍ يلومونه على إبرام صفقة مع الله.. يلومونه وهو يدافع عنهم وعن أرضهم ووطنهم ودينهم.. يا لرحمة الله، كيف أصبح العاذلون من أرباح تلك الصفقة؟!

☼ لا أحد بعد أن دخل الجنة وذاق ما ذاق يريد العودة للدنيا إلا هو وأمثاله، إنهم يريدون العودة مرات ومرات، ليقتلوا ويقتلوا في سبيله.. لما رأوه من النعيم.

❍ إذا فهذه هي الأمنية التي فاتنا سماعها. هل توضح أكثر؟

☼ سأوضح لك بهذا المثل: لو كنت في الدنيا سائق أجرة فقير، تطوف على سيارتك المتهالكة في ليلة مطيرة.. تبحث فيها عن راكب تحصل منه على مبلغ تشتري به عشاءك وعشاء أبنائك، وفجأة تجد شابا قد اصطدم بسيارته بشجرة وهو يشير لك بالتوقف، ولما توقفت انتهزت فرصة المطر واشترطت عليه أجرة مضاعفة، فوافق دون تردد، وعندما أوصلته إلى حيث يريد، رأيت والده ينتظركما داخل قصره الفخم بقلق، فأصر على أن تتناول عشاءك معهما، وبعد أن تذوقت طعاماً كنت تحلم به، وعرف الثري أحوالك قام بتوديعك، لكنه لم يعطك أجرتك، بل أعطاك مفتاحين.. مفتاح لسيارة فارهة في مقدمة القصر،

ومفتاح لمـ ل كبير لك ولأولادك بدلا من الشقة الضيقة التي تسكنها.. ما الشعور الذي تخرج به من ذلك القصر؟

❍ لا يوصف، وقد أصاب بنوبة جنون.

☼ ولو طب منك أن تمر عليه كل شهر لتوصله؟

❍ لا أمانع أن أفعل ذلك يومياً.. ومجانا.

☼ توصله مجانا مقابل سيارة ومـ ل؟ لقد أتعبت نفسكً!

ضحكت على دعابة الرجل.. فدفعني صاحبي بيده وقال: دعونـا مـن الدنيا وحدثونا عن هذا الشهيد الحي.

☼ له أكثر من سبعين صديقة.. كل صديقة في عالم وقصور وأسـلوب وذوق مختلف.

❍ سبعون.. هذا كثير؟

✍ إذا كان في الدنيا رجال عرفوا أكثر من هذا العدد من النساء، وهو لم يتجاوز الأربعين من عمره، فهل تستكثر السبعين على من سـيعيش مليارات المليارات من السنوات!؟

ابتلع صاحبي شفتيه ورفع حاجبيه، وسافر في تأمل صامت طويل نحـو هذه السفينة.

واصل العريس إلقاء كلمته.. وفجأة لوحت له فاتنته بوشاحها، فصدح لها بأصوات أهل الثغور العذبة وقال:

عبرت على حصان مثل حتف تلوح ديارك مثل النـ ـ ـواح

مررنا بالمـــرابع حيث كنت ... وقد قبضت يداي على سلاحي

رأيت خيامك كالحزن حولي ... محـــطمة تلوذ ا جـــراحي

أشـــم عبيرك في كل شبر ... وأسـمع صوتك عبر البـطاح

وأذكـــر أنك مطر جمـيل ... يسـيل كفتنة عند الصـباح

وأذكر أنك القـــمراء ليلا ... فكم بيتا كتبت على سـلاحي

وكم بيتا كتبت على الرمال ... وكم بيـــتاً بعثت مع الرياح

ويأخـذني لذكراك وجـوم ... وأخشى إن أطلت من افتضاحي

لقد أوجعت في جيش الغزاة ... وخالطت الغـــدو مع الرواح

يفرق صوت تكبيري جيوشا ... ويفتك بالعـلوج وبالرمـاح

فلقنت العـــدو بأن أرضي ... محـــرمة على كل النـــباح

فأرضي تحتهم جمر جحـــيم ... وليلي حالك وبلا صـــباح

ففيضي في ظلام الليل دمـعاً ... أطيلي في سجودك كالنـــواح

وقولي: يا إلهي كان عـــبداً ... تحرق نحو جـنات فســاح

أُحب لقاءه ويهـيم وجـداً ... ويطلب أن يضمده وشـــاحي

أجب يارب مطـلبه وكن بي ... رحيماً كي أبادله جــــراحي

صفق الجميع وصفقنا، و نهضت عروسه الفاتنة من كرسيها وهي تصفق، وألقت بوشاحها عليه وسط صياح الجميع، وانطلـق اليخـت وسـط صراخ المحتفلين، ووداع الملوحين له على الشاطيء.

ولما غاب عن نواظرنا توجهنا إلى الشاب الوسيم الذي عرفنا بنفسه من جديد، وكسبناه صديقا فدعانا بطريقة ملفتة قـائلا: أرجـو أن تقـبلا دعوتي، فلدي شيء ربما يمثل مفاجأة لكما.

❍ مفاجأة فوق ما نراه ونعيشه؟!

✍ يبدو أن حفلا جامحاً ينتظرنا.

مضنا وعبرنا الرصيف، ثم مشينا على تراب زعفراني منعش الرائحـة، تفصل بين ممراته والتوآته فواصل مـن اللؤلـؤ والألمـاس والأحجـار الكريمة.. مشينا نحو قصر صاحبنا المبني من الحجارة الكريمة الأرجوانية، وحالما فتحنا البوابة أشرقت مقدمته المبهرة..

دلفنا الباب فإذا قاعات الجلوس المترفة، والأثاث المنحوت الذي يكسو أرائك الحرير بتلك الألوان وسحرها... في إحدى زوايا قاعاته تحفة هي عبارة عن مشرب شاعري، وفي الزاوية المقابلة طاولة طعام جميلة، لهـا تلك الألوان الأربعة، ثم بوابة تقود إلى قاعات وقاعات، وأخيراً قاعـة ذات مقاعد بالغة الراحة والمرونة، أمامها أو على جانبيهـا طـاولات للشراب.. أعدت لمشاهدة الأفلام والمسرحيات والـبرامج، وأحـداث الجنة، وآخر ما فيها من عروض ومهرجانـات واحتفـالات، وحـتى الأحداث التاريخية المرتبطة بالدنيا وما فيها، وما شئت من معلومـات لا حصر لها..

وفي جهة منها بوابة أخرى تقود إلى عدد من الأجنحة الفخمة الفارهة.

اتجه مضيفنا إلى المشرب ليخدمنا بنفسه، ثم عرض ما عنده من مشروبات باردة وساخنة، فطلبنا منه أن يختار بنفسه، فقد كنا ننتظر مفاجأته التي وعدنا به..

تظاهرنا بالتأني وهو يتأملنا ويبتسم... بينما كان صاحبي يختلس نظرات نحو الباب منتظرا مفاجأة، ثم طلب مضيفنا أن نصحبه إلى قاعة العرض، فاتجهنا إليها وأخذ كل منا كل مقعده الوثير والأنيق، ثم وضع مشروبه اللذيذ على طاولاتنا، ثم أدار جهازا بكلمات عن بعد، لتظهر أمامنا مساحة كبيرة للعرض ونحن نهم بتذوق ما قدمه من مشروبات...

بدأت أحداث العرض بأصوات مفزعة ودون موسيقى تصويرية، ظهرت الصورة على سماء مخيفة، لم تكن زرقاء ولا بيضاء.. كانت حمراء.. كانت سقفا من السحب الحمراء.. فإذا بالصورة تتجه نحو بئر ضخم وعميق ومعتم.. كانت دائرة البئر بحجم مجموعة من الملاعب الضخم، أما جدرانه فكانت من الصخور السوداء الخشنة.. اتجهت الصورة بشكل مخيف إلى جدار البئر الدائري، فإذا بالكهوف الموحشة محفورة على تلك الجدران، وإذ بأنواع من الحيات والثعابين تتلمظ وتلتف حول تلك الجدران دون أن تغادرها..

كانت الكهوف مليئة بالحشرات المقززة واللزجة.. كنا نشم رائحتها المنتنة ونحن في القاعة، ونسمع فحيح الحياة المخيفة، أما الأكثر إخافة من ذلك، فصراخ رجال ونساء يطلون من تلك الكهوف، كانوا غاية في القبح والدمامة والنتانة، كانت أجسادهم طبقات من القذارة والاتساخ،

تعلوها فضلا م وإفرازا م المنتنة.. كانوا غاية في الرعب مما فوقهم ومما تحتهم، ثم اتجهت الصورة إلى قاع البئر، فإذا هـو حمـم تغلـي فيهـا الحجارة...

أخذنا هذه المشهد المفزع عما نحن فيه من نعيم، لتتسع أعيننـا.. شـد عقولنا وكل ذرة في مشاعرنا وحواسنا، فالمشهد من الوضـوح بحيـث ظنناه أمامنا.. كنا نشعر ول البئر وحرارته وأجوائه المخيفة.. كنا نشم ذلك العفن المنبعث من تلك الكهوف والحفر، ومن أفـواه وأجـساد ساكني فندق الرعب ذاك..

في الجنة، العرض كالحقيقة.. تنضم فيه الرائحة والحرارة والبرودة وكل الأبعاد.. مما أوشك معه الفزع أن يدخل إلى قلوبنـا لـدقائق، لكـن مفاجآت المشاهد كانت تأخذنا إلى حيث الإثارة المفزعة.

قلت وقال صديقي معي: توقف، فنحن لا نستطيع إكمال المـشاهدة.. هل دعوتنا لتنغص علينا ما نحن فيه من نعيم ذه المشاهد المفزعة.

☼ بل لأزيدكم سعادة.

✍ لو كنا في الدنيا لقلت أنك مجنون؟

☼ دعوني أريكم مشهدا آخر.

❍ ولا نصف مشهد.

☼ فقط هذا المشهد لتدركوا سر دعوتي لكم.

قامت الصورة بالاقتراب من إحدى الحفر، فازدادت قوة العفن واقترب القبح، فإذا عينان حمراوان تائهتان وجسد مغطى بالقـاذورات، كـان

يحاول الهرب مما حوله من مخلوقات مخيفة، لكنه كلما رأى الهاوية وما فيها من حمم أغمض عينيه والتف حول نفسه في حالة هستيرية، ثم أطلق صرخة دوت منها القاعة التي نجلس فيها.. ثم انتقلت الصورة إلى آخر أشد خوفا وقبحا ورعبا، ثم تحول المشهد إلى كهف ثالث وعرض ما يجري داخله من أهوال.

أغمضنا أعيننا، وأغلقنا أنوفنا، فأوقف مضيفنا عرضه، ثم التفت إلينا وسألنا: هل تعرفون من هؤلاء الثلاثة الذين يسكنون هذه الحفرة المرعبة؟

❍ قل أنت، فالعرض عرضك.

☼ هؤلاء، هم نحن الثلاثة.

❍ سامحك الله يا رجل، هل أنت في وعيك؟

☼ لم أكن في وعيي مثلما أنا في هذه اللحظة.. هؤلاء هم نحن لو كفرنا بالله و بهذه الجنة.. لو لم يرحمنا ربنا برحمته الواسعة.. هؤلاء هم نحن لو كنا في جهنم، وهو مشهد يعد خفيفا من معاناة أهلها...

❍ وهل هناك أشد من هذا العذاب؟

☼ أجل، وبشكل لا يمكن تصوره، لكن دعوني أعرض لكم أهون تلك المشاهد.. فقد تتحملوها.. أعدكم بأن لا يكون هناك من يحرق أو يضرب.

✍ نشكرك، لكن أعتقد أننا اكتفينا.

❍ وماذا يفعل به؟

☼ لا شيء، إنه رجل يحاول خلع نعليه.

❍ ألا يستطيع خلعها؟

☼ سترى...

بدأ العرض فرأينا رجلا يسير على حافة ذلك البئر المـوحش ويخـشى السقوط فيه، فهو يترنح يصرخ من شدة الألم، فقد أدخلت قـدماه في حذاءين مصنوعين من الجمر، وقدماه تحترقان دون أن تتفحما، وبـدلا من أن تتفحم قدماه، تسري الحرارة والألم مخترقة جـسده كالكهربـاء حتى يتوغل العذاب في رأسه، محدثاً حرارة يغلي منها دماغه، وكلما مد يديه لخلع ذلك الحذاء والتخلص منه، اكتوت يداه بحرارة لا تطيقهـا، فيتخلى عن الفكرة، ثم يعاودها.. وهكذا..

أصابنا وجوم طويل مما شاهدناه، وكأننا قد أكملنا عبوراً مخيفا فوق حبل ممدود فوق بركان يغلي.. كانت أجواء المشاهد تشعرنا بنعمة النجاة من تلك المعاناة الرهيبة..

نهضت من مقعدي وخررت ساجدا لله، شاكرا له على رحمته، وتجـاوزه عنا، رغم كثرة ذنوبنا، وقلة أعمالنا..

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه..

الحمد لله من الأزل إلى الأبد..

الحمد لله أكثر مما حمده كل عباده ومخلوقاته.

الحمد لله...

أحقاً نحن في النعيم..

أحقاً قد أجارنا الرحمن الرحيم من الجحيم...

سالت دموعنا شكرا لله على ما من به علينا من نعمة النجاة من تلـك الأهوال... سجدنا لله سجوداً طويلا، وبللنا مواضع السجود بـدموع الشكر والامتنان...

أشعرنا سجودنا بمعنى السعادة والنعيم الذي نعيشه..

☼ كم هو جحود هذا الإنسان الذي لا يعرف قيمة الماء حتى يعطش، ولا الأمن حتى يخاف، ولا الصحة حتى يفتك المرض بجسده ويعجزه عن الحركة، ولا السعادة حتى ينخر الشقاء في عظامه...

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الحمد لله الذي أجارنا من عذاب القبر

الحمد لله الذي أجارنا من عذاب النار

الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا من غير حول من ولا قوة

الحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

الحمد لله عدد كل شيء وملء كل شيء

الحمد لله عدد ما أحصى كتابه وملء ما أحصى كتابه

الحمد لله عدد كل شيء وملء كل شيء

الحمد لله عدد ما في السماوات والأرض

الحمد لله كما ينبغي لجلاله وعظمته

الحمد لله ......

أخذنا الشكر مسافات ومسافات من العرفان.. بعدها شعرنا أن شـيئا يفيقنا مما نحن فيه...

شيء يذكرنا بأ ا لحظات توقف وتذكر وشكر، وإضافة سعادة معنوية إلى سعادة حسية لا حدود لها، وأن هذه الجنـة لا تكـاليف فيهـا ولا عبادات ولا واجبات..

وكأنه يقول لنا: انصرفوا إلى نعيمكم، وما أنتم فيه من انطلاق وإبحار..

ضنا وكأننا خلقنا من جديد، لنعانق الجنة من جديد..

استأذنا مضيفنا بالانصراف، فاعترض بأن الوقت لا يزال مبكرا.. أصر بأن نشاركه المتعة فقد ولدنا من جديد، وعلينا البدء من جديد، وبعـد مدة استأذنا صاحبنا حتى نمنحه بعض الخصوصية.. رغم أنه كان شغوفا بصداقتنا ونحن أكثر شغفاً منه.

وافق بعد إلحاح، ثم استأذننا بمحادثة قصيرة..

رأينا بعد مكالمته تلك، طائرة فخمة من الفضة الخالصة تقتـرب مـن القصر، و بط بشكل عمودي في إحدى زواياه.. كانت قد هبطت من أجلنا.. لتأخذنا حيث شئنا في رحلة نحو مزيد من الضياع في الجنة.

حلقنا بتلك الطائرة المكشوفة السقف، دون أن نحتاج إلى أحزمة أو أقنعة أو نظارات.. كان نسيما خفيفا يلامس وجوهنا ويحلق بنـا.. كانـت الأرض من تحتنا سحرا نتبارى بالإشارة إلى ما فيها مـن دقـة وجمـال وروعة.. لم نركب الطائرة لقطع مسافة أكبر، أو لاختصار أزمنة مملـة،

فليس في الجنة مسافات مملة، أو فواصل تجلب التثـاؤب والنعـاس، أو تجعلنا نتململ على مقاعدنا من التذمر من التأخر، أو انتظار الصعود، أو الإذن بالهبوط، أو الإذن بالتحليق.. لم يكن في تلك الطائرة خوف مـن التحطم أو الاحتراق، أو عدم نزول العجلات أو نفاذ الوقود، أو تعطل المحركات أو احتراقها، أو الخطف والترويع والإرهاب.

كنا نحلق لنغير زاوية الرؤية، ونزيد من مساحات الأنس والبهجـة... لم نكن وحدنا في الأجواء.. كانت الطائرات بأشكال وتصاميم، وألـوان وأذواق جديدة تمارس جنونها وطربها في الفضاء.. هناك من يحلـق مـع حبيبته، وهناك من يحلق مع أصدقائه، وهناك من يصطحب والديـه أو أبناءه، وهناك من تحلق مع صاحبتها وصديقتها.. كانت سماء الجنـة لا تقل إثارة عن أرضها.

فوجئنا بمحطات وموانئ عائمة في الفضاء.. فوجئنا بمقاهي ومشارب في السماء.. فوجئنا بجزر سماوية تهتف بنا للتوقف فيها.. كانت بأحجام المدن وأكبر.. وكأنها أقمار أو نجوم ملونة وشاعرية ترغمك على التوقـف.. كلما قطعنا مسافة التقينا بمفاجأة، عندها أدركنا سـر تلـك الألـوان السماوية الجديدة.

كل يمارس ما يهوى في تلك الأماكن الطائرة.. هناك من يقرأ.. هناك من يكتب.. هناك من يرسم.. هناك من يمارس الرياضة.. هناك من يعـزف ويغني، وهناك من يتلذذ بأصناف الطعام والشراب والمشاهدة، وهنـاك

من يحتفل، وهناك من يعتزل، وهناك من يتأمل الفضاء والأرض بمنـاظير مقربة.. وهناك .. وهناك..

كان للسماء مذاق آخر وجنات أخرى..

قال صاحبي: أشعر بشيء؟ فقلت: بم تشعر؟

❍ لا أدري لكن دعنا نتوقف فوق إحدى هذه المدن الطائرة.

أخذتنا الطائرة نحو مدينة طائرة.. هبطنا عليها، وعندما سـرنا فوقهـا وجدناها شفافة لدرجة أننا نرى ما تحتها بوضوح، فوقها نسير وكأننـا نسير في الهواء، شاهدنا المناطيد والطائرات بط منها وعليهـا، بينمـا توجه أصحا ا إلى أطرافها حيـث تتنـاثر الإطـلالات والـشرفات، والاستراحات الفضائية ذات المشاهد المذهلة والأجواء الشاعرية

كان ماحولنا وما تحتنا يسحرنا، وما فوقنا يناشدنا..

اخترنا مكانا من أجمل شرفا ا، وجلسنا على تلك المقاعـد الفـضائية الجميلة، فأتانا الساقي الأنيق يعرض علينا خدماته.. فقال لـه صـاحبي ممازحا: الأستاذ رائد فضاء؟

ابتسم الساقي بلطف، فقلت له: اعذرنا، فقد كنا في الدنيا نصف مـن يصعد للفضاء بعلبة معدنية، ولا يخرج منها إلا داخل بدلة بشعة.. كنـا نسميه رائد الفضاء. فعقب صديقي قائلا: وكان رائد الفضاء إذا حلـق في الفضاء، لا يستطيع التخلص من الأرض رغم أنه قد غادرها..

✍ **إنه يأخذها معه.. يحمل هواءه وطعامه منها، كانت الأرض تـضعه أمانة داخل تلك البدلة البشعة التي تحوله إلى مخلوق سمين مخيف، وهـو مضطر إلى العودة إلى الأرض ليمارس حياته الطبيعية.**

❍ **يبدو يا صاحبي أننا نزعجك بأمور لا تهمك.. أليس كذلك؟**

🍸 **بالعكس فأنا أستمتع بقصص أهل الأرض وحكاياتهم، فهي مليئـة بالإثارة والمعانات والبؤس والطرافة والجمال.**

❍ **والطمع والجشع لدرجة أن عشر سكانها يتقلبون في خيراتها.**

🍸 **والبقية ؟**

❍ **عليهم انتظار ما يلقيه هؤلاء من فتات وبقايا.**

✍ **كانت الدنيا اختبارا للعشر.. هل يشكرون ويشاركون غيرهـم، وللبقية هل يصبرون ويكافحون ويبدعون.**

🍸 **أما هنا فلا عشر ولا كسور عشرية.. إنه النعيم والبذخ والثـراء للجميع دون حدود.**

تذكرت أثناء حديثنا "أدنى أهل الجنة منزلة" عندما تحدث عنـهم أحـد أصحاب النبي رضي الله عنهم فقال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا.. رجل يخرج من النار حبوا..

فيقول الله: اذهب فادخل الجنة. فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجـع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى!

فيقول: اذهب فادخل الجنة.

فيأتيها فيخيل إليه أ ا ملأى، فيرجع فيقول: يا ربي وجد ا ملأى!

فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها......

فيقول: أتسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك؟

فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة م لة"

🍸 لكنها عشرة أمثال من ناحية الأسماء، فليس في الدنيا مما في الجنـة إلا الأسماء.

❍ لا أحتاج إلى تذكير بذلك وأنا أرى جسدي ووجهي، وملابـسي ومراكبي وما حولي وما أنا فيه.

هز مضيفنا رأسه وهو يبتسم ثم قال: إنه نعيم يستحق قضاء الدنيا كـل الدنيا في الشكر..

كم كنا نشكر الناس كلما قابلناهم على معروف بـذلوه، أو خدمـة قدموها لنا، كم كنا نشكر أناسا على أ م أعطونا بعض حقوقنا التي لنا عليهم... ما أعظم عفو الله وكرمه إزاء جحودنا.

🍸 تمتعوا بكرم الله وجنته ونعيمه.. وتمتعوا بأجوائنا على هذه الجزيرة المحلقة في سماوات الجنة..

قال لي صاحبي :.. ماذا تطلب..؟

✍ عصير سحاب

❍ دمك أصبح خفيفا بعد ذلك الفلم المرعب.

ضحكت فدفعني من كتفي، فازددت ضحكا ولم أستطع التوقف حـتى كدت أسقط عن الكرسي، فقام صاحبي وهو ينادي مضيفنا ويقول له: ساعدني كي نرميه نحو الأرض..

تقطع ضحكي وأنا أصارع صاحبي، وقلت للرجـل: أي شـيء.. أي شيء... فانصرف وهو يبتسم..

واصلت عراكي معه حتى سقطنا من مقاعدنا، فقد كان الضحك يفقدنا توازننا جميعاً.

وبينما كنت أغالبه سكت صاحبي فجأة، وأفلتني وهو يـشعر بارتبـاك شديد، وكأنه طفل رأى شيئا مرعباً...

قال لي: أرجوك.. أرجوك.. أرجوك أن تجلس بسرعة.. أرجوك.

استلقيت على الأرض من الضحك، ولم أعر كلامه اهتماما فقد عجزت عن القيام، فالرجل يهذي.. ثم يسحب كرسيه ويرتب هندامـه وهـو يلتفت إلي، بينما عيناه متعلقتان بشيء مقبل من بعيد.. كـان يهـذي بكلمات لا أفهمها، ولا هو يعيها: اجلس.. إ ا.. يكفي مزاحاً.. توقف عن الضحك.

التفت نحو مرمى عينيه، لأرى القذيفة التي أصابت عقله.. كانت قذيفة من السحر تتهادى نحونا.. كان قوامها قصيدة، أما شـعرها وعيناهـا فديوان شعر.. ثيا ا الحريرية كانت أمسية شعرية..

تقلص فمي واتسعت عيناي، وشعرت أن صاحبي قد وقـع في ورطـة، فهممت بالانصراف حتى لا أتورط معه..

كنت بانصرافي أريد أن أتيح له فرصة للخروج مما هو فيه، والدخول فيما يغمره.. كان مرتبكاً وهو يرى مشاعره تهفو إليه من بعيد، لكنه أمسك بيدي وهو يقول: أرجوك لا تذهب.. لا أدري ما أقول....

✍ ولا أنا .. لا تورطني فأنا لم أفعل شيئا؟!

❍ أرجوك ابق معي.. ساعدني.. ادفعني نحو الأمام...

✍ وهل أنت سيارة غارقة في الرمال؟!!!

❍ أرجوك.

أردت أن أخفف بعض معاناته ببعض الدعابة، فقلت له: دعني لا أم لك.

لكنه لم يأبه بما قلته، فقد تمكنت القذيفة من قلبه.. كان لحن أقدامها يقترب منا، فعدت لمقعدي، أما هو فتسمر قائماً، ونظر إليها، ولم يتخلص من ذلك التسمر إلا على نغمة كالمطر تقول بكل أدب: مرحباً.

✍ مر.. حبتان.

❍ ثلاث.. مر.. حبات.

ابتسمت وعيناها تتعلق بصاحبي الذي بدأ يتصبب عرقا من العطر.. فقالت: أأنت فلان؟

أشفقت على صاحبي وهو يجيبها بلوعة لم أرها في عينيه من قبل.. كان وكانت يتنافسان في الحسن، ويتناغمان في المشاعر، لكن صاحبي يشعر ولا يعرف، أما هي فتشعر وتعرف أيضاً.

❍ أجل أنا هو.. فمن تكون سيدتي؟

❀ أنا.. أنا سيدتك..؟! بل أنت سيدي وقرة عيني.

❍ لكنني لا أعرفك، ولم أشاهدك من قبل!!

❀ أما أنا فأعرفك وأهيم بك دون أن تشعر بي أو تعرفني.

❀ سامحيني.. ذكريني.

❍ لن تتذكر شيئا.. أنا من يحمل الذكريات والمعاناة.. أنا وحدي فقط..

❍ لا بأس ولكن ربما تذكرت شيئا.

❀ أشك في ذلك، بل أجزم به.. في الدنيا.. في عالمنا المنصرم كنت تملك قلبي ومشاعري.. كنت تظلني وتقلني وتبحر بي.. كنت حلمي وأملي، وها أنا أفيق على أروع من الحلم.

❍ ما أقساك وأبخلك على قلبي.. تتحلين بهذا الجمال، وتحملين كل هذه المشاعر، ثم تشحين بكلمة على من تحبين، لا بد أنك التقيت بشاب لا تستطيعين الالتفات عن محاسنه.. ملك قلبك وأشغلك عني، وأنت لا ترينه في الجنة، فبحثت عني.

❀ أنت واهم.

❍ ما السر في عدم بثك كل هذه المشاعر لي.. ؟

❀ أنت تصر!

❍ فوق ما تتصورين.

❀ لم تكن لتقبل بي.

❍ يا إلهي ومن المجنون الذي لا يقبلك، لو رأيتك في الدنيا لرضيت أن أكون خادمك.. لو رآك ملوك الأرض لتنازلوا عن عروشهم من أجل زنزانة في قلبك.. أنت تستحقين حملة انتخابية للفوز بمقعد في فؤادك.. كل هذا الجمال الفتان، لو تدلى كفك لفتنت رجال الأرض ببرهم وفاجرهم ولا أقبل بك..؟! سيدتي أي كلمات جارحة تطلقينها في جنات لا تعرف الجراح..؟

❀ لكنني لم أكن بهذه الفتنة في الدنيا، وما كان الشباب ليقبلوا بمثلي إلا من أجل علاقة محرمة وعابرة، وأنا أرفضها ولو كنت أنت طرفا فيها.. كان خوفي من الله هو الذي أبعدني منك، ورحمته هي التي جمعتنا فوق هذه المدينة المرفرفة في النعيم.

❍ لا يمكن أن أتخيل أنك غير هذا السحر الذي أمامي.

❀ لا.. بل تخيل، فما كانت الدنيا سوى ساعات اختبار، وها نحن، برحمة الله، نبتهج بنتائجها.. كانت أشكالنا وألواننا وجمالنا أو دمامتنا أوراق اختبار.. نملأها بالرضى فنرضي الله، أو نسخط ونتبرم من قضائه أو أحكامه، ونرفضها فنكون في الجانب الآخر.

❍ عزيزتي ليس أجمل من عباراتك إلا جمالك وعذوبتك.. إنني أطلب من الله أن تكون مشاعرك في الدنيا ما زالت كما تجاهي.

❀ اعذرني.. ليست كما كانت.

❍ هل من سبيل إلى استعادتها؟

❀ لم أفقدها ولم تعد كما كانت..

❍ كفى.. لا تلعبي بقلبي... أرجوك.

❀ إ ا تتعاظم كل ساعة.. حبك قد ملك شغاف قلبي، ولا يـشغلني عنك سوى ما يمر بي من النعيم، فهل تقبل بي.؟

أصبح صديقي مذهولا من هول المفاجأة.. فغر فاه والتفت من الذهول يمنة ويسرة، فوقعت عيناه علي، وكأنما وقعت عيناه على شخص ثقيل، فقال لي: ألا ترى في هذه الجنة غير هذا الكرسي الذي تجلس عليه...؟!

لم أستطع منع نفسي من الضحك على غضبته، فقلت له: آسف، لكنك أنت من طلب مني البقاء.

❍ كنت غبياً.. وأنت أغبى حين صدقتني.

✍ وهل نزل عليك الذكاء فجأة؟

قمت وأنا أعاني من نوبة من الضحك، وأحببت أن أغيظـه فأخـذت الكرسي وحملته معي.

أما هو فقدم لها مقعده، ثم لحق بي مسرعا فـ ع مني الكرسي ودفعـني حتى سقطت، فانفجرت من الضحك على هذا العاشق ا نون..

عاد إليها وكلمها.. كلمها طويلا حتى ألقت بوجهها الساحر بين كفيها، لتنهمر شلالات الدموع والمشاعر..

ومضت ساعات فإذا ما ينفجران بالضحك ويقومان بالمشي والت ه في أرجاء المكان.. يقفان عند مشرب، ويتناولان المـشروبات والمثلجـات والحكايات التي أنستهما من حولهما، مع إشارة باليد يتلطف ا صاحبي نحوي بين فترة وأخرى، وكأنه يقول لي: انتهيت منك.

أمضى الاثنان وقتاً طويلا، لكنني لم أشعر به، ولم أكن لأستعجلهما فما فوقي وما حولي، وما تحتي من المشاهد والأحداث في هذه السماء يكفي من يعيش فيه إلى الأبد..

بعدها عاد صديقي مع حبيبته، بعد أن تحولت إلى زوجة له على طريقة الجنة، التي لا تحتاج إلى إجراءات الدنيا من شهود وإذن ولي، أو ورقة تكفل حقوق وواجبات كل منهما تجاه الآخر..

كان صاحبي وصاحبته في حالة من الوجد وكأنما قد أمضيا الدنيا بحثاً عن بعضهما، كانت تعتذر منه بشدة فهي مرتبطة بموعد حاشد، وتدعوه لينضم إليه، لكنني أشرت له بالبقاء، فأمامنا الكثير.. الكثير مما لم نره فاعتذر مهددا بنظراته.

بعدها ودعته بطريقة تقطر شوقاً وفرحاً:

الحمد لله أنني قد عثرت عليك.. يالجنة ربي ما أروعها.. وما أروع الحب فيها.. لو أمضيت دنياي في سجدة شكر لما عادلت ما أنا فيه الآن ...

ثم التفتت نحوي قائلة: سررت بالتعرف إليك دون أن تعرفني، أو حتى تسألني عن اسمي. فقلت لها مازحا: سررت بتعرف صاحبي عليك، هل حددتما موعدا لاحتفالات الزفاف..؟

خفضت رأسها حياءً، فأخذ صاحبي يدها بكلتا يديه وسحبها بعيدا.

أما هي فأسكرته بكلمات لم يسمع أصدق منها ولا أعذب منها:

إلى اللقاء أيها الوعد الذي أرغمني على الصبر..

إلى اللقاء أيها الحب الذي أشتاقه وهو أمامي..

إلى اللقاء ....

انصرفت وانصرف قلب صاحبي معها، وبعد أن غابت عن عينيه هـوى على الكرسي وهو يقول: يا الله هل أستحق كل هذا الفتنة والكلمات؟

✍ ألم تسمعها وهي تتحدث عن نفسها؟

❍ أكاد لا أصدقها.. شككت أ ا فتاة لعوب تعبث بقلبي.

✍ أتتذكر ما قلته لك، عندما قابلنا آلاف الفتيـات الـساحرات في السوق وعلى تلك الشواطئ والجزر، ألم تـستغرب أدبـك معهـن، وانضباط سلوكك تجاههن، واكتفاءك بالإعجاب وإبداء الدهشة مـن روعة الجمال، وإبداع الخالق سبحانه، وكأنك تشاهد طبيعة ساحرة، أو لوحة غاية في الروعة.. كنت أدرك أن قلبـك سـيهوي يومـاً أمـام معشوقته، وأنه سينهار حالما تراها عيناك، أو تسمعها أذناك.

❍ حقاً إنه شعور جارف لم يسبق لي أن شعرت به من قبـل، كـأن زلزالا يهدمك ويبنيك من جديد، هل حقاً كانت مأخوذة بي؟

✍ وهل أنت كما كنت عليه في الدنيا..؟ وحتى لو كنـت وسـيماً، فوسامتك في الدنيا قبح مقارنة بجمالك اليوم.. تلك الفتاة عرفت أقرب الطرق إليك.. الطريق إلى الله.. عرفت ضعفها وقلة حيلتـها، فرمـت بحاجتها عند باب الكريم الذي لا يرد سائلاً.

❍ صدقت فقد تلت علي أبيات حكت معانا ا في الدنيا.

✍ هل لك أن تقولها..؟

❍ بكل سرور.. كيف لا وأنا المعني ا.. كانت تقول:

كأن الذي بيننا لا يشـــيب   ونحن على الشيب كم ننـطوي
كأن الذي بيننا لا يمـــوت   ولا يسـتكين ولا يرعـوي
كأن الذي بيننا أ ـــــر   وأودية دون أن نرتـــوي
تعبت من الركض خلف السراب   وخلف القصيد وخلف الروي
فقلت لحظي التعـيس: بـنا   نلوذ بباب الكـريم القـوي

✍ والكريم لم يخيب لها ظنا، ولم يرد لها طلباً، فهاهي تفـوز بفـارس أحلامها الوسيم.

❍ شكراً

✍ لا تشكرني.. أشكر الله، ألم تر وجهك في تلك الحفر المرعبة.

❍ لا.. نظرت إلى وسامتك بجانبي.

وحالا بدأنا عراكا جديداً، وإذ بالسافي ومعه آخرون يحضرون لنا مائدة شهية الرائحة والطعم، فقلت لصاحبي: لقد عادت.

فنهض مفزوعا حتى كاد يلقي ما يحمله النادل.

بدأ مضيفنا يسكب لنا مشروبا خاصاً ـذه الجنة الطائرة، فقال صـاحبي وهو يرتشف من كأسه: أود لو ألحق ا.

✍ أين اتفاقنا من قبل؟

❍ ألم يخالجك هذ الشعور؟

✍ بلى لكنني التزمت بالاتفاق.

❍ أخشى أن تتعلق بغيري فالجنة ملأى بالفتنة رجالا ونساءً.

✍ لا أحتاج لتذكيرك بما قلته سابقاً.. لا تخش عليها من الضياع فقد وجدك قلبها، وقد التقت بغيرك من قبل فلم لم تحسم أمرها معهم.

❍ يبدو أنك محق.

✍ تناول طعامك، وانتق من هنا محطتنا التالية، فعشاق الجنة تقـودهم قلوبهم.

انتهينا من طعامنا وبدأنا فصلا من التأمل في الأرض الساحرة والـسماء الآسرة.. لم نكن نريد مغادرة المكان حتى مرت أميرته بمركبتها الطـائرة ملوحة له، فأخذت قلبه وأصر على أن نحلق خلفها..

امتثلت لهذا الحب الذي لا يستطيع مقاومته، ولا أستطيع الحيلولة دونه ودونها، كنا نرفرف فوق قصور وأنهار، ومغان وملاعب وحدائق ومبان، ومنتديات ومهرجانات وحفلات، وحركة تضج بالحياة.. كنا نرفـرف فوق عوالم من الفرح، الذي لا يعرف النهايات...

رأفت لحال صاحبي، فطلبت منه أن نتوقف ليلحق بها، فتوقفنا في ساحة دائرية هائلة بلاطها اللؤلؤ والمرجان والياقوت، تلمع علـى أطرافهـا المراكب والسيارات الفخمة والرياضية الجميلة، ركب صاحبي وصاحبته في إحداها وانطلقا، بعد أن اتعدت وإياه بعد أيام..

أما أنا فأخذتني الجنة من جديد.. وملأت روحي من جديد..

سرت وسرت لا أريد التوقف.. مع أنني إذا توقف صـرت لا أريـد المسير.. كل شيء في هذه الجنة يريد احتضانك، والتعـبير عـن حبـه

وشوقه إليك.. بدءا من حبيبات اللؤلؤ.. وانتهاءً برسول الله صـلى الله عليه وسلم.. آه كم أشتاق إليه.

لا تدري هل أنت الذي تقبل على أشيائها، أم أشياؤها هي التي ـش للقائك..

يالها من صحبة، ويالها من جنة.

تذكرت ذلك الملل الذي يعتريني في الدنيا فيضيقها ويقتل جمالها..

تذكرت ضيق الصدر الذي يهجم فجأة فتعاف معه كل شيء..

تذكرت ذلك التعب والإرهاق، الذي يتسلل خفيفا ثم يثقل شيئا فشيئا حتى يعجزنا عن الحركة، ثم يكمل النوم بقية المهمة.. ذلك النوم الـذي يحرمنا وجوده المتعة واللذة والزمن..

أين تلك الأشياء..؟!

اختفى النوم في الجنة فهو (أخو الموت وأهل الجنة لا يموتون).

تذكرت شوارع الدنيا التي طالما امتلأت بحـوادث الـسير، والـسرقة والتسول التلوث والزحام، وأحيانا بمستنقعات المياه والنفايات المزعجة، بل وأحيانا تدور فيها معارك بالمسدسات والسكاكين وأحيانا الدبابات.. في بعض شوارع أرقى البلدان في الدنيا وأكثرها تحضرا.. قـد تفقـد روحك ومعها الدنيا بأسرها، من أجل محفظة نقودك التي قـد تكـون خاوية..

في بعض شوارع الدنيا قد تفقد روحك، ومعها الدنيا بكامل زينتها عندما تعبر الطريق دون أن تنتبه لسيارة مسرعة..

الدنيا بأسرها.. بزينتها وأموالها ومناصبها وأيامها ولياليها.. تفقدها بلمحة بصر.. برصاصة طائشة أو موجهة.. بطعنة سكين.. بغصة لقمة.. بانفجار شريان.. بتوقف قلب.. بوشاية حاقد..

أحيانا تخسر الدنيا بغيبوبة أو جنون حتى الموت، بينما ينبض جسدك بالحراك.. كل هذه الأفكار مرت أمام عيني وأنا أتجول في بعض شوارع الجنة..

شوارعها وميادينها التي خلت من المتسولين والمحتاجين، فالكل أثرياء، والكل أمراء، والكل ملوك، والكل عشاق، والكل ودود، والكل يثقف نفسه بحضارة كان يحلم بأعتا ا.

خلت شوارع الجنة من المتزلفين والوصوليين الذين أفسدوا البلاد والعباد، وداسوا على غيرهم من أجل أنفسهم، فلا نفاق ولا وصول على حساب الآخرين، ولا ثراء على حساب الضعفاء والمساكين والمغفلين.

شوارع مليئة بالحب.. مزدحمة بالمشاعر والأسماء الجميلة، والألوان الفاتنة، واللافتات الترحيبية.

شوارع يزداد جمالها بالوسيمين والجميلات والملائكة.. تختلط م.. تبادلهم التحيات وتتعرف عليهم، وعلى جنبا ا تجد البارات والمقاهي والمعارض والأسواق والمطاعم والمسارح والمكتبات وما تشتهيه وتتمناه.

عبر شوارع الجنة تحلق عيناك وروحك كجناحين يسافران بك، وعبر تلك الشوارع المبهجة ركبت مركبة فاخرة لا تصدر ضجيجا أو تلوثاً، ولا تحتاج إلى عناء في قيادتها، تأخذك إن أردت بطريقة آلية سلسة، وكأن خرائط الجنة مبرمجة داخلها..

مدن ملايينية زاهية خلت من الشرطة فلا قمع ولا انقلابات، ولا صراع على السلطات، ولا حدود ولا معابر مليئة بالحرس، ولا جوازات سفر أو تأشيرات دخول وخروج، ولا تفتيش للملابس، أو تدقيق في هويات تحاصرك داخل حفنة من التراب، أو تمنعك من الدخول في أراضيها، ولا كلاب تفتيش تتوق إلى نهش لحمك.

كنت أنطلق نحو موعد صاحبي الذي ترك لي رسالة يحدد لي فيها نقطة التقاءنا.. كان الوقت مبكرا جدا.. الوقت في الجنة مبكر دائما.. دائماً لا يعرف الفوات ولا الحسرة ولا الندامة.. ألتقي بصديق هنا وجار هناك، وعالم في مكان ثالث ومفكر في مكان رابع، أشرب مع هذا قهوة، ومع الآخر كأسا.. وأتناول وجبة شهية مع ثالث، وأحلق مع هذا وأبحر مع ذاك..

شاهدت عالما جليلا طالما تعلقت به دون أن أكحل عيني بمرآه، ولما رأيته.. رأيت شاباً في غاية الوسامة والفتنة.. يرتاد مكتبة لإكمال مشاريع وافاه الأجل قبل إكمالها.. صافحته، فلم أكتف، فعانقته عناقا طويلا وطبعت قبلة على جبينه الساحر..

أخذنا في الحديث عنه، وعن حبي له وعن مشاريعه، وعن الجنة وما فيها من نعيم..

قلت له: هل ستكمل مشاريعك في الجنة..

فضحك، فتلألأ وجهه كالقمر، ثم قال: أتلومني على إكمال مشاريعي العلمية، ولا تلوم ذلك المزارع على إكمال زراعته...

عذرته فالجنة مكان أرحب لإبداعات لا تتوقف. ثم استأذنته بمشاعر كتبتها عنه، فرحب بمشاعري فقلت له:

تنصب شيخنا من الجبال
كجدول من السماء
كفارس من نور
يشق ظلمة العماء
يعود هامة من النقاء
يعود من جديد
يفيض بالجديد
يعود مردفا حبيبتي
كالشمس لي تعود
كالشمس لي وأحرفي
وموجتي التي لا تعرف الحدود
ووجهتي التي أضعتها
مع شيخنا تعود

أخذت مع الشيخ الشاب في حديث طويل وشيق ومفيد، واتعدت معه على لقاء في مكان آخر.. أثناء ذلك حضر أحد أمناء المكتبة، وأحـضر معه كل ما يهمه من المكتبة في شريحة صغيرة..

عندها استأذنت حتى ينصرف هذا الأستاذ العظيم لما جاء من أجلـه.. ودعته بعناق حار ومواعيد أجمل.. ثم انصرفت للسياحة في جديد الجنة من جديد..

قطعت مساحات من الجمال الأخاذ الذي يسحرك عما سواه..

أخذني يخت فاتن في سياحة عبر المياه، وبمحـاذاة القـصور والمنـاظر الخلابة..

تركته يتهادى على الماء، واسترخيت على كرسـي وثـير علـى في مقدمته.. أتأمل ما حولي وأحتضن أجواءه..

كنت أحدث نفسي عن هذه اللحظات التي كنت أحلم بامتلاكهـا في الدنيا، ويتمنى الملوك أيضا الظفر ا.. أجواء من الأمن والحرية والسلام والجمال.. كلما حولك يحتفي بك.. لا يوجد من يكرهك أو تكرهه أو يضمر لك شرا أو يتمناه لك... الكل يحبك حتى الجمادات.. لحظـات يمكنك أن تعيشها وتشعر ا، لكن من المستحيل أن تصفها.. أثناءهـا يهفو الشعر وتنثال المشاعر..

وبعد انسياب طويل.. طويل عبر البحيرات والأ ار، والأحياء الراقيـة والمبهرة.. رأيت جموعا حاشدة تتهادى ذهاباً وإيابا على رصيف عريض

من الجواهر.. عريض كالترف، وطويل جداً كالأمــل.. فاشــتقت إلى الاختلاط بهم، والأنس بهم، والتحدث إليهم.. كان منظــرهم يــشرح الصدر وهم يتمشون على ضفاف البحيرات والأنهار والميادين، ويطلون من نوافذ القصور وشرفاتها..

توقفت وغيرت ملابسي، ثم أخذت بمغادرة اليخت وفي نيتي أن أتمــشى طويلا.. طويلا..

ليس من أجل المحافظة على نظام رياضي، أو خوفا من سمنة أو مرض، أو استجابة لنصيحة طبيب، فهذه الأشياء أصبحت من الماضي.. السير في الجنة له متعة الركوب والإبحار والطيران، أما الصحة والجمال، والنشاط والحيوية فتتجدد كل ثانية، كما يتجدد الهواء في الرئتين في الدنيا.

أخذت في السير على رصيف عريض جداً من الأحجار الكريمة الكبيرة الملونة، تتصل فيما بينها بخطوط مصبوبة من الذهب، وكلمــا قطعــت مسافة تغير لون تلك الأحجار، وعلى جانب الرصيف تبتعد المبــاني.. مانحة ذلك الرصيف مزيدا من الاتساع، ليتشكل بعد كل مسافة ميدان كبير للجلوس والتأمل والاجتماع، ثم يعود عرض الرصيف كما كان.. وتلتف حول كل ميدان نصف دائرة من المقاهي والمشارب بمقاعــدها الزاهية، ليتمتع من يريد الجلوس عليها بمواجهة النهر.

وقفت بعد أن تجاوزت المئات من تلك الميادين والاستراحات والألوان.. مشيت طويلا.. طويلا..

مشيت لساعات لا تنقضي فيها العجائب، ولا ينتهي فيها الجمـال ولا المفاجآت.. بعدها أحسست بحاجة لتناول مشروب ما..

اخترت مقعدا مريحا باتجاه النهر، كان المكان ينبض بالأهل والأصـدقاء والعشاق والأفراد... لاحظت بالقرب مني فتاة تتأمل النهر وكأ ا تسبح فيه، والنسيم الخفيف يراقص شعرها الطويل الداكن، والذي يتدلى حتى خصرها النحيل.. كانت تضع خمارا حريريا خفيفا يعطر المكـان علـى رأسها..

كانت غارقة في التأمل لدرجة كدت أظن أ ا لا تستطيع الالتفـات.. ظننتها تمثالا في منتهى الدقة والجمال..

كدت أتجرأ فألمسها لأتحقق من ظني، لكنني آثرت الـسلامة فاتجهـت لمقعدي..

رحت أتأمل المكان وسحره، وبعد أن وضعوا لي القهـوة وملحقا ـا اللذيذة على الطاولة.. ارتشفت منها رشفة وجدت طعمها يجول داخل رأسي وعيني المغمضتين.

لم أستطع منع نفسي من اكتشاف سر هذه الفتنـة الـشغوفة بالإبحـار والتأمل، فحملت قهوتي و ضت واقتربت منها، ولما أحـست بقـربي التفتت ورفعت رأسها، بعد أن تسللت أناملها بين خـصلات شـعرها الحريري، الذي يغطي جانب وجهها لتسدله خلف ظهرها، بينما كـان ذلك الحرير الأسود لا يكف عن اللمعان والغناء.

سلمت فردت التحية بأحسن منها، فقلت لها: منظـر سـاحر ألـيس كذلك؟

✰ وهل لك رأي آخر؟

✍ كل يوم أبحث عن مصطلحات جديدة فد تفي بمشاعري تجاه مـا أراه.

✰ وهل تجد كلمات تتماهى مع ما تراه.

✍ الكلمات لا تكف عن الولادة، والمشاعر لا ابب الجموح.

✰ وما أشد ما تراه فتنة هنا؟

✍ حتى في الجنة لا تكف النساء عن الحصول على كل شيء.. الجمال والإطراء!

ابتسمت ودعتني للجلوس، فشكرا وأصررت على أن تتـذوق هـذه النكهة الرائعة، فوافقت، فطلبت لها كوبا آخر.

وبعد أن جلست قلت لها: لم تعلقي على ما قلت؟

فقالت: لم أكن أبحث عن الإطراء.

✍ نسيت (الكيد) حلي المرأة المميز.

ابتسمت فزاد بريق النهر بتلك الموسيقى العذبة.

عرفتها بنفسي، فعرفتني بنفسها بطريقة تفصح عن عمق ذلك التأمـل الطويل.. التي كانت غارقة فيه.. تحدثت عن نفسها فتفجرت شلالات المشاعر وهي تحدق في البعيد وتقول:

أنا من كادت أن تتأخر عن رحلتها فتفقد كل شيء..

هذا الجمال الذي لم يتوقف الإطراء حوله منذ أن وطئت قدماي الجنة كدت أحرم منه.. كاد يتحول إلى مزع من اللحم والقبح..

هذا العطر الذي يتضوع من شعري وجسدي.. كاد يكون عفنا لا يطاق الاقتراب منه..

هذا القوام الذي لا يقاوم سحره.. كاد يكون تقوسا وترنحاً وشمطاً..

أدركتني رحمة الله حين فتحت قلبي وعقلي، بعد أن كنت أحاول تجاهل الجنة، وأمارس السخرية ا، ومن يحلمون ا وتأخذهم مطاياهم إليها..

كنت أصفهم بالظلاميين والظلاميات..

كنت أرى الطهارة عقداً نفسية..

كنت أرى الحجاب تعبيراً عن شعور بقبح لا بد من ستره..

كنت أرى العبادات نوعا من التكاليف والأشغال الشاقة المؤبدة..

كنت أكره هذا الدين، فلا أظهر كرهي له خشية ردات الفعل، فأرتد إلى كره من يحملونه ويبشرون به..

كنت أدعي تقديم رؤية جديدة للدين، ولكني في الحقيقة كنت أقدم رؤية تقصي الدين عن الحياة..

كنت ألتمس الأعذار لكل من يهاجم الإسلام.. حتى ولو كان بدافع من دين آخر، بينما أضيق برأي من يحملون هذا الدين حتى ولو كان صوابه واضحا كالشمس..

كنت أضع الأديان كلها في زنزانة واحدة، لكنني لا أجلد وأشتم منها سوى الإسلام...

كنت.. وكنت..

سكتت طويلا وأنا أتمنى أن تكمل.. لكنها خفضت رأسـها فتـداعى شعرها لتنبعث منه العطور كلما اهتز وارتعش.. تداعى شعرها ليـستر مشاعرها ودموعها.. ثم زفرت بمناجاة تذيب القلب.. وبصوت متهدج بالعبرات:

إلهي ما أحلمك.. إلهي ما أحلمك.. إلهي ما أرحمك وأكرمك..

والله إن ما صدر مني من إساءة لربي ولنبيي ولديني، ليستحق أن أكـون خارج هذا العالم.. ليستحق أن أشقى بقبح ودمامة وعفن لا ينتهي..

إلهي ما أرحمك.. ليتني أعود للدنيا لأصرخ في وجوه أصحابي وأوقظهم.

✍ إذا فقد كنت من الشلة إياها؟

✰ أجل أنا كنت من مدعي التقدم الذين لم يبروا للأمة قلماً.. كنـت من مدعي الديموقراطية، الذين لم يبنوا سوى السجون والمعتقلات..

كنت من ملحدي الحداثة الذين لا يعرفون سوى حداثـة الألبومـات والأزياء والمراقص والمشروبات..

كنت من زاعمي الحرية، الذين يرفضون الآخر ويرمونه بالظلامية، مـع أنني لم أوقد شمعة واحدة..

كنت من أدعياء العلم الذين لم يثبتوا خطأ واحداً في القرآن والسنة..

كنت ممن يدعون فتح الآفاق، مع أننا لا نرى أفقا أبعد غرائزنا..

✍ لا أود مقاطعتك، لكن ما الذي أبقاك داخل هذه العقلية الخشبية الجامدة، والأحكام الجاهزة؟

✰ كنت قد حشرت أصابعي في أذنيّ، وأغمضت عيني عن كل مشهد وحقيقة لا تروق لي.. في الحقيقة كنت أخشى من الاقتناع..

✍ ولم يخيفك الاقتناع؟

✰ كنت أتصور أن حياتي ستتحول إلى عباءة سوداء تتأرجح فوق سجادة.. كنت أتصور أنني سأفقد صداقاتي وعلاقاتي الجميلة، وسأفقد متعي الحسية كلها لأبقى في حالة صيام مؤبد.. كنت أرى أن المتدينات يعشن في كهوف من الحرمان والتخلف، وهو أمر لا أطيقه..

✍ وما الذي أيقظك؟

✰ مثلي يصعب استيقاظه مادام غارقاً في طيشه.. لا بد من صدمة توقظه... امتدت رحمة الله فانتزعت مني كل ملذاتي.. أصبت بمرض نقص المناعة نتيجة علاقة محرمة طائشة مع فتى وسيم أكثر طيشاً.. تسلل نحو جسدي بداعي الإعجاب، فكانت النتيجة أني فقدت كل شيء.

✍ إذا فهو المرض؟

✰ لا.. أبداً.. المرض كان كشفاً لأقنعة كثيرة كنت أتعامل معها.. أقنعة تخفي قبحاً كنت أعانقه ببلاهة.. صديقات وصداقات فرت من حولي.. انهار المسرح فوق رأسي، وهرب الممثلون من حولي.. اكتشفت بعد ضياع الوقت أن أسئلتي الحقيقية كانت مختبئة في جيب طالما تجاهلت مكانه..

اكتشفت أن تلك الشلة لا تملك سوى التشبث بحياة.. أي حياة.. كنت

أريد أن أعيش فقط:

أريد أن أعيش
أريد أن أعيش
بأي صورة أريد أن أعيش
مقيدا .. مكبلا .. مسلسلا
أريد أن أعيش
بين البهائم التي تسوقها الوحوش
تحت الحذاء
أم في الجحور
أريد أن أعيش
بأي شكل.. لا يهمني
أريد أن أعيش
أنا بألف مبدأ أعيش
بألف وجه
بألف جلد وألف لون
بالفرو أكتسي وأكتسي بالريش
ودون ريش
أنا مواطن في السلم
أنا مناضل

وعندما أرى العدو
أنا عميل
أنا مخرب
أنا مصمم الدمار والنعوش
فما يهمني
هو البقاء
هو البقاء بالتأكيد
وحفنة من القروش

✍ **اكتشفت شلتك، فأين عثرتي على عنوان هذه الإطلالة التي تسحر العقول؟**

✰ **حينما أصبت بانحدار في صحتي، وتجاهلني الأصدقاء، وتحرج مـن علتي الكثير من الأهل والأقرباء.. وجدت في طبيبتي العـزاء.. كانـت تحدثني عن الله كلما ناشد ا أن تجد لي علاجاً .. كانت تربطني بـالله.. وكنت أهاجم نظر ا فالطب والإيمان لا يلتقيان.. كانت تكشف لي يوما فيوماً طبقات الغبار والجهل الذي ران على عقلي وقلبي.. كنت أصـر على رأيي لكنني جاهلة بالطب مبدعة في التمني والكـسل، أمـا هـي فكانت مبدعة في تخصصها الذي أوصلها إلى حـدود قـدر ا.. تلـك الحدود التي تبدأ عندها قدرة الله وعظمته..**

اكتشفت في النهاية جهلي أمام علمها.. عندها تحول تعالمي إلى تلميذ شغوف أمام علمها وإيمانها.. بدأت أعد الدقائق بانتظار زيارتها.. لم أكن أطمع بالشفاء كنت أطمع بالعلم.. ناشدتها أن تزورني كثيرا وتحدثني أكثر، لكن جدولها مزدحم بالمواعيد والمرضى، وذات يوم دخلت علي امرأة لا أرى سوى عينيها.. كشفت وجهها وسلمت علي، فرددت السلام.. كنت أظنها مخطئة في رقم الغرفة، لكنها نادتني باسمي وسلمتني كتبا ظننتها مثل تلك الكتب التي كنت أزدريها في مكتبة والدي.. لم أعرها اهتماما، لكني جاملتها بابتسامة باردة، ولما رأت ردة فعلي الباردة عرفتني بنفسها، وأنها المسؤولة عن الشئون الدينية للمريضات في المستشفى، فقلت باستغراب: ما علاقة الشئون الدينية بالمستشفى؟

☼ في فنادق الغرب تجدين نسخة من الكتاب المقدس في كل غرفة، وكل حملات الغرب الاستعمارية كانت تسبقها حملات تبشيرية تحمل الكتاب المقدس، رغم أن الطب والعلم قد كشفا ذلك الكتاب وأسقطاه علمياً من حياة الغرب.

✰ ذكرتيني بمجادلاتي في الإنترنت ومعاركي مع الظلام...

☼ عموماً التي بعثت لك هذه الكتب ليست ظلامية مثلي، إنها طبيبتك فلانة ...

✰ سامحيني.

☼ لم تفعلي شيئا يا حبيبتي أسامحك عليه.. أسـأل الله لـك الـشفاء العاجل.. هذا رقمي إن أردت التحدث إلى ظلامية، لا تخـشي شـيئا، فلدي هدية مفرحة لك.

✫ مفرحة وأنا في هذا السرير!!

استأذنت وخرجت وهي تدعو لي بالشفاء، وتدعوا لي ولها بحسن الختام، أما أنا فدون أن أتفوه بكلمة شكر، رميت بطرفي على خـاتم كـان في أصبعي المتآكل، ورحت أديره دون شعور، فقد غبت في سراديب مـن الخجل والندم الحارق..

رحت أعض شفتاي المتيبستان ندماً على هذه الجلافة التي طالما رميت بها أمثال هذه المرأة الطيبة، التي لم تفعل شيا سوى أن حملـت لي رسـالة ودعت لي.. حاصرني الخجل وأحسست بآلام تفوق آلامي..

استخرجت عقلي من كيس حشره أصحابي فيه وبدأت بتنظيفه؟ وضعته أمامي ورحت أطلق عليه أسئلة كالرصاص:

ما الذي يمنعك من قبول الآخر؟

ما الذي يحملك على حمل أفكار تستعيرها لا تصنعها؟

ما الذي ستخسره إن جربت الإيمان؟

لم تفكر بالطريقة التي يفكر بها الآخرون؟

أين الإبداع في أن تدع غيرك يفكر عنك؟

لم فضى أمثالك قرنين من الزمان دون أن يستطيعوا حذف حرف واحد من القرآن والسنة؟

أي ورطة وضعت نفسك فيها إن كان ما يقوله من تسميهم بالظلاميين حقيقة؟

ليس أمام جسدي من خيار، أما أنت فأمام خيارين: إما أن يكونوا على حق فقد دمرت دنياك وآخرتك.. وإما أن تكون على حق فلن تخسر شيئاً.. أخذت تلك الكتب وبدأت زها أمام وجهي، وكأني أتحدها وأصرخ: سأقرأك.. سأقرأك مهما كانت النتيجة.

✍ وهل فعلت؟

التفتت وهي تدير خاتما جميلا يزيد أصبعها فتنة وقالت: قرأت فيها عقلي.. لم تكن كتب مواعظ وإرشاد وتذكير بالموت كما توقعت.. لقد أدركت طبيبتي ما أبحث عنه، فأحضرت لي كتباً ألفها أطباء، وعلماء فضاء، وعلماء بحار وعلماء جيولوجيا، عن إعجاز القرآن العلمي، أما ما لفت انتباهي فهي تلك ا موعة الكبيرة من الأطباء والعلماء التجريبيين المسلمين الذين اكتشفوا الإعجاز العلمي.. كنت بعد ايـة كل فصل أضرب السرير بقبضتي الضعيفة، وأقول لنفسي: أحقاً كان أولئك الظلاميون يعيشون تحت الشمس والمطر، بينما كنا نفاخر بشموعنا داخل حفرنا وأنفاقنا المعتمة، حقا إننا الظلام نفسه..؟

كنت أبكي بحرقة ومرارة تلك السنوات التي دفنـت فيهـا عقلـي في الرمال..

وعمن كنت أدفنه؟ عن إلهي الذي منحي ذلك العقـل.. كـم كنـت جحودة.. كم كنت ناكرة للجميل وأنا أتجاهل إلهي وأيمم نحو قـوم لا يقلون جحوداً عني..

كم كنت غبية وأنا أسلم عقلي لقوم لا يجيدون استخدام عقولهم..

كم كنت ظلامية العقل والقلب والمشاعر..

كم كنت ضيقة الأفق وأنا لا أرى في الحرية أكثر من نفـث الـسجائر وشرب الخمر، والتخلص من مساحات من ثيابي.. لم أر فيها أكثر مـن زرع مفاتني على تلك العيون الجائعة..

ههه.. مفاتني.. ههه..

كنت أقضي معظم وقتي في انتشال تلك المفاتن من بين إفرازات ذلـك الجسد الدنيوي الذي لا يكف عن التلوث والترهل.. إزالـة الـشعر وتنظيف الأسنان ومزيلات الروائح والعرق التي لا أكف عن تعقبها..

مفاتني.. تحتاج في السهرة الواحدة إلى تحضير قبلـها، والتـردد علـى دورات المياه عدة مرات لتفقد تماسكها..

مفاتني.. كم كنت عديمة الثقة بمفاتني.. أخشى أن تخونني فأنا ألاحقهـا كالجواسيس حتى لا تخذلني، فيتخلى عني مطاردوهـا، وقـد صـدق حدسي، فقد تخلى عني العشاق عندما تآكلت مفاتني والتهمها المرض..

لم أعد نافعة لهم.. مفاتني في تلك الحياة كانت تلتهم وقتي وجهدي ومالي في الإنفاق عليها، ومع ذلك لم تصمد معي رغم ما بذلته من أجلها..

أما مفاتني اليوم.. فأكاد أكذب مرآتي وهي تريني هذا الـسحر الـذي يتلألأ أمام عيني..

هذه الفتنة التي تنبعث من وجهي، وهذا الوهج الذي يلف قوامي، وهذا العطر الذي يتضوع من شعري ومن كل شبر في جسدي دون انقطاع، وهذه الأنفاس التي تسكر من يقترب منها، دون أن أخشى تغيرها إلا إلى الأفضل.. هذه المفاتن الخالدة تغمرني بالثقة بنفسي و ا، فهي لن تترهل بل ستزيد وهجاً ونضارة، ولن أحتاج معها إلى دورات مياه ومنظفـات ومزيلات فلا نفايات لها، بل لا دورات للمياه هنا، فأجسادنا ليـست بحاجة إليها..

كنت بخيلة جداً على هذه المفاتن الخالدة التي أمامك.. بخلت عليهـا في الدنيا، مع أ ا لم تكن لتكلفني مالا.. لم تكن تستدعي مني وقتاً أو جهداً، كما استدعى ذلك الجسد الدنيوي المتآكل..

من يأبه لملكة جمال في الدنيا وهي تبلغ الخمسين أو الستين؟

من تمتلك أنوثة وهي في السبعين..؟

كنت في الدنيا عندما أنظر إلى عجوز محدودبة الظهر ترتجف أثناء حديثا وحركتها.. أنتفض في مكاني رافضة هذا المصير..

كانت عيوني متعلقة بأبواب مختبرات الغرب.. تنتظر آخـر كـشوفا م حول عمليات التجميل وشد البشرة وقطعها..

كنا ننتظر دون أن نقدم أدنى مبادرة، ونرفض الموت.. ليس لأننا نبـدع في الحياة، بل لأننا لا نرى أبعد منها أفقاً..

تعرفت على نبيي محمد صلى الله عليه وسلم بعد سنوات كنت أرفـض الإنصات إليه، فتغيرت آفاقي..

علمني عليه السلام كيف أرفض الترهل والشيخوخة، بطريقته النابـضة بالطموح الذي لا حدود له.. عندما ادت عجوز نحو بـاب أسـتاذتي عائشة (التي أبحث عن موعد للقائها في أحد حدائقها الغناء) ادت تلك العجوز فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له: (يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة.

فقال: يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز.)

انكسرت تلك العجوز من ذلك الجواب الذي رأت سـطحه، ولم يـر عقلها أعماقه، فولت تلفها الفجيعة ويقتلها الحزن، فقال عليه الـسلام: (أخبروها أ ا لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: إنا أنـشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا)

هذا هو رفض الشيخوخة الذي كنت لا أعرفه قبل تعرفي علـى محمـد صلى الله عليه وسلم، وليس تعبئة تجاويف الوجه بأكداس مـن المـواد والطلاء الذي يثير الشفقة..

يا إلهي ما مصيري لو لم تدركني رحمة ربي..؟

ما مصيري لو لم أتعرف به صلى الله عليه وسلم..؟

دعني أبكي كثيراً وأشكر أكثر، قبل أن أحتفل بنعيم لا أستحقه لـولا رحمة ربي..

دعني مع هذا المشهد الذي يأخذني في مراكب الامتنان والعرفان..

✍ لن أدعك حتى تخبريني ما ـاية دنياك.. وهل اتـصلت بالظلاميـة اللطيفة؟

✰ عندما بدأت أفيق بدأت أحاسب نفسي على مواقفها.. كنـت في السابق أدافع عن حقوق المرأة في أن تـ ع الحجاب وتتعـرى وتمـارس الرذيلة.. كنت أحارب تعدد الزوجات، وحتى الزواج العرفي وما يسمى بالمسيار..

كنت أرفض الحلال بحجة استغلال المرأة، بينما كنت أتعامى عن قطيـع المسكينات من النساء اللواتي يتم بيعهن بصورة جديـدة، مـن أجـل السياحة وجذب رؤوس الأموال..

كنت أتعامى عن قطيع الفتيات الجميلات الفقيرات المترافصات حـول مغن له صوت أجمل بقليل من صوت الحمار..

كان ذلك القطيع هو من يسوق الأغنية..

كان المغنون يكبرون ويشيخون، لكن القطيع يتجدد بعـد أن تتحـول القطعان الأولى إلى إماء أو دمى.. أو ...

لا أدري كيف أسامح نفسي على تجاهل أولئك المسكينات والسكوت عن معانا ن.. كم كنت أمارس خيانة بنات جنسي لو لم تدركني رحمـة الله.

✍ وما الذي أعماك عن معانا ن؟

☆ المبدأ..

✍ أي مبدأ؟

ضحكت طويلا.. ثم قالت: أجل أي مبدأ.. لم يكن لدي مبـدأ سـوى الغريزة وكره الدين والمتدينيين.. كنت أكره حتى عصاة المتدينيين الذين يشربون أو يمارسون الخنا.. كنت أريدهم أن يكونوا مثلي.. ضد الدين وضد أدنى التزام به.. حتى عندما تسألني غير مسلمة عن الإسلام وتريد مني أن أشرحه لها باختصار.. أحذرها منه ومن التفكير باعتناقه.. كنت لا أنصت سوى لنفسي وغرائزي.. ما يتوافق معها فهو حق، وما يتنافى أحكم عليه بالكبت والتخلف والرجعية والظلامية، ولا أقبل النقاش في ذلك.

فهقهت بصوت مرتفع حتى التفت بعض المارين من حولي فابتسموا، ثم قلت لها: كم كنت مجرمة.

فضحكت وهي تخفض رأسها وتحاول رد ضحكتها، لكنها لم تـستطع.

فقلت لها: شر البرية ما يضحك.

وبعد صمت ونوبات ضحك قلت لها: حدثيني عن أكثر مواقفك إثـارة للضحك؟

✰ هي عندما نجتمع ونتناقش حول المتدينيين، كنا بالطبع نسلخهم بسكاكين التخلف والغباء ومعاداة التقدم... إلى آخر تلك القائمة المعروفة والمملة.

✍ وما المضحك هنا؟

✰ المضحك هو أننا رغم وصف خصومنا بما مضى، ورغم كثرة حديثنا عن التقدم والرقي، لم نكن نعرف شيئا عن هذا العلم الحديث والرقي إلا أنواع المشروبات، وآخر ما في الأسواق من العطور والأزياء وأسماء الشوارع والمراقص والحانات في الغرب.. في الوقت الذي تغص فيه كليات الهندسة والصيدلة والطب والجيولوجيا والعلوم التجريبية بالمتدينين، وفي الوقت نفسه الذي يظهر فيه علم اسمه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يقوده فريق ليس من الفقهاء ولا من الوعاظ ولا من المفسرين، بل من الأطباء والفلكيين والصيادلة والمهندسين وعلماء البحار والرياضيات والجيولوجيا وغيرهم.. كم أشعر بالإحراج عندما نجتمع فلا نجد في القرآن والسنة ثغرة تمكننا من وضع متفجرات حقدنا، فنتجه بتلك المتفجرات لنفجرها في ثياب المتدينيين ولحاهم وحجاب نسائهم.. كم أشعر بالخجل والسفه.

✍ ألم تكونوا تشعرون ببعض الخجل آنذاك؟

✰ كنا في سكرة الهيمنة، فلا نمكن أحدا من خصومنا من الرد علينا، لذا فنحن لا نسمع إلا أنفسنا فنصدقها.

✍ لكنكم كنتم ترددون أن خصومكم يملكون المنابر.

☆ المنابر.. تلك التي تهزنا وتزلزلنا، وتجعلنا نتناثر كالزجاج.. خطبة واحدة تعيدنا مائة عام للوراء.

✍ وهل سرتم يوما للأمام حتى ترجعوا للوراء.!!!

عادت للضحك مرة أخرى. فتركتها وعدت لارتشاف قهوتي. ثم قالت: الحمد لله.. الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني.

عندها ضحكت أنا حتى كدت أسقط عن الكرسي.

وبعد صمت قليل قلت لها: لكنني أعترف أن بعض من يحملون تلك التوجهات رغم غباء مضمونها.. يحملون في الشكل الكتابي والشعري جمالا وجدة في التعبير.

☆ ربما كان هذا أحد أسباب غرورنا.

✍ ربما، فأكثر من يكتبون أطروحاتنا العميقة والجادة يقدمونها في قالب تقليدي ممل، وكأن نبيهم عليه السلام لم يقل يوماً إن من البيان لسحرا، فقد كان أصحابك يكتبون بلغة جميلة وجديدة شكلا، لكن أفكارهم قديمة قدم قوم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا.. الأحرف الجميلة تأخذ بالقلب وتطمس العقل، فينساق المفتون معها حيث تريد..

☆ لكن الأحرف الجميلة تظل أصباغا وطلاء لا تغيير من حقائق الأشياء..

✍ أجل لكن أهل الإيمان كانوا مأخوذين بالحقيقة مهما كان لون أحرفها.. كانوا يأخذونها بقوة ويقدمونها بسرعة، أما أصحابك

فيجهدون في صنع العلب والأغلفة والألوان وانتقاء العبارات ليغلفوا خواءً بطريقة رائعة، والضحية هنا المتلقي الذي يأخذه تأمل جمال تلك العلب، ويستمتع بطريقة فتحها واكتشافها شيئا، وكلما كانت الأغلفة أكثر وأجمل كلما تأخر اكتشاف المتلقي لذلك الخواء.. عندما تصور الحداثة في بلاد غير المسلمين الفضيلة على أنها عقد نفسية وقيود تقتل الحرية.. بينما تصور الدعارة والانحراف على أنها الحرية وكسر الحدود والحواجز، فأنا لا ألوم القوم في رسم علاقاتهم وحقيقتهم بأيديهم، بعد أن فقدوا عناوين الحقيقة في كتبهم المقدسة، لكنني أسمي تلك الحداثة التي تطمس الحقائق في بلاد المسلمين، وتردد العبارات نفسها كالببغاء..

☆ حداثة سوداء.

✍ ربما.. إنها تسير في العماء ونحو العماء، فلا هي التي قرأت ما في القرآن ولا ما في العلم، ولا هي التي استطاعت إسقاط القرآن، فهما وجهان لحقيقة واحدة، ومن المستحيل قبول وجه دون الآخر.. الحداثة السوداء (كما سميتها) تبشر بآفاق جديدة من الخرافة والأسطورة على حساب العقل والإيمان.

☆ بل كانت مأخوذة بصناعة الصمم للآخرين.

✍ هذه الحداثة رأت آلات الغرب، فاعتنقت أفكاره وكفرت بآلاته.. استوردت الخواء والفراغ الروحي والإلحاد والبارات والمراقص، ورفضت استيراد العلم والمختبر والمصانع، بل رفضت حتى الديموقراطية، فكانت نتيجة استيراد ذلك الخواء كما قلت أنت: (حداثة سوداء تكفر

بكل شيء).. العلماني الغربي كان يعيش مع الآلة التي بدأت بتحويله إلى آلة أخرى.. لا روح لها ولا أخلاق ولا قيم ولا مبـادئ ولا ديـن.. بدأت بتحويل الغربي إلى ترس في آلة.. إلى رقم بـارد دون مـشاعر.. عندها انتفض عليها الكثيرون من المبدعين.. منهم مـن رفـض الآلـة نفسها، وأعلن عبثية الوجود، ومنهم من هرب إلى الرومانسية والحلـم والروحانية، ومنهم من حاول الغوص في أعماق أعماق الإنسان عله يجد ذلك الخيط الرفيع بين الشعور واللاشعور.. سالكا طـرق المخـدرات والتنويم المغناطيسي وغيرها من الآليات التي زادت من الخـواء، لكـن أحداً منهم لم يفكر بالعودة للكنيسة ولا للكتاب المقـدس، ولا حـتى للتصالح معهما، لأن محاكم التفتيش تلوح في مخيلته كلما اقترب منها.. لأن خرافات العهدين مازالت تجوب بين جدرانها، ولذا ظلت الحداثـة تركض كالمرأة تماما بحثاً تارة.. وهرباً تارة أخرى...

✰ وما علاقة حداثتنا السوداء بمحاكم تفتيش؟

✍ الجواب في هذه الحكاية القصير: ورث شاب مغفل أموالا كثيرة بعد وفات والده، وسافر ذلك الشاب إلى بلاد عديدة، وفي إحـدى تلـك البلاد سمع عن تعاطي الناس لعقار مفيد وغالي الثمن، حيث نجح ذلـك العقار في شفاء أو تخفيف مرض مستشر في تلك البلاد، فاتصل علـى صديق له من بلاده وطلب منه أن يسأل عن وجود هـذا الـدواء في موطنه وهل له من وكلاء، فلما قال له أنه غير موجود ولا معروف، قام هذا الشاب المغفل بشراء كمية كبيرة وبكل ثروته الطائلة مـن هـذا

الدواء، وشحنه إلى بلاده، ووضع الملصقات على الجدران، ولوحـات الإعلانات وشاشا ا عن وصول الدواء الشافي لذلك المرض العضال في تلك البلاد التي اشتراه منها.

وتمر الأيام فلا يشتري أحد ذلك الدواء، وتتكدس تلك الشحنات نظرا لعدم وجود إصابات في ذلك المرض... عندها تحول الشاب من مغفـل إلى لئيم، فقام بترويج إشاعات عن انتشار ذلـك المـرض في بـلاده، فاستخف بتلك الإشاعات بعض الطائشين والمرعوبين فاشتروا منه دون استشارة طبيب، أو حتى الشعور بأية أعراض، لكن الأيـام كـشفت كذب الإشاعة، كما تحول ذلك الدواء إلى داء من جراء تناولـه دون استشارة طبيب، عند ذلك أدرك ذلك الشاب تورطه وكساد بضاعته، فقرر أن يتحول إلى مجرم.

✰ مجرم؟!!

✰ أجل.. لقد قام بإحضار مجموعة من الموبوئين مـن تلـك الـبلاد لعلاجهم، وبذلك يستطيع إصابة ثلاثة طيور بحجر واحد.

✰ الطير الأول: أن يثبت أن الدواء مفيد، والطير الثـاني أن يـروج للدواء من جديد... فما الطير الثالث؟

✍ أن يثبت أن تلك الإشاعة كانت حقيقة، وأنه كان مخلصا لـبلاده ووطنه أكثر من كل الأصحاء والتجار والأثرياء.

✰ وما الذي ترمي إليه تلك الحكاية؟

✍ أقصد ا عقلية الشخص الذي يرى مشكلة في عالم آخر، ويعجب بطريقة تناول الناس لها في ذلك العالم، وعندما يعود إلى عالمه يقول لهم: أنتم لديكم المشكلة الفلانية، وهذه هي حلولها. فلما قال له قومه: نحن لا نعاني من تلك المشكلة. رماهم بالتخلف والجهل والظلامية.

☆ فعلا.. هذا ما مارسته الحداثة السوداء.

✍ أنت سميتها سوداء.. مع أنني أرى في جدة لغتها وتمردها على السائد والنمطي من الأساليب بياضا وجديدا.. لكن انظري إلى أشعار الجانب الأسود منها ورواياا.. إا جميلة الأسلوب واللغة لكنها لا تنبع من واقعنا.. لا ترسم سوى آفاقاً مسدودة وسراديب مظلمة ومعاناة مع السراب والخرافة.

☆ فإذا قيل أن بعضهم دخل السجن وحرم، أو ليست تلك معاناة؟

✍ إا معاناة تاجر الأدوية.. تلك الحداثة تشتم دينها وتتمرد عليه، وتصفه بأنه العائق ضد التقدم، وتصف الملتزمين به بالمتخلفين والظلاميين في نثرها وشعرها ورواياا، دون أن تقرأ هذا الدين أو تفهمه أو تمارسه.. إا تردد ما يقوله الغربي عن دينه، ولما شهد العلماني الغربي لدين الإسلام بأنه الحق، غضب أصحاب تلك الحداثة وامموه بالتحيز.. الشيء المقزز فيها أا لا ترى شيئا جميلا في الإسلام، إا تتجاهل إنجازاته ومشاريعه وضته بالعالم ككل.

✰ أنت تكشف لي شيئاً خطيراً عن عالم يشبه عالم السحرة، لكثرة ضبابه ودخانه وتمويهاته، وكلماته المكتوبة بالغموض، والتي قد لا يفهمها أحياناً إلا من يكتبها.

✍ الغموض شيء جميل وهو أحد كنوز الشعر والأدب، لكن هؤلاء يدعون الغموض، بينما تقف كلماتهم عارية تماماً.. فمن لا يرى في القرآن والسنة سوى خرافات العهدين، ومن لا يرى في الإسلام سوى محاكم التفتيش وأقبيتها الأوربية.. لا يمكن أن يكون غامضاً أو جميلاً.. إنه يوظف الشعر نحو الشر... من يرى في السفاح حرية، وفي الزواج رقاً وعبودية لا يلام إن كان ينظر إليهما من خلال صفحات المقدس المزيف، الذي جعل الزوجة قطعة أثاث والمطلقة زانية وشيطانة، وحول المرأة إلى مصدر لكل النجاسات والشرور، لكن إذا كان يتحدث عن القرآن بهذه النظرة فهو أجهل من حمار.

✰ وهل حقاً يصف المقدس الأوربي المرأة بتلك الصفات؟

✍ وأشنع منها، إن المرأة تتحول داخله إلى شيطان، لكنه بالتأكيد ليس كلام الله.. إنه كلام الكتبة. فالله جعل الإنسان (رجلاً وامرأة) خليفة في الأرض، وأعطاهما القدرة على النجاح والفشل وحرية الاختيار... الذي يحيرني هو أن الحداثة الغربية قامت بالتفتيش عن كل نقطة مضيئة داخل الكتاب المقدس لتوظفها إبداعيا شعرا ونثرا، بينما أعمى التعصب أصحاب الحداثة السوداء عن كل إضاءات القرآن والسنة، وبدلا من ذلك جعلوهما محط التندر والسخرية.. مما يبين الفارق بين الحداثتين.

☆ مثل ماذا؟

✍ في الكتاب المقدس رموز كحمامة السلام، وغصن الزيتون، والتيه، وغرق فرعون، والهيكل، والمذبح، والتعميد، والصلب والصليب، والعشاء الأخير وشمشون وغيرها.. يتم توظيفها بشكل جميل في الشعر والرواية من قبل حداثيين ينتمون للإسلام، بينما لم يقم هؤلاء بأي استثمار لأي رمز إسلامي.. حادث الفيل، مولد النبي صلى الله عليه وسلم مثلا، الغار، نزول الوحي، تعذيب الصحابة، سجنهم في شعب أبي طالب، التوجه للطائف، بيعتي العقبة، الهجرة، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، بدر وأحد والخندق ومؤتة وفتح مكة.. العفو عن الطلقاء بعد الفتح.. كتابة المصحف، تحويل العرب من أمة أمية وثنية متخلفة إلى أمة موحدة متعلمة نظيفة العدل.. الزكاة.. بر الوالدين.. صلة الرحم.. معاملة الأسرى.. ناهيك عن شخصيات كانت ترمز لأشياء ثرية.. أبو بكر والصدق، عمر والعدل، عثمان والعطاء علي والشجاعة، الأنصار والكرم والإيثار، بلال خباب وغيرهم وغيرهم..

ألا تثير هذه الرموز الرائعة مبدعا..؟ لا.. إنما تثير السخرية لدى الحداثة السوداء.... قارني بين تلك الأحداث، وقارني بين التعاطي معها عند هؤلاء المبرمجين.. دعيني أخبرك شيئاً غاية في الألم.

☆ ما هو؟

✍ أتذكرين عالم السينما والأفلام الجارف.. الملايين من الأفلام الغربية كلها تحتوي على مشهد لكنيسة أو صليب أو عبارات مسيحية، وأحيانا

يكون الأبطال فيها متدينين وقساوسة وراهبات، وقد تتمحور القصة كلها حول بناء كنيسة، والمسيحية تكون غالباً في تلك الأفلام إضاءة وإضافة جميلة.. كل هذا رغم أن من يفعلون ذلك يعترفون أن دينهم غير عقلاني، وأن كتابهم قد تعرض للتحريف، بل ربما كان المخرج غربيا ملحداً..

في الجانب الآخر انظري للأفلام التي تنتجها الحداثة السوداء.. الإسلام والتدين مهمشان ومتهمة في كل الأفلام.. حتى التاريخ الإسلامي يؤدلج ويوظف لصالح البلد أو الشخص أو الجهة المنتجة.. المتدينون في الأفلام مغفلون أغبياء أو مرضى أو إرهابيون.. المحجبات عجائز أو ملوثات سابقات.. في الأفلام الغربية تعطى البطولة لرجال الدين وللقضاة والمحامين وحتى اللصوص، بل للكلاب والدلافين والقطط والفئران ووصل الأمر إلى الحشرات، أنا لا أتحدث عن أفلام كرتونية، بل عن أفلام يمثل فيها ممثلون مشهورون، بينما لا يمكن لمتدين أن يظهر بصورة إيجابية في فلم واحد من أفلام الحداثة السوداء.

✰ شيء مخجل ومقزز للغاية.. أشعر بالقرف من صحبة أولئك القوم...

✍ دعينا منهم.. حدثيني عن صاحبتك الظلامية.. هل اتصلت بها؟ وما كانت شمعتها؟

✰ كانت شمعة كالشمس.. كالحياة.. شمعتها كانت عنوان شيخ معمم فاضل، يصبغ لحيته بالحناء والكتم.. مشغول بالأطباء والفلكيين

والعلماء المبدعين.. يشرح لهم الإسلام ويدعوهم إليه، وسـرعان مـا يعتنقه أولئك الجهابذة والمراجع الغربيون، أو يعترفـون بـأن القـرآن معجز، ولا يستطيع بشر الإتيان بمثله... لكن هذا الشيخ لا يتـركهم حتى يطلب منهم شهاداتهم العلمية في قرآننا وسنة نبينا عليهم السلام.

✍ وما الذي فعله الشيخ لك، وأنت كاتبة وأديبة؟!

☆ وجدت عنده عقار أنجزه مع فريق من الأطباء والصيادلة، وكـان العقار مستوحى من بعض الآيات والأحاديث النبوية الصحيحة؟

✍ وهل نفعك الله به؟

☆ أجل.. لقد شفاني الله وشفى غيري على بذلك العقار تماماً، وثقت به رغم تجاهل أمتنا له.. إنه لم يقدم رقية أو شعوذة أو تمائم.. قدم عقاراً تم اختباره والتأكد منه في مختبرات تجريبية معترف بها.

✍ وماذا عن أصحابك؟

☆ لم يعودوا أصحاباً لي.

✍ لكنهم كانوا يحبونك.

☆ كانوا يحبون أنفسهم وغرائزهم، ولذا تخلوا عني حينما لم يجدوا في قلمي وجسدي مساحات لهرائهم.

✍ ألا تدرين ما مصيرهم؟

☆ الله أعلم بمصيرهم لكنني علمت أن الكثير منـهم تراجعـوا عـن عنادهم بعدما تبين لهم فشلهم.. من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليهـا، كانوا سيغرقونني.. كانوا سيحرقونني.. لا أريد أن أتصور نفسي خارج

هذه الأجواء.. لا أريد أن أتصور نفسي محرومة مـن هـذا الجمـال والرفاهية والدلال.. لقد كان النوم يطير من عيني في الدنيا بعد شـفائي حينما كنت أغمضهما، ثم أتصور أن البعث والحشر قد تم، فدخل أهل الجنة جنتهم، وسحب أهل النار إلى جحيمها.. كنت أسأل نفسي: أين مصيري؟ كان هذا السؤال يثير الفزع في نفسي.

✍ لا ألومك فهو سؤال مفزع حقاً، لكنني أحببت أن أطمـئن هـذا الجمال الذي يشرق بجانبي أنه... أنه آمن في جنة الله ورحمته، كمـا أن رحمة الله ستشمل كل من مات من أصحابك السابقين وهو يؤمن بأن (لا إله ألا إله إلا الله)

☆ مهما عمل؟

✍ أجل فالجنة مصير من مات وهو يؤمن ا حقـاً، وإن عـذب في النار، هذا ما قاله نبينا صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إلـه إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)

☆ سبحان ربي ما أرحمه.. شعور يملأني شكرا وامتنانا وخجـلا مـن الرحمن الكريم.. من أنا لولا حبك يا ربي ورحمتك.. كنـت في الـدنيا أردد:

حبك يا ربي

حبك يا ربي شيء آخر

شيء آخر
أسمى من كل خيالي
أ ى من حلمي
وأقرب من نبضي
من دمعي
حبك غيم يأخذني
يجمعني من تيهي
يمطرني
ينثرني في كل بقاع الكون ربيعاً

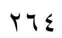
حبك كون آخر
وبحار من شوق ومراكب
يجتاح تفاصيل حياتي
يملأها عرسا ومواكب
يملأها شوقا

حبك يحملني عرفانا
ويقينا
يعرج بي
ينثرني كشعاع

ينثرني أنوارا وكواكب

حبك شيء أكبر من قلبي
حبك يا ربي يجعلني
أنساب كغيث
أشتاق كطفل أنصاري
للقاء محمد
ورفاق محمد

حبك ياربي أفق
كون واه مجرات فؤادي
حبك ياربي
أنوار تملأني
تغسل أغوار ظلامي
أعطاف ظلالي
حبك يا ربي
لو لم أعرفه لكنت غبار جحيم
يتطاير
لو لم أسكنه لكنت
فلامات أظافر



يارب فزدني من حبك
زدني من حبك
فأنا رغم عطائك أشواق
وأنا رغم سخائك مشتاق
زدني من حبك
حتى لا أحتاج إلى أحد
زدني من حبك حتى تجعلني
أنسى أبواب الناس وسلطتهم
أنسى سطو م
زدني من حبك حتى أصنع آفاقي
ظني بك ياربي كريما
ومحباً ورحيما
زدني حبا يغمرني كالطوفان
يجرفني عبر الجنة

✍ **صدقت.. ما الذي فعلناه لنستحق كل هذا..؟ في الدنيا كان هناك من يقتل ويظلم ويكذب ويرتكب الموبقات، من أجل منصب أو قليـل من المال.. كان الشعراء في الدنيا يمسحون بلاط الزعمـاء والأثريـاء وأحذيتهم بشعرهم وإبداعهم.. من أجل حفنة من الدراهم قد تـذهب**

في دقائق.. وقد يقولون تجديفاً في ذلك الشعر، وفي النهاية لا شـيء.. يفنى المادح والممدوح.. أين هم.. أين هم ليروا فقط سحر هذا المكـان ومن عليه وما عليه؟

☆ ذكرتني بشعراء الجسد الذين أرهقوا حروفهم بـالتغني بأجـساد سرعان ما يتنكرون لها ساعة تآكلها.. أين هم ليروا أجـساداً تعجـز حروفهم عن التماهي ا؟

✍ وهل لهذا الجسد من مشاريع؟

ابتسمت خجلا.. لكن خجلها لم يمنعها من انتهاري.

☆ وما شأنك أنت.. أليس لك مشاريعك الخاصة؟

✍ نحن نتحدث ولا خشية في الجنة من التأخر على المواعيد، فالأجـل دائما في الطريق.. سأغير السؤال.. ما مشاريعك؟

☆ ولم إلحاحك؟

✍ أريد معرفة المزيد عن جميلات الجنة وفاتنا ا.

☆ قد عرفت مشروعي الآني، أما الآتي فلا أستطيع تـصوره.. إ ـا الحرية التي كنت أدعيها..

✍ لم أفهم؟

☆ لم تفهم أم أنك تريد انتزاعي لتلك العوالم الصاخبة؟

✍ ما أنت فيه الآن جزء مما أعنيه.. لن تري شيئا يفوتك، ولن تشعري بحرمان على أي شبر هنا.. إن انتزعتك فإلى نعيم، وإن بقيت في تأملاتك

فأنت في نعيم.. أطلقي لروحك ولحدسك ومشاعرك العنان.. مارسي الضياع في الجنة فلن تندمي... والآن دعيني أواصل انخطافي وهيامي.

✰ **ألا تستطيع البقاء قليلا.. لقد استمتعت بالحديث معك والتعرف عليك؟**

✍ **أمامك وأمامي الكثير.. الكثير.. حالما تنهضين من خلوتك الرائعة ستجدين الطرقات روعة تحتضنك و بك أجمل ما لديها.. ستجدين حبك الذي تحلمين بمثله.. ستجدين من يتغنى بك وتتغنين به.. ستعثرين على خلوات أروع وقلوب أنصع.. وأحاديث تحلق بك حيث لا ترغبين في التوقف.. دعيني أواصل التيه الساحر الذي لا أريد له أن ينقضي...**

✰ **ياله من تعبير.. التيه الساحر.. في الدنيا كنا نشعر بالنشوة ونحن نستيقظ من نوم طويل فنشعر أن الدنيا جديدة، رغم أن البيوت هي البيوت، والشوارع هي الشوارع التي رأيناها بالأمس ومنذ أعوام.. والوجوه هي نفسها.. والأطعمة هي هي.. فكيف والنوم قد تحول إلى نشاط متجدد، والشوارع لا تتشابه، ولا تمل العين منها، والوجوه لا تمل من إملاء الفتنة، والأطعمة والأشربة لا تعد ولا تحصى، والفن لا يمكن إحصاء أشكاله وفروعه، والمدن تعج بالجديد والغريب والمدهش.. إنها الجنة يا صديقي.. لا يديرها شخص يريد توجيهها كما يريد.. يطفئ أنوارها متى ما شاء، ويشعلها متى ما شاء، ويحرقها بجشعه وغروره.. إنها الجنة يا صديقي وهو اسم أنثوي فنحن الرابحات فيها.**

✍ **كأنك تستفزين إطالة الحديث؟**

تبتسم وتطول ابتسامتها القاتلة وهي تقول: أرجو ذلك.
إذاً سأطلب شرابا آخر يضفي على هذا الحديث تيهاً آخر.
☆ كما تشاء؟

أحببت أن أحضر المشروب بنفسي، فنهضت متجها نحو مشرب خلفنـا ذو واجهة حجرية داكنة وخشنة، كانت حجارته الداكنة الكريمة تضفي عليه طابعاً مفعما بالدفء.. أما داخله فكان خافت الإضـاءة، حيـث تتلألأ الشموع في تجاويف داخل جدرانه وعلـى طاولاتـه الخـشبية الداكنة.. وذلك البلاط الداكن أيضاً يجعل من ذلك المشرب كهفا حميماً للأسرار والمشاعر.. كانت أجواؤه تغريني بدعو ا إليه.. لكنني لم أرد أن أقطع عليها تأملها الجميل.. فطلبت زجاجة من مشروب من مشروبات الكهف الخاصة.. بينما كنت أنظر إليها وهي تـزداد تـشبا بطبيعتـها الأنثوية رغم تأملا ا.. لقد أخرجت من حقيبة يدها مرآة، وراحت تزيد من تحريض جمالها وفتنتها.. كنت أريد المزيد من الشغف بموعدي، لذا لم أتورط بالتأمل في جمالها.. شكرت المضيف على تلك الزجاجة التي تتخذ شكل المشرب ودكانته، ولما أراد أن يحمل المشروب لي شـكرته، فأنـا أفضل أن أخدمها بنفسي..
مشيت نحوها وأنا منتش ـذه الأجواء التي أخرج منها لأدخل فيهـا.. التفتت وهي تتأمل تلك الوسامة المقبلة عليها، ولما انحنيت لوضـع مـا أحمله على الطاولة وبدأت أسكب بعض الشراب في كأسها أراد شعري

الطويل أن يشاركني.. أخذته وألقته خلف ظهري وقالت: في الدنيا كنت أدفع عمري لقاء يوم واحد أقضيه مع منهم بعشر جمالك وأناقتك.. ليت من أعمتهن شهواتهن عن الله ينظرن إليك.

ابتسمت وقلت لها: سينظرن إلي وإلى غيري.

✰ أتمزح.. أين مثل هذه الوسامة وهذا العطر.. أين مثل هذا الشباب الساحر في جحيم يغص بالقبح والدمامة والنتانة؟

✍ من خلال شاشات كبيرة وصافية جداً، سيرى أولئك الرافضون لدين الله مشاهد من الجنة، ليشعروا بفداحة خسارتهم، وربما كنت أنا وأنت أبطال فلم السهرة لإحدى صديقاتك الرافضات للإسلام.

✰ ياله من شعور كالجحيم.. آآآه... إلهي كيف أشكرك شكرا يليق بك..

✍ من الرجال من هو أكثر إجراماً.. ألم تري أولئك المدفوعات بجبروت الرجل الذي يجلدهن بسوط سلطته، ويسمي ذلك الجلد نوعا من ممارسة الحرية.

✰ من تقصد بالتحديد؟

✍ أولئك المسكينات المدفوعات بالفاقة، أولئك الجميلات المسكينات اللواتي يبتزهن أحط الرجال بلقمة العيش، وتأشيرة العمل لممارسة البغاء، أو تجسير أجسادهن كي تعبر عليها مشاريعه التنموية وأطماعه وثرواته....

☆ الفقر ليس مبررا أبداً، والمرأة التي تسلم جسدها للرجل بـدعوى الفاقة لا تستحق أن تطالب بحقوقها بدعوى المساواة أو الإنصاف.. لقد تنازلت عن آدميتها ببيعها جسدها للرجل من أجل حفنة من الدراهم.. لقد تحولت إلى قيمة للإيجار، فكيف تريد أن تكون قيمـة وإنـسانة في وقت واحد.. إنها كالمرأة التي تطالب بالمساواة الكاملة مع الرجـل، ثم تطالب بعد ذلك بحقوق إضافية لها كامرأة..

✍ لا أدري كلما سمعت قوله تعالى (لهم قلوب لا يعقلون بها) أشعر بأن القلب مفتاح من مفاتيح العقل.. أشعر بأن القلب المليء بالحقد والحسد والغيرة والكراهية يقف حائلا دون دخـول الحقيقـة للعقـل.. دون الاعتراف بالغلط.. دون التراجع عن الكارثة.. كلما رأيـت شخـصا حنونا عطوفا متصدقاً أحسست بحسن خاتمة تنتظره.

☆ هل تظن أن ربي رحمني لبري بأمي وعنايتي بها طوال فترة مرضها؟

✍ لا أعلم... لكن عملك رائع، وقد ذكرني بصديق لي لم أر أبر منـه بأمه أيام شبابه، رغم أنه كان يترك الصلاة أشهرا، كان يغادر مجلسنا في أوج متعته وأحسن أوقاته من أجل أن يقوم بإعطائها حقنة الأنـسولين، فقد كانت مصابة بداء السكري.. استمر صديقي ببره الجميل ذاك رغم أن مظهره يوحي بعكس ذلك، فقد كان محبا للسفر والأناقـة.. كـان يعيش حياة الشباب وطيشه دون تحفظ، ومع ذلـك لم تـشغله تلـك الأشياء عن والدته الحبيبة، وما إن فارقت أمه وقرة عينه الحيـاة حـتى اقترن بفتاة صالحة.. استأنف معها حياة جديـدة مزدانـة بالاسـتقامة

والصلاح، وقد مرت بي حالات كثيرة مشا ة تبشر ذوي القلوب الطيبة والأيدي السخية، وأصحاب (الفزعات) والمعروف بخاتمـة حـسنة..

عزيزتي.. عملك رائع والراحمون يرحمهم الرحمن.

☆ لقد أسكنني رحمته رغم كل ذنوبي وخطاياي، وعاملني بما لم تعاملني به أمي.. الآن فقط أدركت معنى أن الله ورسوله أرحم بنا من أمهاتنـا وآبائنا، كان آباؤنا يتمنون لنا نعيماً زائلا غير مضمون، ويخشون علينـا شقاءً غير دائم وغير حتمي.. كانت نظرة الآباء لا تـستطيع اختـراق جدران الدنيا. أمي كانت تخشى علي من نار الدنيا، التي لو احترقت ا فلن أتعذب ا أكثر من دقائق معدودة، بينما كان الله ورسوله يحذرونني من نار لا تنطفىء، ولا أنا أموت فأستريح من عذا ا... كم أتوق لشكر بمساحة هذا النعيم..

كم أتوق لشكر يليق بكرم الله ومقام ألوهيته...

الحمد لك ياربي أكثر مما حمدك كل عبادك..

الحمد لك حمداً يليق بجلالك وعظمتك...

الحمد لله الذي أكرمني وأغدق علي من غير حول مني ولا قوة..

الحمد لله...

غابت صاحبتي عني في شكر طويل ودموع شاركتها فرددت خلفهـا.. كنت أشعر بنبض أعماقها.. كنت أرى وجهها يزداد تذللا لله وامتنانـا فيزداد جمالا ورقة ووقارا... كنت أشعر ا وهي تنتشل مـن أعماقهـا

ذلك الشعور الذي يخالجها كلما تذكرت مصيرها لو انتهت دنياها وهي على ما كانت عليه..

لأول مرة أرى وجها يتلون بالجمال والفتنة والوقار والخشوع والبـهاء والعطور في وقت واحد..

أرى عينين تحلقان بمن ينظر إليهما حيثما شاءتا دون إرادته..

فضلت الانسحاب، فهذه الشابة لم تفق بعد من دهشتها.. لم ترفع رأسها بعد فوق أمواج الكرم المتلاطم حولها.. لم تكمل بعد حسابات المفاضلة بين تاريخها المعتم وحاضرها الذي يزداد نوراً كـل لحظـة.. فـضلت الانسحاب حتى لا أمنع تلك المشاعر من التدفق.

استأذنتها، فنظرت إلي، فكادت عيناها اللامعتان أن تنسيني استئذاني..

أحببت أن أتركها مع مشاعرها.. سلمتها ورقة، فقرأ ـا وابتـسمت، ووضعتها في حقيبتها.. واستأذنتها لألحق بصاحبي الـذي لا أدري أي نعيم يختطفه..

وعندما هممت بالخروج من ذلك المكان الرحب وأجوائـه الحميمـة.. وبينما كنت أخطو خطواتي الأولى مرة أخرى علـى ذلـك الرصـيف الساحر.. بإطلالته المائية الفاتنة..

بحجارته الكريمة الجديدة والزاهية الألوان والمختلفة..

حجارة يخيل لمن يراها، أ ا قد ابتلت بمطر فردوسي، ومن بعيد.. تتلألأ المباني، وتتدلى من نوافذ وشرفات المقاهي والبارات والأسواق خيـوط الأشجار الملونة بألوان لا حصر لها، والتي تحمل في ايا ا باقـات مـن

الزهور والورود التي تعطر الطريق.. وبينما كان الطريق يأنس بالشباب والشابات والابتسامات والمراكب والعربـات والمقـاهي والجلـسات والصخب والمشاعر الفياضة.. تذكرت صاحبي فمتعة كهذه لا ينبغي أن تفوته، فهممت بالاتصال به.. لكن شيئا أذهلني عنه، وصـرفني عمـا هممت به..

شيء حولني لدقائق كالتمثال منخطفاً أمامه..

سيارة متوقفة بانتظاري في إحدى الميادين المدهشة..

سيارة فخمة مكشوفة.. مفتوحة الباب تهتف بي وبقلبي..

سيارة فخمة تكاد تضيء من بياضها.. كل ما فيها أبـيض.. مقاعـدها الوثيرة وفرشها وكل ما فيها.. حتى عجلاتها ومقودها.. حتى إطـارات زجاجها الألماسي.. سيارة لم أرها إلا مع أميرتي.

آمـــين

كتب للمؤلف:

السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة
(بأسلوب قصصي وحاشية علمية)
نشر مكتبة العبيكان

التوراة والقرآن والإنجيل
نشر العبيكان

الفقه السهل
(كتاب لمن يحب قراءة الفقه بألفاظ سهلة)
نشر العبيكان

العقل العربي
(اللا مفكر فيه والمسكوت عنه في مقاربات العقل العربي)
كتاب يفضح علمياً سكوت كُتاب متطرفين أمثال أدونيس وأركون
عن أهم مكونات العقل العربي وتآمرهم على القرآن والسنة فقط،
ويناقش مفكرين محترمين أمثال محمد الجابري
توزيع العبيكان